
١٤
التصفية للقلوب عن درن الاوزار
والذنوب

وأضيق الأمر أمرٌ لم تجد معه فتًى يعينك أو يهديك للسبل

وقال آخر

هموم رجال في أمور كثيرة وهمّي من الدنيا صديقٌ مساعد

كتاب التصفية للقلوب عن
درن الاوزار والذنوب الفه

الامام الاجل البايع نفسه
من الله عز وجل شمس المدارس
وجمال المجالس محيي علوم
ال طه ويس
امير المومنين يحيى
ابن حمزه ابن علي
ابن ابراهيم
الحسيني
قدس الله
روحه

الحمد لله
نعم هذا الكتاب تصنيف الامام حمزه بن ملك [illegible]
وصلى الله [illegible] وسلم كما نعلم ذلك تاريخ شهر جمادى [illegible] من
سنه سبعه وثمانين وثمانمائه [illegible]
وشهد [illegible] صالح [illegible] عمران

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وعن على التمام يا ذا الجلال والاكرام

الحمد لله المبدع اللطيف الخبير الذي ابدع في تصريف الامور بعجيب التدبير وعدّل
تركيب الخلق بحسن التقويم والتقدير وزين صورة الانسان فاحسن في عجيب التصوير وحرسه
عن الزيادة والنقصان في شكله من غير تامل ولا تفكير فحصل على قانون الحكمة ومطابقة
المنفعة من غير تقديم ولا تاخير وفوض تهذيب الاخلاق الى الاجتهاد من جهة العبد والتشمير
واستعانه على تحصيلها بباعث الخوف وسوط التحذير وتفضل على خواص اوليائه بتهذيب
الاخلاق بما منحهم من التوفيق والتيسير وامتن عليهم بما اعطاهم من الالطاف الخفية
في تسهيل العسير والصلوة على البشير النذير الداعي الى الله باذنه السراج المنير
الذي لاحت انوار النبوة من اساريره وتلالات مخايل الحق من مخايله وتباشيره وعلى اله
الطيبين الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمه ودياجيره وحسموا مواد الباطل فلم
يبق منها بقليله ولا بكثيره **اما بعد** فان المقصود بهذا الاملا
هو الاشارة الى تصفية النفوس عن الرذايل وتزكية الاخلاق والتحلي بمحاسن الشمايل
وتطهيرها عن الاوصاف الرديه وتنزيهها عن الخصال المهلكة الدنيه ليكون بذلك
محرزا للطرايق المحموده ومخلصا لنفسه عن العلايق المذمومه فيحصل بذلك
النجاة من عذاب الله والفوز برضوانه والاختصاص بكريم جواره ومزيد فضله
واحسانه وقد اخترنا في ترتيبه ان يكون محتويا على عشر مقالات هي وافية بالمقصود
والغرض المطلوب بما نريده بمعونة الله وحسن توفيقه

المقالة الاولى في الرياضة وتهذيب الاخلاق

اعلم انا انما بداناه لانه كلام
في قوام النفوس وتطهيرها عن دنس الاوزار وتبعيدها عن اوضار الاثام حتى تظفر
بالسعادة الاخروية وتفوز بالكرامات السرمدية **قال مولانا الامام
المويد بالله امير المومنين عليه السلام** فنقول المثال الصادق
في صلاح النفوس بمحو الرذايل والاخلاق الرديه منها وكسب الفضايل والاخلاق
الجميله اليها مثال البدن وعلاجه بازالة العلل عنه وجلب الصحة اليه فكما ان
الغالب على اصل المزاج الصحة والاعتدال وانما تعتري العلل العارضة من جهة عوارض
الاغذيه وتغير الاهويه وتعاقب الاحوال فهكذا كل مولود فانه يولد معتدلا صحيحا
كما اشار صاحب الشريعة صلوات الله عليه بقوله كل مولود يولد على الفطرة
وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي يكسب الرذايل بالتعود والتعليم والنقايص وهكذا حال
البدن لا يخلق كاملا وانما يكمل بالتربية والاغذية فهكذا حال النفس فانها تخلق
ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق بالعلم فكما ان البدن

اذا كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب
الصحة اليه فكذلك النفس مثلا ان كانت طاهرة زكية مهذبة الاخلاق فينبغي ان يسعى
في حفظها وحفظ صفاتها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة
الكمال والصفا فينبغي ان يسعى في جلب ذلك اليها فكما ان العلة المغيرة لاعتدال المزاج الموجبة
للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة عولجت بالبرودة وان كانت من برودة عولجت بالحرارة
فهكذا حال الرذيلة التي هي مرض القلب فعلاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالعلم ومرض
البخل بالسخا ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهيات بالتكلف وكما
لابد من احتمال مرارة الدوا في علاج الابدان فلابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر عليها
في المداواة مرض القلوب فاذا تمهدت هذه القاعدة فلنذكر رياضة القلوب ثم نذكر
رياضة الابدان ثم نردفه برياضة الاطفال فهذه ابواب ثلثة نذكرها
ونفصلها بمشية الله سبحانه

الباب الاول في رياضة القلوب وشرح عجايبها

اعلم
ان شرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف المخلوقات استعداده لمعرفة الله
التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الاخرة عدته وذخره وهو القلب فانه انما يتعب
لمعرفة الله تعالى لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله تعالى وهو العامل لله والساعي
الى الله والمتقرب اليه والجوارح انما هي اتباع وخدم له والات يستخدمها القلب ويستعملها
استعمال الملك للعبيد والراعي للرعية ويشتمل على لطايف واسرار نشير الى المهم منها
بمعونة الله نوردها في مطالب ستة

المطلب الاول في بيان ما ينطلق عليه لفظ القلب

ويطلق على معنيين المعنى الاول منهما على اللحم الذي يكون في الجانب الايسر
من صدر الانسان دقيق الاعلى عريض الاسفل على شكل الصنوبره وهو لحم مخصوص وفي باطنه
تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهذا القلب موجود للبهايم بل هو موجود
في حق الميت والكلام في شكله وكيفيته ليس يتعلق به شي من الاغراض الدينيه
وانما يتعلق به غرض الاطبا المعنى الثاني وهي اللطيفة الالهية التي يتعلق بها
المقاصد الدينيه وهي العالمة المدركة وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي
المخاطبة والمطالبة والمثابة والمعاقبة ولها تعلق مع القلب الجسماني وقد تحير
اكثر عقول الخلق في ادراك وجه العلاقة بينهما هل تضاهي تعلق الاعراض بالاجسام
والاوصاف بالموصوفات او تعلق الصورة بالمراة او تعلق المكان بالمتمكن فيه
او غير ذلك من سائر الاضافات والبحث عن ذلك فيه ليس ذلك من همنا وانما همنا اصلاحه على اي وجه
كانت حقيقته وهكذا حال الروح فانه يطلق على معنيين احدهما الجسم اللطيف منتشر في
سائر الجسد وثانيهما على اللطيفة التي هي العالمة المدركة
[illegible] وهكذا حال النفس فانها تطلق على المعنى الجامع لقوتي
الغضب والشهوة في الانسان وعلى اللطيفة التي هي العالمة المدركة الامرة الناهية فهذان معنيان

ايضا وهكذا قال العقل فانه يطلق احدهما على معنيين على اللطيفه التي اشرنا اليهما فانها
هي العاقله المثابة المعاقبة وثانيهما على العلم بالحقائق المنفردة والمركبة فهذه حقايق
اربعة القلب والروح والعقل والنفس فالفاظها متغايرة اربعة والمعاني خمسة والخامس
هو الجامع لها وهي المتفقه عليه فالقلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانيه والعلوم
العقليه فهذه اربعة والخامس هو اللطيفه المدركه العاقله التي هي متصفه بالصفات
التي ذكرناها من الاحساس والعلم والادراك فهذا ما اردنا ذكره من شرح معناه

المطلب الثاني في بيان الخاصه لقلب الانسان ومثاله وجنوده فاما الخاصه
فاعلم ان الله سبحانه قد انعم على ساير الحيوانات سوى الادمي بالشهوة والقدرة
والحيوة والحواس الظاهرة كالسمع والبصر حتى انه الهمها الى ضروب من الالهامات العجيبه
[من الاشياء التي] مما يكون فيه مصالح لها ومصالح للعباد ولهذا فانك ترى الشاة تهرب ممن ابصرته
لما تعرفه من عداوته لها لكن الادمي قد خص الله قلبه بخصايص لاجلها عظم شرفه
واستحق القرب من الله وهذا هو العلم بالامور الدينيه والامور الاخرويه والحقايق
العقليه فان هذه الامور وراء الامور المحسوسه ولا مشاركه فيما بينه وبين ساير
الحيوانات فيها كالعلم بالامور الخبريه التي عنادة الحمار يشبه كالعلم بانكسار الزجاج
واغراق الما واحراق النار وغير ذلك وغير العلوم النظريه فانها متولده عن المقدمات
الضروريه وحاصله عنها فتحصل من مجموع ما ذكرناه ها هنا ان تميز الانسان تكون
بخاصتين **الخاصه الاولى** العلم [هو العلم] واشرف انواع العلم بالله تعالى وصفاته الذاتيه
كالعالميه والقادريه وساير الصفات السلبيه والايجابيه وعلوم الحكمه في افعاله فان
باحراز هذه العلوم يحصل كمال الانسان وبكماله احراز السعادة الاخرويه والفوز بجوار الله
ذي دار كرامته **الخاصه الثانيه** [الحكمة بهاء] وتعني حالة للنفس يدرك بها الصواب من الخطا
في جميع افعاله فيكون مطابقه لمنهاج الحق ومسلك الصواب واليه الاشارة بقوله تعالى
وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فلا افضل له الا باحراز هذين الامرين ومصداق ما قلناه ان الانسان
من حيث انه يتغذى وينمو فهو نبات ومن حيث انه يحس ويتحرك بالاختيار فهو حيوان ومن حيث الصورة
والقامة فهو كالصورة الحاصله من شمع او خشب وانما خاصيته معرفة حقائق الاشيا
فمن استعمل جميع اعضايه وقواه على جهة الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملايكه

تحققوا ان يكون لاحقا بهم وجديرا ان يسمى ملكا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم
ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنيه ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى
حضيض البهايم فيصير اما غمرا كالثور واما شرها كالخنزير واما ضاريا كالكلب
واما حقودا كالجمل او متكبرا كالنمر او ذا روغان كالثعلب او يجمع ذلك كله
كالشيطان المريد وما من عضو من اعضايه الا ويمكن استعماله والاستعانة به
على الطاعة لله تعالى والوصول به الى السعادة الاخرويه فيكون لقا الله مقصده
والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله من اجل ذلك كان الانسان متميزا بما
ذكرناه **واما الامثله** فاعلم ان الله تعالى قد ركب الانسان تركيبا عجيبا
وقومه فاحسن تقويمه ولنذكر الامثله الداله على نهاية الحكمة فيه وجملتها ثلثه
المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه كمثل وال في مدينته ومملكته
فان البدن مملكة للنفس وعالمه ومستقره وقواه فاما جوارحه فهي بمنزلة
الصناع والعمال فاما العقل فهو بمنزلة المشير الناصح والوزير العاقل واما الشهوة
فهي كالعبد السو يجلب الطعام والميرة الى المدينه واما الغضب والحميه فهما
كصاحب الشرطه والعبد الجالب الجبن كاذب مكار مخادع خبيث يتمثل
بصورة الناصح وتحت نصحه الشر القاتل والشر الهايل ولا يزال ينازع الوزير
في كل تدبيره فالوالي في مملكته متى استشار هذا الوزير المرشد وهو العقل
صلحت المملكه واستقامت احواله ومتى كان مستشيرا لهذا العبد الخبيث
مرج الامر وفسد الملك فهكذا حال النفس متى كانت مطيعة للشهوة موطوة
بقدمها كانت كما قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ومتى كانت
مطيعة للعقل كانت كما قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنه هي الماوى **المثال الثاني** وهو ان البدن كالمدينه والعقل كمثل
ملك مدبر لها والحواس بمنزلة الجنود والاعوان والاعضا بمنزلة الرعيه
والنفس الامارة بالسو هي الشهوة والغضب بمنزلة عدو ينازعه في مملكته
ويسعى في هلاك رعيته فان جاهد عدوه وقهره على ما يجب حمد اثره واستقام ملكه
وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وبطل امره وكان خاسرا عند الله تعالى
المثال الثالث مثل العقل كمثل فارس متصيد والشهوة كالفرس والغضب
بمنزلة الكلب فمتى كان الفارس حاذقا والفرس مروضا والكلب مودبا معلما
كان جديرا بالنجاح ومتى كان الفارس اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا
فلا فرسه منقاد له للحاجه ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب
فضلا عن ان ينال ما طلب فخرق الفارس مثل لجهل الانسان وقلة حكمته وجماح الفرس

مثل لغلبة الشهوة في البطن والفرج وعقر الكلب مثل الغضب واستيلائه فهذه
الأمثلة التي أوردناها جعلناها أمثلة لخلقة الإنسان وتركيبه **وأما جنوده**
فاعلم أن الله تعالى يقول وما يعلم جنود ربك إلا هو ولله تعالى في الأرواح جنود مجندة
ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالقلب في حكم الملك والجنود في حكم
الخدم والأعوان فهذه فائدة الجند ومعناه فاليد والرجل والعين والأذن واللسان
وسائر الأعضاء جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد
لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع خلافه ولا تمردا عليه فإذا
أمر العين بفتح الجفن انفتحت وإذا أمر الرجل بالمشي مشت وإذا أمر اللسان بالكلام
تكلم وهكذا سائر الأعضاء منقادة لأمره مسخرة له مدبرة تحت أمره **وجملة
الأمر** أن جنوده أصناف خمسة الصنف الأول هذه الأعضاء التي ذكرناها
كاليد والرجل وسائرها الصنف الثاني الحواس الخمس وهي اللمس والذوق
والشم والبصر والسمع الصنف الثالث القدرة فإنما هي آلة في هذه الأفعال
كلها وبها تحصل الآثار الفعلية الصنف الرابع الإرادة وهي الباعثة على هذه
الأفعال المحصلة لها ولوقوعها على الأوجه المختلفة الصنف الخامس العلم
والحكمة والفكر فإن هذه الأمور كلها لا بد من وجودها وحصولها تحقيقا
أن يستعين بهذه الآلات التي هي بمنزلة الجند على حوز السعادة الأخروية
ونجاة النفس من عذاب الله فإن هو ترك الاستعانة وحكم على نفسه الغضب
وقوة الشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وهذا حال أكثر الخلق فإن
عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء أوطار الشهوات
فضلوا عن طريق النجاة ومالوا عن منهاج الجنة وكذلك خلقت النفوس مطبوعة
على الشهوات العاجلة وإيثارها فحصل من مجموع ما ذكرناه ها هنا بيان خاصية
ومعرفة جنوده وبيان أمثلته بالإضافة إلى جنوده والآلة التي هي كالخدم في
حقه والله أعلم

المطلب الثالث في بقية أوصاف القلوب بالعلوم

وغيرها من سائر الصفات المضافة إليها اعلم أن محل العلوم هو القلب
وهو بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى الصور المنطبعة فيها
فإن لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة فتنطبع في مرآة القلب وتتضح
بها فكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها غير فهذه ثلاثة أمور فهكذا
ها هنا ثلاثة أمور القلب وحقائق المعلومات وحصول تلك الحقائق في القلوب
فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه مثال حقائق المعلومات والمعلوم عبارة عن
حقائق الأشياء كلها والعلم عبارة عن حصول المعلوم في القلب كما مثلناه في

المرآة من غير تفرقة بينهما وهو أوقع مثال في حق القلب والعلم والمعلوم وكما
أن المرآة لا ينكشف فيها الصور لأمور تعرض فيها وجملتها خمسة أولها نقصان
الصورة كالمرآة من الخشب فإنه لا يحصل فيها صورة لبطلان الجوهرية وثانيها
الصدا والكدورة وإن كانت الجوهرية حاصلة وثالثها العدول بها عن جهة
الصورة كما لو كانت وراءها ورابعها الحجاب المرسل بين المرآة والصورة
وخامسها عدم النور المتصل بالمرئي فهكذا حال القلب فإنه مرآة مستعدة
لأن تتجلى فيها الحقائق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم لمثل هذه
العوارض أولها نقصان القلب كما نقوله في قلب الصبي وثانيها كدورة
المعاصي فإنها مطخية للقلب وثالثها أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة
فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافيا فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس
طالبا له ولا يصرف نفسه وفكرته إلى التأمل فلهذا لم يحصل له العلم ورابعها
الحجاب فإن المطيع إما لم يحصل العلم الحق فإنما يحجب نفسه باعتقاد الجهل الذي
سبق إلى نفسه في الصبا على جهة التقليد وخامسها عدم نور التوفيق من جهة
الله تعالى فهذه الأسباب كلها هي المانعة من معرفة حقائق الأمور والأكمل
قلب فهو صالح بالفطرة لمعرفة الحقائق لأنه جوهر شريف مفارق لسائر الأعضاء
والجوارح بهذه الخاصة التي أشرنا إليها وكما أن الإنسان متصف بهذه الصفات
المحمودة فقد تجتمع فيه أنواع من الأوصاف الذميمة الخسيسة وجملتها أمور ثلاثة
السبعية والبهيمية والشيطانية الصفة الأولى السبعية فهو من حيث تسلط عليه
الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب
والشتم وأنواع الأذى بحيث لا يرعوي عن ذلك الصفة الثانية البهيمية فهو
من حيث غلبت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الجمع والحرص والشبق وكثرة الأكل
والشرب الصفة الثالثة الشيطانية من جهة أنه متميز عن البهائم مع مشاركته
لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فكان شريرا استعمل الحذق في استنباط
الحيل والخداع والمكر ويتوصل إلى تحصيل الأغراض بأعمال كل حيلة ويظهر الشر
في معرض الخير وهذه هي أخلاق الشياطين فكل إنسان فيه شوب من هذه
الشوائب الثلاث أعني السبعية والبهيمية والشيطانية وكل ذلك مجموع في
القلب وكأن المجموع في إهاب الإنسان خنزير وكلب وشيطان فالخنزير هو الحرص
والكلب هو الغضب فإنه السبع الضاري والشيطان هو الشهوة فهذه آفات
اجتمعت في مملكة وملاك ذلك كله العقل فإذا كان الإنسان محكما له فهو السلطان
القاهر عليها وحصلت النجاة من ذلك وإذا كان مقهورا لغلبة الشهوة والكبر

وموطواً القد مهلخصل الهلاك نعوذ بالله منه ٥

المطلب الرابع في بيان تسليط الشيطان على القلوب بالوسوسة

اعلم ان القلب هو مهبط الرحمة والملائكة ومعترك الشياطين والغضب ومصداق ذلك قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وفي حديث اخر قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع الى غير ذلك من الاحاديث ٥ فاذا تقررت هذه القاعدة فالحاصل من الخير انما هو سبب الاثار الحاصلة في القلب وما يحصل من الشر فهو من الاثار الحاصلة فيه ايضا والباعث على تلك الاثار جهات ثلث **الجهة الاولى** هي الاسباب الظاهرة كالحواس الخمس فانه اذا ادرك بالحواس شيئا فانه يحصل منه اثر في القلب فاذا شاهد الانسان ما يحبه فانه يثير المحبة والمودة والملامة واذا شاهد ما يكرهه فانه يحصل الغضب والسخط ولهذا كانت الكراهة مشيدة اثار العداوة والبغض **الجهة الثانية** الاسباب الباطنة كالخيال والشهوة والغضب والخلائق المركبة في مزاج الانسان فان الشهوة اذا هاجت بكثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثار وان لم يحصل هناك شيء من جهة الحواس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء ويحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثير دائما من هذه الاسباب **الجهة الثالثة** الخواطر الحاصلة في القلب ونعني بالخواطر ما يعرض من الافكار والاذكار فانه يحصل هناك اعتقادات وعلوم وظنون على جهة التجدد وعلى سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انما تخطر في القلب بعد ان كان غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات ثم تبدا الافعال الخواطر ثم الخواطر تحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك الاعضاء ثم ان الخواطر المحركة للرغبة منقسمة الى ما يدعو الى الشر وهو ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير وهو ما ينفع في الدار الاخرة فهما خاطران فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم ان سبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيا به القبول للالهام المعاني المختلفة تفتقر الى الالقاب مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى من شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه الله تعالى وسخره من اجل ذلك والشيطان عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند

المهم

المهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك فالشيطان يضله ويغويه والملك يرشده ويهديه حتى جاهد الانسان نفسه بطرح الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملكية صار قلبه مستقر الملكية ومهبطهم وان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عشا للشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرتع الشيطان ومرعاه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك وعد بالخير وتصديق للحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمده ولمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ٥ فقد اتضح بما ذكرناه من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان والله اعلم بالصواب

المطلب الخامس في بيان مداخل الشيطان الى القلوب

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن رفيع والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواقع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان فرض عين واجب على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد نحو الشهوة والغضب والحسد والطمع وغيرها وهي كثيرة ولكنا نشير الى معظم وسائله في اغواء الخلق وتسلطه عليهم بها وتحملهما ومسائل عشرة نذكرها ونذكر كيفية علاجها والتخلص منها ٥ فهذان تقريران **التقرير الاول** في ذكرها **الوسيلة الاولى** الحسد والحرص فمن يحصل فيه هتان الخصلتان عمي وصم وهما من اعظم مداخل الشيطان واكبر وسائله وقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينة شخصا لم يعرفه فقال له نوح من ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك فقال نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا احدثك باثنين فاوحى الى نوح انه لا حاجة لك الى الثلاث مره يحدثك بالاثنين فقال هما اللتان لا يكذباني هما اللتان لا يخلفاني بهما اهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما وبالحرص ابيحت حاجتي من ادم ابيح لادم الجنة كلها الا الشجرة التي عرف بها فوسوست له حتى اكلها **الوسيلة الثانية** الشهوة

والغضب فانهما من اعظم المكايد للشيطان فمهما غضب الانسان لعب به الشيطان وعن
بعض الانبيا انه قال لابليس باي شي تغلب ابن ادم قال اخذه عند الغضب وعند الهوى
وظهر ابليس لراهب فقال اي اخلاق بني ادم اعون لك عليهم قال الحدة ان العبد اذا كان
حديدا قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة وقيل لابليس كيف تغلب ابن ادم
فقال اذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب جيت حتى اكون على راسه
الوسيلة الثالثة حب الشهوات والزينة في الدنيا في الثياب والدور والاثاث والمراكب
فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى
عمارة الدنيا وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع الابنية ويدعوه الى التزين بالاثواب
النفيسة ويستسخره طول عمره فاذا اوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته فان بعض
ذلك يجر الى بعض فلا يزال يوديه من شي الى شي الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في
بحر الاماني يعوم وفي سبيل الضلالة يخوض ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة نعوذ بالله منها
الوسيلة الرابعة الطمع فاذا كان الطمع غالبا على القلب لم يزل الشيطان
يحسن له التصنع لمن طمع فيه حتى يظن المطموع فيه كانه معبوده وقد قال الرسول صلعم
اياكم واستشعار الطمع فانه يشرب القلب شدة الحرص ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا وهو
مفتاح كل سيئة وسبب احباط كل حسنة وهو الغاية في الخسران والهلاك الوسيلة
الخامسة العجلة في الامور وكثرة الطيش والفشل وروي عن رسول الله
صلعم الاناة من الله والعجلة من الشيطان وروي انه لما ولد عيسى علم ان الشياطين ابليس
فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى
جا خافقي الارض فلم يجد شيا فوجد عيسى عم قد ولد فاذا الملائكة قد حفت حوله فقال
لهم ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حضرتها الا هذا فايسوا
من عبادة الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ايتوا بني ادم من قبل الخفة والعجلة الوسيلة
السادسة الفتنة بالدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال والعروض والدواب
والعقارات وكل ما يكون فضلة على قدر الحاجة والقوت فهو مستقر الشيطان وروي ان
الرسول صلعم لما بعث قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا
ثم جاوا فقالوا ما ندري فقال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجا وقال قد بعث محمد صلعم قال
فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب الرسول صلعم فينصرفون خايبين فيقولون ما صحبنا قوما
قط مثل هولا نصيب منهم ثم يقومون للصلوة ثم يمحون ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله
ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم الوسيلة السابعة البخل وخوف
الفقر فان البخل هو اصل لكل خطيئة وروي عن ابليس انه قال ما غلبني ابن ادم فلن يغلبني
في ثلث امره ان ياخذ المال من غير حقه وينفقه في غير حقه ويمنعه من مستحقه وقال

سفين

سفيان الثوري ليس للشيطان سلاح على الانسان مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه
اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء وهو من اعظم الافات
على الدين الوسيلة الثامنة سوء الظن بالمسلمين فان الشيطان يبعثه وقد قال
تعلى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن حكم بشر على غيره بالظن فان الشيطان
يبعثه على ان يطول فيه لسانه بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانا في
اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار او يرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات فمهما رايت
انسانا يسي الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن فان المومن يطلب
المعاذير والمنافق يطلب العيوب للخلق الوسيلة التاسعة الشبع من الطعام
والتانق في الماكل الفاخرة فان الشبع يقوي الشهوات وهي اسلحة الشيطان التي بها
يصول وروي ان ابليس ظهر يوما ليحيى ابن زكريا عم وعليه معاليق من كل شي فقال له
يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق فقال هذه هي الشهوات التي اصيب بها بني ادم فقال هل لي فيها
شي فقال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر فقال هل غير ذلك فقال لا فقال يحيى
علي لله ان لا املا بطني فقال ابليس علي لله ان لا انصح مسلما الوسيلة العاشرة تعاطي العوام
الذين لم يمارسوا العلوم ولا يتبحروا فيها بالتفكر في ذات الله تعلى وصفاته وفي الامور
التي لا تبلغها عقولهم حتى يودي ذلك الى الاعتقادات الكفرية وهم لا يشعرون وهم في غاية
ما يكون من الفرح والسرور والاطمينان الى ما وقع في صدورهم وهم في غاية الخطا
ويظنون ان ما اعتقدوه هو العلم والبصيرة فما هذا حاله يكون من اعظم الابواب حيلة
للشيطان في اللعب بعقولهم وايقاعهم في الامور المكروهة فهذه وسايل الشيطان ومداخله
الى القلب وهي كثيرة وفيما ذكرناه تنبيه على ما وراها وعلى الجملة فليس في الادمي صفة مذمومة
الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله التقرير الثاني في بيان العلاج في
دفعها وازالتها اعلم ان علاج هذه الامور وازالتها انما يكون بالرجوع الى الله
تعلى والالتجا اليه في دفعها وازالتها وبالاجتهاد في قلع هذه الصفات المذمومة عن
القلب وبالعناية في ذكر الله تعلى فهذه دوافع ثلثة نذكرها الدافع الاول
يكون بالالتجا الى الله تعلى بالدعا وتحصيل الالطاف الخفية وابعاد الشياطين وازالتهم
وعن عبد الرحمن ابن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي الرسول صلعم بيده شعلة نار فيقوم بين
يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عم فقال قل اعوذ بكلمات
الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل
من السما وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير
يا رحمن فطفيت شعلته وخر على وجهه وعن الحسن البصري انه نبيت ان جبريل اتى الرسول صلعم
فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي وعن الرسول صلعم انه

انه قال النبي شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه والذي بعثني بالحق نبيا ما ارسلته
حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة اخي سليمان لاصبح طريحا حتى ينظر واليه

الدافع الثاني لعنايه في ازاله هذه الصفات المذمومه من القلوب وقلعها

منها فان الشيطان مثل الكلب في التسليط على الانسان فاذا كان الانسان متصفا بهذه الصفات
الذميمة من الحسد والغضب والحرص والطمع وغيرها كان بمنزله من يكون بين يديه
خبز ولحم فان الكلب لا محالة يهوي عليه ويثب ولا يندفع واذا لم يكن متصفا بها
لم يطمع فيه لانه لا داعي له هنالك ويكون دفعه باسهل ما يكون والسر فانه انما
يندفع بالنهر والخسا فتزال بنقايضها فيزال الغضب بالرضى والسكينة ويزال الكبر
بالتواضع ويزال الحسد بمعرفة الحق للمحسود وان الذي خصص به فضل من الله فلا يمكن
دفعه ويزال الطمع بالورع والاكتفا بما اعطاه الله تعالى ويزال الحرص بتحقق حال الدنيا
وانقطاعها بالموت وهكذا يفعل في كل خصله مذمومه بالاجتهاد في ازالتها

الدافع الثالث ذكر الله تعالى واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والمعنى انهم اذا الم بقلوبهم شي من هذه الصفات
الذميمة فزعوا الى الله تعالى وتذكروه فعند ذلك يحصل البصر لهم في عواقب امورهم

نعم الذكر لا يكون طاردا للشيطان الا اذا كانت القلوب معمورة بالخوف والتقوى
فاما اذا كانت خاليه فربما يكون الذكر غير مجد ومثال هذا من يطمع في شرب الدوى
قبل الاحتما والمعده مشحونه بغليظ الطعام ويطمع في انه ينفعه كما ينفع الذي شربه
بعد الاحتما وتخليه المعده عن الاطعمه فالذكر هو الدوا والتقوى هو الاحتما فاذا حصل
الذكر في قلب فارغ عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العله بنزول الدوا في معدة
خالية عن الاطعمه كما اشار اليه تعالى بقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب

المطلب السادس في بيان ما يواخذ به العبد من وسواس القلوب وما يعفى عنه اعلم ان هذا امر غامض ولا يدرك الا بالفكرة الصافيه
ويخفى على الاكثر ولا يدركه الا اهل البصاير وتنازعه العلما وموارده الشرع وقد وردت
فيه ايات واخبار متعارضة فمما يدل على العفو قوله صلى الله عليه وسلم تجاوز الله عن امتي ما حدثت
به انفسها ما لم تقل او تفعل وفي حديث اخر يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة
فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة وان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة واذا هم
بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا ففي هذا دلالة على العفو
عن عمل القلب في الهم بالسيئة وفي حديث اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتب الله له حسنة
ومن هم بحسنة فعملها كتب له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب وان
عملها كتبت واحده وفي حديث اخر اذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها

وكذلك

وكذلك دال على العفو وكقوله تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم وهو
ما الم بالقلب من العزوم والارادات واما ما يدل على المواخذه فقوله تعالى وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اولئك
كان عنه مسولا فدل ذلك على ان عمل الفواد كعمل السمع والبصر فلا يعفا عنه وقال ولا
تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم

والحق في هذه المسألة لا يوقف عليه الا بعد الاحاطة بتفصيل الاعمال
من مبدا ظهورها الى ان يظهر الفعل على الجوارح فنقول للقلب قبل عمل الجوارح
اربعة احوال الاولى منها الخاطر الذي يرد على القلب كما لو خطر له على باله صورة
امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها الثانيه حركه الشهوه وهيجان الرغبه
التي في الطبع ونزوع النفس فما هذا حاله فانه يتولد من جهه الخاطر ويسمى هذا ميل الطبع
الثالثه حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها وهو على كل حال حكم للفعل على القلب
الرابعة تصميم العزم وجزم النيه فيه وما هذا حاله يسمى عزما فهذه كلها اربعة احوال للقلب
كما ترى فاذا تقررت هذه القاعدة فالمختار انه لا تقع المواخذه بشي من الاحوال الثلثه
المتقدمه اعني الخاطر وحركه الشهوه وحكم القلب فان هذه الامور لا تدخل تحت الاختيار
فهذه الامور كلها ليس فيها جزم على الفعل فكلها احاديث النفس والتي يعبر عنها بالخاطر
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم تجاوز الله عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تقل او تفعل واما
الحالة الرابعة وهي تصميم العزم وتجديد القصد ففيه تقع المواخذة وفيه وقع التردد
بين المتكلمين هل يكون هذا العزم مشاركا لمعزومه في الحكم ام لا فقالت طايفه يكون مشاركا
للفعل على الاطلاق في كونه كفرا او فسقا وذهبت طايفة اخرى الى انه غير مشارك بحكم
حاله وقالوا ان الله يتجاوز عن هذه العزوم والارادات وصار صايرون الى التفرقه فان
كان العزم مشاركا للفعل المعزوم عليه بحكمه حكمه في الكفر والفسق وان كان غير مشارك
للفعل المعزوم عليه في كونه كفرا او فسقا لم يكن مشاركا له والعزم على الاستخفاف بالله تعالى
وبانبيايه يكون كفرا لما كان مشاركا له في الوجه الذي صار به كفرا وهذا هو المختار من
جهة ان العزوم والارادات امور مضافة الى الافعال فلهذا كانت لاحقة بها وعلى
ما ذكرناه من التفصيل يتضح الامر فيحمل المواخذة على العزوم والارادات ويحمل ترك المواخذه
على ما ذكرناه من الاحوال الخاصله للقلب قبل ظهور اعمال الجوارح والبرهان القاطع على
صحة ما فصلناه قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشا
ويعذب من يشا فان هذه الايه لما نزلت جا اقوام من الصحابة وقالوا يا رسول الله كلفنا ما لا
نطيقه ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه وكيف نحاسب على ذلك
فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا كما قالت بنو اسرايل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى

لم يكن لا حقا به … [illegible] … ان العزم على … المسكر … [illegible]

[illegible]

الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيدل على ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال
القلوب لا يواخذ الله به وقوله اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول فقال لانه اراد قتل صاحبه وفي هذا دلالة على ان
كل فعل يدخل تحت الاختيار من اعمال القلوب فانه مواخذ به وفيه صحة التقسيم الذي
ذكرناه وقد فرغنا من الباب الاول في الكلام في رياضة القلوب

الباب الثاني في رياضة النفوس وتهذيب الاخلاق

واعلم ان الاصل في تهذيب الاخلاق وتطهيرها عما يكون شائنا لها هو حسن الخلق فانه هو صفة سيد الانبيا وافضل
اعمال اهل الصدق وهو على التحقيق شطر الدين فهو ثمرة مجاهدة اهل التقوى ورياضة ارباب
العبادة والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والبلوى المهلكة والمخازي الفاضحة والرذائل
الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المخرطة لصاحبها في سلك الشيطان
اللعين وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان
الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن
وتمام المقصود يحصل من هذا الباب ببيان مقاصد خمسة

المقصد الاول في بيان حقيقة حسن الخلق وبيان معناه

اعلم ان كثيرا من مشايخ الطريق في التصوف قد تكلموا في حقيقة
حسن الخلق واكثر كلامهم يميل الى بيان ثمرته وتفصيل ثمرته واعرضوا عن ذكر ماهيته وحقيقته
فحكي عن الحسن البصري انه قال حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى
وحكي عن بعضهم انه قال حسن الخلق هو ان لا تخاصم ولا تخاصم من شدة معرفة الله تعالى
وقال الاخر هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال اخرون هو ان يكون بين الناس غريبا ومنهم قريبا
وقال غيره هو الرضا بالخلق في السراء والضراء وحكي عن بعضهم انه قال هو الرضى عن الله تعالى وسئل
بعضهم عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له
والشفقة عليه وحكي عن امير المومنين كرم الله وجهه انه قال حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب
المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال وقال الاخر هو الا يوثر فيك جفا الخلق بعد
مطالعتك للحق وقال اخر هو الا يكون لك همة سوى الله فهذا وامثاله انما هو تعرض
للاحكام والثمرات دون الحقيقة والماهية ونحن نفصل ما نشير اليه فنقول الخلق والخلق
عبارتان مستعملتان معا فيقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الباطن والظاهر فيراد
بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح مدرك
بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما حسنة ولا شك ان النفس المدركة
بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بحاسة البصر ولهذا عظم الله امرها بالاضافة
الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى فالخلق

الصورة الظاهرة الكاملة ويراد بالخلق

عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال الحاصلة بسهولة ويسر من غير حاجة الى
فكر وروية فاذا كانت هذه الهيئة تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت خلقا
حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا فحصل من
مجموع ما ذكرناه هاهنا ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الفم والانف
والخد بل لابد من حسن الجميع حتى يتم حسن الخلق فهكذا حال الخلق لا يتم الا بكمال الخصال
التي نفصلها بعد هذا بمشيئة الله تعالى وانما قلنا في الماهية انها هيئة راسخة لان كل من يصدر
منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك منه ويرسخ وانما
قلنا انه يصدر عنه الافعال بسهولة من غير روية لان كل من تكلف بذل المال والسكوت
عند الغضب بجهد ومشقة منه لا يقال خلقه السخا والحلم واعتبرنا صدور الافعال المحمودة
وهي كثيرة ولكن امهاتها اعني اصول الخصال اربع الحكمة والشجاعة والعفة والعدل

الخصلة الاولى الحكمة

ونعني بها حالة للنفس تدرك بها الصواب من الخطا في جميع الافعال الاختيارية لان الحكمة هي ثمرة قوة العقل فمتى حصل الاعتدال في العقل فانه يثمر حسن التدبير
وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا الاسرار
فاذا افرط في الى يخرج منها حصل المكر والخداع والدها ومتى حصل التفريط فانه يثمر البله
والغمارة والحمق والجنون

الخصلة الثانية الشجاعة

ونعني بها كون قوة الغضب
منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ومتى وجدت فانه يثمر الكرم والنجدة والشهامة
وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وهذه كلها
اخلاق محمودة واما افراطها فهو التهور ويصدر عنه الصلف والتكبر والعجب والحرق
والاستشاطة والبذخ واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة
وصغر النفس والضعف عن تناول الحقوق الواجبة

الخصلة الثالثة العفة

ونعني بها تأدب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع ومتى كانت حاصلة فانه يصدر
عنها السخا والحيا والمسامحة والقناعة والورع والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة
الطمع واما ميلها الى الافراط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير
والتقتير والريا والجور والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنيا واستحقار الفقرا
وغير ذلك من الصفات المذمومة واما تفريطها فيحصل البخل واللوم والانقباض
والوحشة

الخصلة الرابعة العدل

ونعني بها حالة للنفس وقوة بها تحصل السياسة
للغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها على الاسترسال والانقباض على
حسب مقتضاها واما الافراط فيه يورث الشح والانقباض يورث الظلم والفساد والتفريط فهذه
هي امهات محاسن الاخلاق وهي الجامعة للفضائل فمتى حصلت على جهة الاعتدال فهي
الغاية ولم يبلغ كمال الاعتدال فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد

منه في هذه الاخلاق فكل من قرب في هذه الاخلاق واستحق ان يكون بين الخلق فهو
قريب فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله وكل من جمع كل هذه الاخلاق استحق ان يكون
بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع افعالهم ومن انفك عن جملة هذه
الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد فانه يكون قريبا من الشيطان
اللعين المبعد من رحمة الله وما بعث رسول الله الا لاجل ان يتمم مكارم الاخلاق فهذا ما اردنا ذكره
في حقيقة حسن الخلق وابانة معناه

المقصد الثاني في بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق وتحصيل ذلك من جهة الايات والاخبار والاثار فهذه جهات ثلث

الجهة الاولى الايات كقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وانك لعلى
خلق عظيم وقوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله تعالى فيما حكاه عن لقمن من الحكمة يا بني
اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر
خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا فقد اشار تعالى في هذه الايات الى شريف الخصال والى
محاسن الشيم وكلها دالة على حسن الاخلاق وفضلها وقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور وعلى الجملة فان القران كله دال على الاشارة الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب

الجهة الثانية الاخبار وهذا كقوله عليه السلام ثلاث من اخلاق اهل الجنة العفو عمن ظلمك
والاعطاء لمن حرمك والاحسان الى من اساء اليك وقوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
وقوله عليه السلام اثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول
الله ما الدين فقال الخلق الحسن ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه
فقال ما الدين قال حسن الخلق فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو الا تغضب
وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق
وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها
قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال حسن الخلق
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها
قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في
الميزان الخلق الحسن والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء
ولما خلق الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق والمراد ههنا خلق الكفر والايمان
هو العلم بهما وكتبتهما في اللوح المحفوظ على العبد دون الايجاد القدري كما هو راي الاشعرية وغيرهم
من فرق المجبرين وقال عليه السلام ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق
الا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق هو خلق الله الاعظم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي المؤمنين
افضل ايمانا فقال احسنهم اخلاقا وقال عليه السلام انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه
وحسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن ابن عمر قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن
الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة عن الرسول
صلى الله عليه وسلم قال شهدت الاعراب يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما خير ما اعطي المرء قال الخلق الحسن
وقال صلى الله عليه وسلم ثلث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي
الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باحبكم الي واقربكم مني
مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وسلم ان الخلق الحسن
ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد

الجهة الثالثة الاثار عن اهل الصلاح
والتقوى قال لقمن لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين
قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين
والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء
قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت هذه الخصال الخمس فهو نقي تقي لله تعالى ولي ومن
الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وان كان عابدا ويبلغ بسوء خلقه اسفل درك
في جهنم وقال الفضيل في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق
كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن
الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر وكان يحتمل
منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال ارحم عليه فارقته ومعه خلقه لم يفارقه وقال
الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخاء وحسن
الخلق وهو كمال الايمان وقال بعضهم سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن
الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم قال ما بين الله في كتابه ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وقيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس
بنيان الاسلام حسن الخلق وقال بعض الزهاد ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد
كماله الا المصطفى صلوات الله عليه واقرب الخلق الى الله السالكون اثاره بحسن الخلق

المقصد الثالث في بيان السبب الذي ينال به حسن الخلق

وقد قررنا فيما سبق ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال
قوة الغضب والشهوة وكونهما مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل له طرق ثلث
الطريق الاولى يكون بجود الاهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل

حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب فانهما خلقتا مطيعتين منقادتين للعقل
والشرع فيصير عالما بغير تعليم وادبا من غير تأديب وهذا كما كان عيسى عليه السلام ويحيى بن زكريا
عليهما وهكذا سائر الانبياء عليهم السلام ولا يبعد ان يكون في الفطرة والطبع ما قد ينال بالاكتساب
فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلاف ذلك فيحصل له هذه الاخلاق الحميدة
بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق الكريمة **الطريق الثاني** لاكتساب
هذه الاخلاق فهذا يكون بالرياضة والمجاهدة ونعني به حمل النفس على الاعمال التي
يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف
تعاطي فعل الجود وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه حتى يصير
ذلك له طبعا ويتيسر عليه فعله فيصير جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه
خلق التواضع وقد غلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة
وهو فيها مجاهد لنفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا وهكذا جميع الافعال
المحمودة والخلائق الجميلة شرعا انما تحصل بهذه الطريق وغايتها ان يصير الصادر منه لذيذا
بعد ان كان صعبا منفورا عنه والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق
الدينية في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة وان يترك جميع العادات السيئة
ما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة
ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادة وترك المحظورات
مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة الا بالاجتهاد والمواظبة ولهذا
قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع
ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعود بها على حسن الخلق استلذاذ
الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون على ذلك على الدوام و
الاستمرار في جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولهذا لما سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله تعالى ولهذا كره الانبياء والاولياء
الموت لما كانت الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر كان الثواب اجزل
والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها
في القلوب وانما يتأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان
ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء احب اليه من لقاء الله تعالى
فاذا عرفت هذا فما ذكرنا ان الاخلاق المحمودة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال
الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا **الطريق الثالث** يحصل بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة
ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع وان لم يشعر
للخير والشر جميعا فمن تظاهرت في حقه هذه الطرق الثلاث حتى صار فاضلا اما بالطبع

واما بالرياضة والتعلم واما بمقارنة اهل الصلاح والخير كان في غاية الفضيلة ومن كان
خائبا للرذالة بطبعه واتفق له الا قران السوء فصحبهم وتيسرت له اسباب الشر
حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى فتحصل من مجموع ما ذكرناه هاهنا ان هذه
الاخلاق المحمودة حاصلة بهذه الطرق الثلث والله الموفق للصواب **المقصد
الرابع في بيان علامات حسن الخلق** اعلم ان كل انسان فهو
جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه وادناها بترك كبائر المعاصي والفواحش
الظاهرة ظن في نفسه انه هذب نفسه فاحسن خلقه فاستغنى عن المجاهدة فلا بد من علامات
حسن الخلق ليكون الامر فيه واضحا فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو
النفاق وجملة ما نشير اليه من العلامات خمس تدلك على الاخلاق الحسنة
العلامة الاولى العرض على كتاب الله تعالى فقد ذكر الله تعالى صفة المؤمنين
وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق فقال تعالى في صدر سورة البقرة هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلاة الى قوله المفلحون وقال في سورة التوبة التائبون العابدون
الحامدون الى اخر هذه الاية وقال في صدر سورة المؤمنين قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون الى قوله الوارثون وقال في اخر سورة الفرقان وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونا الى اخر هذه الايات في صفة المؤمنين فمن اشكل عليه حاله
في الايمان فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن
الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها يدل على بعض ووجود البعض دون
البعض فليشتغل بتحصيل ما فقد منها وحفظ ما وجده **العلامة الثانية** العرض
على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه وصف المؤمنين بصفات كثيرة واشار بجميعها الى
محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره
ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وفي حديث اخر ذكر ان صفة الايمان
هو حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن
صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو
مؤمن وقال لا يحل للمؤمن ان ينظر الى اخيه نظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع
مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره
العلامة الثالثة سئل بعض الصالحين عن حسن الخلق فقال هو عشرة اشياء
قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات
والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب
نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن هو

او ليصمت

دونه وفوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة
للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وروي عن امير المؤمنين كرم الله وجهه
انه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانية فقام اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال
نعم فقال ما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه
الله **العلامة الرابعة** حكى عن بعض الصالحين الزهاد انه جمع علامات حسن
الخلق فقال ان يكون كثير الحيا قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل
الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا
شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا
ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في
الله ويغضب في الله وسئل صلعم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته
في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وحكى الحسن
ان الحسن عن جد الحسين والحسن انه قال احسن الحسن الخلق الحسن وما اكثر الاذى على
رسول الله صلعم حيث كان قريش قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولهذا قال تعالى في
معرض الثناء على رسوله صلعم مذكرا ما انعم به عليه وانك لعلى خلق عظيم **العلامة
الخامسة** حكى عن بعض الصالحين الزهاد في صفة المؤمن والمنافق فيه تنبيه على
حسن الخلق وسوئه قال المؤمن مشغول بالذكر والعمل والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن
ايس من كل احد الا من الله والمنافق راج لكل احد الا الله والمؤمن امن من كل احد الا من الله والمنافق
خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن
يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلا والمنافق يحب الخلطة والملا
والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة
فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واجمعها بحسن الخلق الصبر على الاذى
واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره فذلك دال على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى
ولقد كان رسول الله صلعم في غاية الاحتمال لكل اذى والصبر لله وقد شرح الله صدره
واتباعه من قبله من الانبيا بقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل **المقصد
الخامس في بيان الطرق التي يعرف بها الانسان عيوب نفسه**
اعلم ان الله اذا اراد بالانسان خيرا بصره عيوب نفسه
ومن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكن العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون
بعيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع في عيونهم فمن اراد الوقوف على
عيوب نفسه فله في ذلك طرق اربع **الطريق الاول** ان يكون جالسا بين يدي
استاذ او شيخ بصير بعيوب النفوس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته

في جميع احواله وهذا شأن من يريد الآخرة ويسلك طريقها ومن هذا حاله فهو عزيز وجوده
في هذا الزمان **الطريق الثاني** ان يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا
وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كان يكره من اخلاقه وافعاله ينبهه
عليه فهكذا كان يفعل اهل الصلاح وافاضل العلما ومن سلف من الائمة والخلفا وحكى عن عمر انه
كان يقول رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان رض عن عيوبه لما قدم عليه
وقال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفاه وابى والح عليه فقال له سمعت انك جمعت
بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال له عمر هل بلغك
شي غير هذا قال لا قال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة يقول انت صاحب
سر رسول الله صلعم في المنافقين فهل ترى علي شيا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو
حاله متهم لنفسه وحكى عن داود الطائي انه اعتزل الناس فقيل له الا تخالط الناس قال ما
اصنع باقوام يخفون عني عيوبي **الطريق الثالث** ان يستفيد عيوب نفسه
من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاجر
يذكره بعيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه
الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد والبغضا ولكن البصير لا
يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد ان تنتشر على السنتهم **الطريق
الرابع** ان يكون يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه بتركه
وما رآه محبوبا نسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب
نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك
القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شي منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما
يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا
عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجهال فجانبته فهذه
جملة الطرق الدالة على عيوب الانسان وهو نوع مجاهدة للنفوس وقد قال صلعم المؤمن بين
خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه وقال
بعض الزهاد تشتغل باشيا في الرياضة والرياضة بالصبر على اوجاع القوت من
الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام وليس على شي اشد
من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى وقال بعض الزهاد اجمع العلما واتفق الفضلا على ان النعيم
لا يدرك الا بترك النعيم والله اعلم بالصواب وقد نجز غرضنا من الكلام في رياضة النفوس
فنسأل الله ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بها وان يوفقنا للقيام بشكر ما
اطلعنا عليه من مساويها بمنه وفضله **الباب الثالث في بيان الطريق في رياضة
الاطفال في اول النشاة وتهذيب اخلاقهم وتاديبهم** اعلم

ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل
نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى ما يمال به اليه فان عود الخير تعوده ونشأ
عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان
عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه كالاب والوصي
والقائم بمصالحه وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان
الاب يصونه من نار الدنيا فان يصونه من نار الاخرة اولى ونحوه وصيانته تكون
بتهذيبه وتاديبه وتعليمه محاسن الاخلاق وشريف الشيم ويختلف فيه الاداب باختلاف
اوقاته واحواله في البدن فلنجعل على اربع مراتب **المرتبة الاولى في بيان**
الاداب المتعلقة باحوال الولادة وجملتها ثمانية **الادب الاول**
الا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري ان الخير له في ايهما وكم من صاحب ابن
يتمنى الا يكون له او يكون انثى بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل وقال صلى الله عليه وسلم
من ابتلي بشيء من هذه البنات فاحسن اليهن كن له سترا من النار وقال عليه السلام من كانت له ابنة
فادبها واحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليها من النعم التي اسبغ الله عليه
كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وعن انس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من
السوق الى عياله فكانما حمل اليهن صدقة حتى يضعها فيهن وليبدأ بالاناث قبل الذكور
فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار **الادب الثاني**
ان يؤذن في اذنه عند الولادة روى نافع عن ابيه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في اذن الحسين
حين ولدته فاطمة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى
واقام في اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيان **الادب الثالث** الختان في اليوم السابع
لما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه ختن الحسن والحسين في اليوم السابع ولان فيه مخالفة لليهود
لانهم يختنون في اليوم الثامن كما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم **الادب الرابع** التسمية للذكور
والاناث ويستحب ان يكون الاسم حسنا لانه ذكر من حق الولد على الوالد وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا سميتم فعبدوا وقال عليه السلام احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن ويستحب تسمية السقط
لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان السقط يظل محبنطئا على باب الجنة حتى يغفر لوالديه
يقول لابويه ضيعتماني وتركتماني لا اسم لي ومن كان له اسم يكره فيستحب له تبديله
الادب الخامس يستحب ان يكون اول ما ينطق لسانه به لا اله الا الله ليكون اول
حديثه كلمة التوحيد وليكون مولعا بذكر الله تعالى **الادب السادس** عن الرسول صلى الله عليه وسلم
العقيقة عن الذكر شاتان وعن الانثى شاة ولا باس بالشاة ذكرا كان ام انثى وروي عن الرسول
صلى الله عليه وسلم انه امر في الغلام شاتان وعن الجارية شاة **الادب السابع** يستحب ان
يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر روي انه عليه السلام امر فاطمة يوم سابع

الحسين ان تحلق شعره وتصدق بزنة شعره فضة **الادب الثامن** يستحب ان يحنك بتمرة او
حلاوة لما روي عن اسماء بنت ابي بكر انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل بطنه ريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبارك فيه وكان اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به
فرحا شديدا لانه قيل لهم ان اليهود سحرتكم فلا يولد لكم فهذه جملة ما يحصل من اداب الولادة والله
الموفق للصواب **المرتبة الثانية في بيان الاداب المتعلقة بالرضاع**
وجملة ما يمكن ان نذكره من ذلك اداب اربعة الادب الاول
المستحب الا يستعمل في حضانته ورضاعته الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل
من الحلال فيه البركة واللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت
طينته من الحرام فيميل طبعه الى ما يناسب الحرام من الخبائث المحرمات **الادب الثاني** يستحب
ان يكون رضاعه الى تمام الحولين لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن
اراد ان يتم الرضاعة ولما في ذلك من كمال التغذية باللبن لان الولد يحتاج بعد الحولين الى ما هو
اشد من اللبن وهو العيش **الادب الثالث** يجب على الام ارضاع الصبي اللبا وهو
ثلثة ايام وبعدها ان طلبت الام ارضاعه فهي احق سواء كان باجرة او من غير اجرة فان كان
غيرها يرضع من غير اجرة وهي لا ترضع الا باجرة فمن يكون احق فيه تردد والاقرب انها
احق بلا اجرة لان خلاف ذلك فيه مضارة بها وقد قال تعالى لا تضار والدة بولدها **الادب الرابع**
جميع الغرامات المالية من الكسوة والنفقة واجرة الرضاع كلها تكون في مال الولد اذا كان له
مال فان لم يكن له مال فانه يكون على الاب لقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف
فهذه الاداب كلها متعلقة بحال عدم التمييز والرضاع والحضانة وعدم الاستقلال بنفسه
المرتبة الثالثة اذا بلغ الصبي حالة التمييز ومهما بدت من الصبي
مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته ومطالعة احواله فاذا ظهر في وجهه انوار
الحياء وكان يحتشم ويستحيي من بعض الافعال حتى يراها قبيحة فهذه هبة من الله تعالى وبشارة
تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب ومن هذا حاله فهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ
فينبغي الا يهمل عن غاية الاعتناء في حقه بحسن الادب وجملة ما نشير اليه مما يعامل به من الاداب
امور احد وثلثون ادبا **الادب الاول** هو ان الغالب على الاطفال الشره في الطعام فينبغي
ان يؤدب فيه فلا ياكل الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اكله وليأكل مما يليه ولا يبادر
الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام ولا الى من ياكله **الادب الثاني**
ان يمنع من الاسراع في الاكل وان يمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين الاكلات ولا يلطخ اللقمة
ولا يلطخ ثوابه **الادب الثالث** يعود اكل الخبز من غير ادام في بعض الاوقات حتى يصير
بحيث لا يرى الادام حتما واجبا ويقبح عنده كثرة الاكل حتى يقتدي بذلك **الادب الرابع**

باب يشبه من يكثر الاكل
بالبهائم ويذم الصبي الذي يكثر
الاكل عنده ويمدح الولد في
الاكل قليل
الصبي

يحبب اليه الايثار بالطعام و قلة المبالاة به ويمدح الطعام الذي فيه خشونة اي طعام
كان حتى لا يكون مولعا بالطعام اللين فيصعب عليه مفارقته **الادب الخامس**
ينبغي ان يكون لباسه من الثياب البيض دون الثياب الملونة بالصباغات من المزعفر
والمعصفر وانواع الديباج والابريسم ويقرر عنده ان ذلك مما هو من لباس النسوان والرجال
الذين لا خير فيهم ولا دين لهم وان الرجال يستنكفون عن ذلك وينكر عليه ذلك **الادب
السادس** انه مهما راي على صبي ثوب من ديباج او حرير او ابريسم فينبغي ان ينكر
عليه ويذم على التبسه ويزال عنه بكل حال ولا يغتفر له ذلك **الادب السابع** ينبغي
ان يحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن
مخالطة من يرغب فيما ذكرناه فان الصبي اذا اهمل في اول نشوه خرج في الاغلب رديء الادب
الادب الثامن ينبغي ان يشتغل في المكتب بتعلم القرآن واخبار رسول الله صلى الله عليه
وخطب امير المؤمنين كرم الله وجهه في التوحيد ويعين في حفظ المواعظ الحسنة
واخبار الابرار وحكايات اهل الصلاح في الزهد في الدنيا وحسن الرياضة للنفس فيغرس في قلبه
حب الصالحين **الادب التاسع** ينبغي ان يحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق
ويحفظ عن مخالطة من هذه حاله في اتباع الهوى فان ذلك مهما انغرس في قلوب الصبيان
فانه يبذر الفساد في النفوس **الادب العاشر** ان يعود كتابة الخط ويحفظ الامثال
الشعرية فان ذلك صفة كمال وزينة وقد قال امير المؤمنين كرم الله وجهه عليكم بحسن
الخط فانه من مفاتيح الرزق **الادب الحادي عشر** اذا ظهر من الصبي فعل جميل وخلق
حسن فينبغي ان يكرم عليه ويجازى بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك
في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه
في وجهه ويظهر له ان مثل هذا لا يتجاسر عليه لا سيما اذا ستره الصبي **الادب الثاني
عشر** انه ان عاد الى ذلك فينبغي ان يعاتب عليه سرا ويعظم عليه الامر فيه ويقال
له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر عليه العتاب في كل حين
فان ذلك يهون سماع الملامة في حقه ويسقط وقع الكلام في قلبه **الادب الثالث
عشر** ان يكون الاب حافظا لهيبة الكلام معه ولا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب
وتزجره عن القبائح وتظهر له الوعيد بشدة الاب وخوفه منه **الادب الرابع
عشر** ينبغي ان يمنع من النوم نهارا فان ذلك يورث الكسل في حقه ولا يمنع من
النوم ليلا لان منعه من النوم في الليل يورث الملالة والسهر ويضعف عن مكابدة النوم و
النعاس **الادب الخامس عشر** ينبغي ان يمنع من استعمال الفرش الوطيئة حتى تتصلب
اعضاؤه ولا يستخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في الملبس والمفرش والمطعم والمشرب
فقد قال عليه السلام اياكم وفضول المطعم فانه يسم القلب بالقسوة **الادب السادس عشر** ينبغي ان

يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فيعتاد ذلك الى ان يعود
كل فعل قبيح **الادب السابع عشر** ينبغي ان يعود في بعض النهار المشي والحركة
والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل وينبغي ان يعود الميل اليه وان كان ممن يعتاد الرمي ويحبه
فلا باس بشغله به وهكذا الحال في ركوب الخيل وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تعد من اللهو لهو الانسان
بفرسه ولهوه باهله **الادب الثامن عشر** ينبغي ان يعود الا يكشف اطرافه والا يسرع
في المشي ولا يرخي يديه بحركتهما قداما وورا فعل المتبخترين فقد نهى رسول الله صلى الله عليه عن هذه
المشية وهكذا الحال في التمطيط عند المشي مكروه ايضا وقد نهي عنه **الادب التاسع
عشر** ينبغي ان يمنع عن الافتخار على اقرانه وامثاله بشيء مما يملكه ابواه او بشيء من مطاعمه
وملابسه ولوحه ودواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره من الصبيان ويلطف
في الكلام معهم **الادب العشرون** ينبغي ان يأخذ على الصبيان من امثاله شيئا اذا
كان من اهل الشرف والرياسة ويقرر في نفسه ان الاخذ لؤم وخسة ونزول قدر وان
الاعطاء شرف وكرم وان كان من اولاد الفقراء يقرر في نفسه ان الاخذ طمع وفي الطمع مهانة
ومذلة وان ذلك من دأب الكلاب فانه يتذلل في انتظار لقمة **الادب الحادي
والعشرون** ينبغي ان يقبح الى الاولاد حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر
منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب والسموم فان آفة حب الذهب والفضة والطمع
فيهما اكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر من العقلاء فان ضرر السموم ينقطع
بالموت وضرر حبهما يتجدد بعد الموت **الادب الثاني والعشرون**
ينبغي ان يعود الا يبصق في المجلس ولا يمتخط بحضرة غيره ولا يكثر التثاؤب ولا ينبسط
على وجهه ولا يقعد على قفاه فان ذلك كله امارة دالة على الكسل والهون **الادب
الثالث والعشرون** ينبغي ان يعلم كيفية الجلوس فاذا قعد يقعد واضعا
ركبتيه على الارض او ناصبا قدمه اليمنى ويضع الاخرى على الارض او يقعد محتبيا
بيديه هكذا كان رسول الله صلى الله عليه يقعد في اكثر احواله ولا يقعد متربعا الا عند الاكل وربما
اذا كان يكتب ليتمكن من وضع اللوح في حجره **الادب الرابع والعشرون** ينبغي ان يمنع
من كثرة الكلام ويبين له ان ذلك من امارة الوقاحة وانه عادة ابناء اللئام واولاد السفلة من
الناس لينزجر عن ذلك ويمتنع منه والله اعلم **الادب الخامس والعشرون**
ينبغي ان يمنع من الايمان صدقا كانت ام كذبا حتى لا يتعود ذلك في حال الصغر ويمنع ان يبتدئ
بالكلام ويعود الا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم من هو اكبر منه
سنا وقدرا **الادب السادس والعشرون** ان يقوم لمن هو فوقه ويوسع له
في المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة
من يجري على لسانه مثل ذلك فان ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء واصل تاديب الصبيان الحفظ من القرين

النوا الادب السابع والعشرون ينبغي ان يعلم شجاعة القلب والصبر
على الشدايد ويمدح هذه الاوصاف بين يديه ويسماعه لها حتى يترسخ في قلبه حسنها
ويتعود بها ❊ الادب الثامن والعشرون ينبغي له اذا ضربه المعلم لا يكثر
الصراخ والعياط ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر ان الصبر هو داب اهل الشجاعة والرجال
ويعرف ان كثرة الصراخ هو داب المماليك والنسوان الذين لا صبر لهم على احتمال مكروه الادب
التاسع والعشرون ينبغي ان يوذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا
يستريح اليه من تعب المكتب وضيقه بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي عن اللعب وارهاقه الى
التعليم دايما يميت قلبه ويبطل ذكاه وينغص العيش عليه حتى يطلب الخلاص منه راسا وقد
اشار صلى الله عليه وسلم الى ذلك بقوله روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فانها تصدا كما يصدا الحديد
الادب الثلثون ينبغي ان يعود الاكرام مع الضيف والاخرين لئلا يكون مستوحشا عند
مخالطتهم ويكون محبا لهم ❊ الادب الحادي والثلثون ينبغي ان يعلم طاعة والديه
ومعلمه ومودبه وكل من هو اكبر منه سنا من قريب او بعيد او اجنبي وان يكون ناظرا اليهم بعين الجلالة
والتعظيم وان يترك اللعب بين يديهم فهذه الاداب كلها متعلقة بسن التمييز في حالة الصغر
قبل البلوغ والله اعلم ❊ المرتبة الرابعة مهما قارب البلوغ وعظم تمييزه ويشتمل
على اداب منها الادب الاول ينبغي لا يسامح له في ترك الطهارة والصلوة ويومر
بالصوم في بعض الايام من رمضان تعويدا او تمرينا وقد ورد الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة
وهم ابناء سبع واضربوهم وهم ابناء عشر ❊ الادب الثاني ينبغي ان يجنبوا لبس الحرير والذهب
ويعلمون كلما يحتاجون اليه من حدود الشرع ويخوف من اكل الحرام ومن الكذب والخيانة
والفحش وكل ما يغلب على الانسان ❊ الادب الثالث ينبغي ان يقرر في قلبه ان
الاطعمة ادوية وانما المقصود بها ان يتقوى الانسان بها على عبادة الله تعالى وهكذا حال
اللباس فان الغرض منه هو ستر العورة ولا حاجة الى التانق في هذين الامرين فان الاشتغال
بعلاجهما والتكلف فيهما والمنافسة فيهما ربما كان شاغلا عما يراد من امر الاخرة فينبغي
الاعراض الا بمقدار ما تدعو اليه الضرورة ❊ الادب الرابع ينبغي ان يتحقق في نفسه
ان الدنيا كلها لا اصل لها لانها غير باقية وان الموت قاطع لنعيمها ومزيل جميع لذاتها وانها
دار ممر لا دار مقر وان الاخرة دار مقر لا دار ممر فمتى عقل هذه الامور كلها
في اول نشوه فانه ينتفع غاية الانتفاع ❊ الادب الخامس ينبغي ان يخطر بباله الموت
وينتظره في كل ساعة ويعلم ان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة حتى تعظم عند الله درجته
ويتسع في الجنان نعمته فاذا كان نشوه على هذه الصفة كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا
وموثرا فعالا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو على خلاف ذلك والعياذ بالله
حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر فتسا

قلبه عن قبول الحق فاوايل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق جوهره قابلا للخير
والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احدهما يهودانه وينصرانه ويمجسانه ❊ وبتمامه يتم الكلام
على هذه المقالة الاولى في الرياضة للنفوس وغيرها كما شرحناه من قبل والله اعلم بالصواب

المقالة الثانية في بيان الصفات المهلكة وجملتها عشر حب الدنيا والبخل والكبر والعجب والريا والحسد والغضب ويدخل تحت هذه الافات المهلكة حب المال وحب الجاه وايثار الشهوة البطن والفرج وما يندرج تحت هذه من الافات المهلكة كافات اللسان من الكذب ونحوه

❊ واعلم ان محل هذه
الصفات هو القلب وكل واحد من هذه الصفات كافية في الهلاك فيسعى الاجتهاد في
دفعها وازالتها وليستعن بالله تعالى على [illegible] ونحن نذكر كل واحدة منها ونفرد لها
بابا على الخصوص ونشرح ما يحتمل كل واحد منها وبالله التوفيق

الباب الاول في بيان الذم للدنيا وذم حبها

اعلم ان حب الدنيا راس كل
خطيئة كما قال صلى الله عليه وسلم وقد صارت عدوة لله تعالى وعدوة لاوليائه وعدوة لاعدائه
اما عداوتها لله تعالى فلانها قطعت الطريق على عباده ولذلك لم ينظر اليها منذ
خلقها ❊ واما عداوتها لاوليائه فانها تزينت لهم بزينتها وعمرتهم بزهرتها وتزينت
لهم بنضارتها حتى تجرعوا مرارات الصبر في مقاطعتها وتحملوا المشاق في البعد منها واما
عداوتها لاعدائه فانما استدرجتهم بمكرها ومكايدها واقتنصتهم بحبالها واقتدتهم بها
حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها وغدرت بهم امكن ما كانوا اليها
فاجتنوا منها حسرة تتقطع منها الاكباد وحرمتهم السعادة الاخروية على طول الاباد فلنذكر
ماهية الدنيا ثم نذكر ذمها وبيان امثلتها وذكر المواعظ فيها ففيه بيانات اربعة نفصلها بعون
الله تعالى البيان الاول في ايضاح ماهيتها وحقيقتها اعلم ان معرفة ذم الدنيا والبعد
عنها لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما لا يجتنب
فلا بد من بيان المذمومة ما هي فنقول الدنيا والاخرة عبارتان عن حالين فكل ما كان قبل
الموت فهو من الدنيا وكل ما كان بعد الموت فهو من الاخرة وكل ما لك فيه حظ وغرض
ونصيب وشهوة ولذة عاجلة قبل الوفاة فهو الدنيا وليس مذموما على الاطلاق ولكنه
على ثلثة اقسام القسم الاول ما يصحبك في الاخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو
شيان العلم والعمل ويعني بالعلم ما كان متعلقا بذات الله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله
وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا هو العلم الديني النافع ونعني
بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير الذ الاشياء عنده من جميع
المطاعم والمشارب والملابس كلها فهذا حاله ليس معدودا من الدنيا المذمومة بل هو خير

بالصواب ❊ صح

[illegible] احمد الى النبي كما [illegible] رسالة الله [illegible] على [illegible]

محض بعد في الاخرة **القسم الثاني** وهو المقابل لها على المناقضة وهو كل ما فيه حظ
عاجل ولا ثمرة له في الاخرة وهو نحو التلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزايدة على قدر
الضرورة والحاجة الداخلة في جملة الرفاهية وهو نحو التنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والدور والقصور ورفيع
الثياب وغير ذلك من الملاذ فحظ العبد من هذا كله هو الدنيا المذموم مما ليس فيه شي من اعمال
الاخرة **القسم الثالث** وهو متوسط بين الطرفين وهو كل حظ من العاجل معين على اعمال
الاخرة كقدر القوت من الطعام والقميص من الثواب وكل ما لا بد للانسان منه لبقاء
الانسان البقي في الصحة التي يتوصل بها الى العلم والعمل فما هذا حاله فانه يكون متوسطا
من القسمين الاولين فان قصد به وجه الله تعالى والوصول به الى الدار الاخرة فهو مثل الاول
وان قصد به التنعم والتلذذ فهو من الثاني لا يبقى بعد الموت الا عمل الاخرة وحكي عن عمر رضي الله عنه
انه استعمل ابا الدرداء على حمص واتخذ به كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه عمر بن الخطاب اما
بعد فقد كان لك في بنا فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك
كتابي هذا فقد سيرتك واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فتحصل من هذا كله ان كل ما اريد
به وجه الله تعالى خالصا فهو من الاخرة وما كان للدنيا خالصا فليس معدود في الاخرة والما هو
للدنيا خالصا وحكي عن سليمن عليه السلم انه كان ياكل خبز الشعير ويطعم الناس لباب الاطعمة وروي
عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه اتي له بلبن قد مزج بعسل فابى ان يشربه وقال لا اشربه ولا احرمه
وروي عن عمر رضي الله عنه انه اتي بماء بارد قد مزج بالعسل فادارة في كفه وامتنع منه وقال اعزلوا
عني حسابه فهكذا كانت سيرة التاركين للاخرة نصب اعينهم والمعرضين عن الدنيا وحظ
من الحق عما ذكرناه ان كل ما اظلته الخضرا واقلته الغبرا فهو معدود من الدنيا الا ما كان
خالصا لوجه الله يراد به مرضاته والدار الاخرة فهو من الاخرة **الباب الثاني في بيان**
ذم الدنيا وهو حاصل من جهات ثلاث الجهة الاولى الايات
الدالة الواردة في ذمها وهو ما اتفق له تعالى وما هذه الحيوة الدنيا
الا لهو ولعب وقوله تعالى في موضع اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وقال تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وقال تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور وقال تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نوته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا
لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا الى غير ذلك من الايات الدالة على
حقارة الدنيا وانقطاعها وبطلانها وفسادها **الجهة الثانية الاخبار** وقد
روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه مر بشاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا

نعم قال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله تعالى من هذه على صاحبها ولو كانت تعدل عند
الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر
وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس
كل خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا مهلكة للدين وعن ابي بكر رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرايته يدفع عن نفسه شيا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك
فقال هذه الدنيا تمثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني فلن يفلت مني
من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة
وعظاما قد نخرت فقال هذه هي الدنيا وهذه منه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق
وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وان الله
مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في
الحلية والنسا والطيب والثياب وقال عيسى صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا
اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الافة وصاحب كنز الله
لا يخاف عليه الافة وقال يا معشر الحواريين اني كببت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فان من خبث
الدنيا ان الله تعالى ما عصي الا فيها وان من خبث الدنيا ان الاخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروها
ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة اورثت
حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعكم فيها الملوك والنسا
فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النسا
فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة تطلبه الدنيا
حتى يستكمل رزقه فيها وطالب الدنيا تطلبه الاخرة حتى يجيء الموت فياخذه بعنقه
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناوه لم يخلق خلقا ابغض عليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي
ان سليمن صلى الله عليه وسلم كان في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه ويساره فمر بعابد من عباد
بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمن فقال لتسبيحة في صحيفة
مومن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم
الهاكم التكاثر يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او
تصدقت فامضيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له
وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحاسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم
من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله والزم قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا
لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال صلى الله عليه وسلم الا اريك الدنيا
جميعا يا ابا هريرة قال قلت بلى يا رسول الله قال خذ بيدي واتى بي الى مزبلة فيها روس وعذرات

وخزقه وعظامه ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتؤمل كآمالكم ثم هي
اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرة ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث
اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت
رياشهم ولباسهم فأصبحت الرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون
عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا
وروي ان الله تعالى لما اهبط آدم الى الدنيا قال له ابن للخراب ولد للفناء وروي انه وجد
في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قد قذفت في قلوبهم
بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شأنك صغير والى الفناء
يصير قضيت عليك يوم خلقتك لا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك
وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا
ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما عندي لهم من الجزاء اذا وفدوا الي
من قبورهم النور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من
رحمتي وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها
وتقول يوم القيمة اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم في الدنيا
فارضاك لهم اليوم وروي في اخبار آدم عليه السلام انه لما اكل الشجرة تحركت معدته ليخرج
الثقل ولم يكن ذلك مجعولا في اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهي عن اكلها قال فجعل يدور
في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اي شيء تريد قال آدم اريد ان اضع ما في
بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه على الفرش ام على السرر ام على الانهار
ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار فقالوا يا رسول الله
مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا
وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وقال عيسى عليه السلام
لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروي
ان جبريل قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت
من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا
وروي انه خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه
العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر
ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية
الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة
الا باتباع الهوى الا فمن ادرك منكم ذلك فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر للبغضاء
ذالوم

وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله
ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل
يطلب شيئا يلجأ اليه فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في
جبل فأتاه فاذا فيه اسد فوضع يده وقال الهي لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله اليه
مأواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة آلاف
عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى
بن مريم وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويل للمغترين
كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا
عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك
بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها خيرا فنعمت الدار يا موسى هي
اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما
اخاف عليكم ما يخرج الله عليكم من بركات الارض قيل وما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال
عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا تلكم الدنيا لا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام
علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولتركتم الدنيا وقال عيسى عليه السلام اعبروها ولا تعمروها وقال
صلى الله عليه وسلم لتأتينكم الدنيا بعدي تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب ومر موسى بن عمران عليه السلام
برجل وهو يبكي فقال يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع
دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لما غفرت له وهو يحب الدنيا وهذه جملة اوردناها
في ذم الدنيا من الاخبار

الجهة الثالثة من جهة الآثار

حكي عن امير المؤمنين
كرم الله وجهه انه قال من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا من النار مهربا
اولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف
الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وحكي عن الحسن البصري
انه قال رحم الله اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا
خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره
وقال لقمان يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله
تعالى وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ناج وما اظنك ناجيا وقال الفضيل
بن عياض طال فكري في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا
الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم

فلا تهلك نفسك في اكله وصم عن الدنيا وافطر على الاخرة وان راس مال الدنيا الهوى
وربحها النار وقيل لبعض الزهاد كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب
المنية ويبعد الامنية قيل فما حال اهله قال من ظفر به نصب ومن فاته تعب وقال بعض
الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها
نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زايلة او بلية نازلة او منية قاضية
وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما تزيد واما تنقص
وقال سفين اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال بعض
الزهاد من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيا الا اراد اكثر منه ومن طلب الاخرة
على المحبة لها لم يعط منها شيا الا اراد اكثر منه وليس لها غاية ولا لها نهاية وقال رجل
لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر الى ما اتاك الله عز وجل منها
فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو واخذ
نفسه بذلك لا تعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت
الشيطان فلا تسرق من حانوته شيا فيجي في طلبه فياخذك وقال الفضيل بن عياض لو كانت الدنيا من
ذهب يفنى لكن وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى والاخرة من خزف يبقى لكان
ينبغي ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى
وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا
فيقال هذا عظم ما حقر الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية
والضيف مرتحل والعارية مردودة ورواه عن الرسول صلعم وروى ابو امامة الباهلي انه لما
بعث الرسول صلعم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا
قالوا نعم قال لين كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلاث
اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه من حقه والشر كله لهذا تبع وقال
رجل لعلي كرم الله وجهه يا امير المومنين صف لنا الدنيا قال ما اصف لكم من دار من استغنى فيها
فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر
اليها اعمته وقال هي دار حلالها حساب وحرامها عقاب وقال مالك بن دينار اتقوا
السحارة فانها تسحر قلوب العلما يعني الدنيا وحكي عن بعض الحكما انه قال اذا كانت الاخرة في
القلب جات الدنيا تزحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة
والدنيا ليمة وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وبقدر
ما تحزن للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وقال عيسى صلعم الدنيا والاخرة ضرتان فبقدر
ما ترضي احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن البصري والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا
اهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت اذهبت الى ذا ام ذهبت

ذهبت الى هذا وذهبت الى هذا وقال الفضيل بن عياض لو كانت الدنيا بحذافيرها
عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الاخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا
مر بها ان تصيب ثوبه وقال سفين الثوري خذ من الدنيا لبدنك ومن الاخرة لقلبك
وقال الحسن البصري والله لقد عبدت بنو اسرايل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن لحبهم
الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم
يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت
الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها
وقال بعض الزهاد اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص اخرته وهو به راض فذلك
المغبون الذي تلعب بوجهه وهو لا يشعر وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز
سلام عليك اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر بن
عبد العزيز سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض
الدخول في الدنيا هين والتخلص عنها شديد وقال بعض الحكما عجبا لمن يعرف ان الموت
حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا
باهلها كيف يطمين اليها وعجبا لمن يعرف ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية
رجل من نجران عمره مايتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلا وسنيات
رخا يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك
ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شيت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال
لا املك ذلك فقال لا حاجة لي اليك وقال داود الطاي يا ابن ادم فرحت ببلوغ املك وانما
بلغته بانقضا اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بعض الزهاد من سال
الله الدنيا فانما يسال له طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شي يسرك
الا وقد الصق به شي يسوك ولنكتف بهذا القدر من الكلام في ذم الدنيا ففيه كفاية
لمقصودنا وتنبيه على مرادنا والله اعلم بالصواب **البيان الثالث في بيان صفة**
الدنيا بالامثلة وامثلتها مختلفة باختلاف احوالها وجملة ما ذكر
من ذلك اثنا عشر مثلا المثال الاول في سرعة زوالها اعلم ان الدنيا مثال الظل
سريعة الفنا قريبة الانقضا تعد بالبقا ثم تخلف بالوفا تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي
سايرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمين
اليها وانما يحس عند انقضايها ومثالها الظل فانه متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر
لا تدرك حركته بالبصر الظاهر وانما تدرك بالبصيرة الباطنة وكان الحسن البصري يتمثل ويقول

يا اهل لذات دنيا لا بقا لها ... ان اغترارا بظل زايل حمق

ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري قال
احلام نوم او كظل زايل ... ان اللبيب بمثلها لا يخدع

المثال الثاني من جهة الغرور بخيالاتها فانها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون وعن بعض الحكماء ما
سمعت نفسي الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينا هو كذلك اذ انتبه فكذلك
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس في ايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل
لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم **المثال الثالث** في عداوتها لاهلها اعلم
ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامرأة تتزين
للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى عليه السلام مثلت له الدنيا فرآها في صورة
عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم
مات عنك ام كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين
كيف لا يعتبرون بالماضين وكيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر
المثال الرابع في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة
السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا
القناع عن وجهها تمثلت لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم
في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رأيت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد
عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها فقلت لها ويلك من انت قالت انا الدنيا
فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدينار والدرهم
وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء
زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون
نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها وقطعتم الارحام بها وتحاسدتم
وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي
فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها **المثال الخامس** في انقضاء الدنيا
وزوالها اعلم ان الاحوال ثلاثة حال لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل
وحال لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة
بين الابد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي
الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل قال عليه السلام ما لي وللدنيا انما
مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحتها في ظلها ثم راح
وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في
سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة
ولا قصبة على قصبة **المثال السادس** في لين موردها وخشونة مصدرها
اعلم ان اوائل الدنيا تبدو واهية لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة

الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد
وقد كتب امير المؤمنين الى سلمان الفارسي بمثالها فقال مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها
ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت
من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن منها
الى سرور اشخصته الى مكروه والسلام ولقد اجاد في كلامه هذا كل الاجادة
واحسن فيه غاية الاحسان في صفة الدنيا وبيان حكمها واظهار صفاتها **المثال
السابع** في تعذر الخلاص منها بعد الدخول فيها قال الرسول صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا
كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الماشي في الماء الا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا
انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم
منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا عما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها
فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة
وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق
اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة المرض كذلك صاحب الدنيا
لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب
وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة
تقسو وتغلظ **المثال الثامن** في بيان مخالفة اخر الدنيا لاولها اعلم ان شهوات
الدنيا في القلوب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات
الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها
وكلما كان الطعام الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك
كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند
الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان كل من نهبت داره واخذ اهله وولده وماله
كانت مصيبته وألمه وتفجعه مقدرا في كل ما فقد بقدر لذته فيه وحبه له وحرصه
عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى والذ فهو عند الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت
الا فقد ما في الدنيا وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست
تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى
ما علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثلا للدنيا بما يصير اليه طعام ابن ادم
وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن ادم لطعامه فانظر
ما يخرج من ابن ادم وان قزحه وملحه الى ماذا يصير **المثال التاسع** في اشتغال
اهل الدنيا بنعيمها وغفلتهم عن الاخرة اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم عن الاخرة كمثل قوم
ركبوا في سفينة فانتهت بهم الى جزيرة من الارض فامرهم الملاح بالخروج لقضاء حوائجهم

وحذرهم من الهلاك وخوفهم من ورا السفينة مغرقون في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم
حاجته ودخل السفينة فصادف مكانا خاليا وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى ما فيها
من الملاذ ثم رجع الى السفينة فلم يصادف الا مكانا ضيقا وبعضهم اكب في تلك الجزيرة وشغف
بما فيها ونادا الملاح فلم يجبه ثم انه استصحب من امتعة تلك الجزيرة فلم يسعه المكان
مع حمله فبات بعضهم يحمل وثاني يسعه فوق راسه وبعضهم بقي في الجزيرة
وناداه الملاح فلم يجبه حتى توقف فسقط على الشوك وبقي في مكان خايف من السباع
واللصوص وبعضهم لم يسمع الندا وتخلف على السفينة ثم من بعضهم اكلته السباع
ومنهم من مات جوعا وخنق نفسه ومنهم من نهشته الحيات فهذا مثال لجميع اصناف
اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم
عن عاقبة امورهم **المثال العاشر** في اغترار الخلق بما حكي عن الرسول عليه السلام انه قال
لاصحابه انما مثلي ومثلكم كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا
منها اكثر او ما بقي نفد الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة
فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه فقالوا له قريب
عهد بريف وما جاءكم هذا الامر الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هولا قالوا له يا هذا فقال علام انتم
قالوا على ما ترى قال ارايتكم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا
قال عهودكم ومواثيقكم على ذلك فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا
وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه وعلق نفر
منهم غدوا يا صنعوا ابن اسير وقتيل والله دين صاحب في مثاله هذا لقد طابق ممثوله
واوقع الحجر على المفصل فمن وافقه على طريقه فقد نجا ومن خالفه فقد غرق وهوى

البيان الرابع في اظهار المواعظ في ذم الدنيا

قال بعض الحكما ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل
ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة غرارة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت
لخطابها فاصبحت كالعروس المتجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس
لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلته فانظروا اليها بعين الحقيقة
فانها دار كثرت بوايقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل
وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم
قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل الى الدوا من دليل وهل الى طبيب من سبيل فيدعى لك
الاطبا ولا يرجى لك الشفا ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما
يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت
جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكا اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا

عند اليوم

اخوك فلان

اخوك فلان منعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضا وانتزعت روحك
من الاعضاء ثم عرج بها الى السما فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك
وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك
وقال بعض الحكما لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته
منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه
من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشي هو ضنين به من احبابه فالدنيا هي
الاحق بالذم هي الاخذة ما تعطي والراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه
غيره وبينا هي تبكي له اذ بكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطا اذ قبضتها بالاسترداد
تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سوا عليها ذهاب ما ذهب
وبقا ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى
عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدار دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل اليها ادم عقوبة
فاحذرها فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها
هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة
ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدوا مخافة طول البلا فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة
الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها واضلت بامالها وتشوفت لخطابها فاصبحت
كالعروس المتجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي
لازواجها كلهم قاتلة والرشا على احبابها قابلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر بالاول مزدجر
ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره عنها مدكر وعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى
ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت
عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوات بغصته فمن رغب فيها لم يدرك منها ما طلب
ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين
وكن اسر ما تكون منها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور
اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخا
منها بالبلا وجعل البقا فيها الى فنا فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع فيها ما ولى وادبر
ولا يدري ما هو ات فينتظر امانيها كاذبة وامالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن
ادم فيها على خطر ان عقل ونظر وهو من النعما على خطر ومن البلا على حذر فلو كان
الخالق لم يخبر فيها خبرا ولا يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النايم ونبهت الغافل
فكيف وقد جا من الله عنها زاجر وفيها واعظ ومالها عند الله تعالى قدر وما نظر اليها منذ
خلقها ولقد عرضت على نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيحها وخزاينها لا ينقصه عند الله جناح بعوضة
فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله تعالى امره او يحب ما ابغضه خالقه ويرفع ما وضعه من

الباب الاول في ذم الدنيا من جملة المهلكات والحمد لله وحده

الباب الثاني في بيان كسر الشهوتين البطن والفرج

اعلم ان من اعظم الامور المهلكة لابن ادم انما هو شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوى من دار القرار الى دار الذل والمهانة والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الافات لان شهوة الفرج تابعة لشهوة البطن ويتضح مقصود نا من هذا الباب بايضاح فضيلة الجوع ثم ايضاح فوايده وايضاح طريق الرياضة بتقليل الطعام ثم ايضاح شهوة الفرج وفوايدها وبيان فضيلة ما يخالفها فهذه ايضاحات خمسة

الايضاح الاول في بيان فضيلة الجوع وذم الشبع وله جهتان

الجهة الاولى جهة الاخبار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السموات والارض من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل اكله وضحكه ورضي بما يستر عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال عليه السلام البسوا الصوف وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال الرسول صلى الله عليه وسلم افضلكم عند الله اطولكم جوعا وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اي محتاج اليه وقال عليه السلام ان الله يباهي الملايكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب فتركهما اشهدوا يا ملايكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال عليه السلام ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة عن الرسول عليه السلام اقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفيا الاتقيا وفي الخبر عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السما وقال عيسى صلى الله عليه وسلم اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله تعالى وقد جاء في التوراة ان الله ليبغض الحبر السمين وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال عليه السلام المومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا والمراد بالمعا الشهوات لان الشهوة تقبل الطعام كما تقبل المعا وروي عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروي ان ابا جحيفة تجشا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشايك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا

الجهة الثانية الاثار

قال عمر رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة نتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة

وحانوتها الخلوة والتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضا عن العبادة وقال الفضيل بن عياض يخاطب نفسه اي شي تخاف اتخاف ان تجوع لا تخف ذلك انت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد واصحابه وقال بعض الزهاد الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليل اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وقال بعضهم عند شدة المرض والجوع الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليايك فباي عمل اودي شكر ما انعمت به علي وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التايبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وقال ابو سليمان الداراني لقمة من عشايي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزاينه لا يعطيه الا من يحبه وقال بعض الزهاد لم ير الاكياس شيا افضل من الجوع في الدين والدنيا وقال لا اعلم شيا اضر على طلاب الاخرة من الاكل

الايضاح الثاني في بيان فوايد الجوع وافات الشبع وجملة ما يتيسر الله من فوايده عشر

الفايدة الاولى صفا القلب وانقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يستولي على معادن الفكر فيثقل القلب بسبب ذلك عن الجريان في الافكار

الفايدة الثانية رقة القلب التي تهيا بها لادراك لذة المناجات لله تعالى فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب لكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجات وخلو المعدة هو السبب الاظهر في ذلك

الفايدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشي كما تذل بالجوع فعنده يستكين العبد لربه ويخشع له ويقف على عجزه وذله والبطر والفرح بابان من ابواب النار واصلهما الشبع والذل والانكسار بابان من ابواب الجنة واصلهما الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمغرب والمشرق والبعد من احدهما قرب من الاخر

الفايدة الرابعة ان لا ينسى بلا الله وعذابه ولا ينسى اهل البلا فان الشبعان ينسى الجايعين وينسى الجوع والمومن الفطن لا يشاهد بلا الا ويذكر بلا الاخرة ويذكر من عطشه عطش الخلايق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون من الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل

الفايدة الخامسة كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس الامارة بالسو فان منشا المعاصي كلها الشهوات ونيل الشهوات مادة القوى ومادة الشهوات والقوى لا محالة الاطعمة فبتقليلها تضعف كل شهوة وقوة والسعادة كلها في ان الانسان يملك نفسه والشقاوة في ان تملكه الانسان شهوته ويكون

العاشره

هي المسئولية عليه **الآفة السادسة** زوال النوم ودوام السهر فان من
شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه وحكي انه اجتمع راى سبعين صديقا
على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة
الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال الانسان الذي فيه يتجر
الفائدة السابعة تيسر المواظبة على العبادة فان كثرة الاكل يمنع من كثرة العبادات
لان الاكل يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه
ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى الخروج الى بيت الما وهذه اوقات يمكن
صرفها الى العبادة عوضا عن الاكل المباح وليس لها سبب الا كثرة الاكل والتوسع في الشبع
الفائدة الثامنة صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلات
الاخلاط في المعدة والعروق ثم ان المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من
الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدوا والطبيب وكل ذلك يحتاج
الى مؤن كثيرة وتبعات وفي الجوع ما يمنع من ذلك كله **الفائدة التاسعة**
خفة المؤنة فان كل من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار
بطنه غريما ملازما اخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل
المداخل الخبيثة فيكتسبه من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما احتاج
الى ان يمد عينيه الى الخلق بالطمع فيما في ايديهم وهو غاية الذل والهون خفيف المؤنة
الفائدة العاشرة التمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين
ويكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد في الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق
به فخزانته فضل الله ورحمته فهذه جملة ترتيب ذكره من فوائد الجوع واما افات
الشبع فهي نقايض هذه الخصال التي ذكرناها فلا حاجة بنا الى تكرير ذكرها ههنا

الايضاح الثالث في بيان الرياضة في كسر شهوة الجوع

اعلم ان على السالك لطريق الآخرة المأخوذ عليه الا
بالاكل الا حلالا والعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر فاذا كان محترزا عن هذه الخصلة
فالمتوجه عليه وظايف ثلث **الوضيفة الاولى** في تقليل الطعام وله درجات
خمس الدرجة الاولى ان يرد نفسه الى قدر ما يقيم الروح الذي لا يبقى من دونه وهذا
انما يكون بعد الرياضة الكثيرة ويقلل الطعام قليلا قليلا لانه لو تركه دفعة واحدة
لضعف لذلك وشق عليه الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى
نصف مد وهو رغيف واحد ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر الدرجة
الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف ويكاد هذا ان ينتهي
الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب الدرجة الرابعة ان يرد نفسه الى المن وهو زايد على المد

ويشبه ان يكون ما وراء هذا يكون اسرافا الدرجة الخامسة الا يكون هناك
تقدير وهو ان يكون اكله عند صدق الجوع ويقبض يده الا عند شهوة صادقة
والمختار ان يقدر الانسان مع نفسه في الاكل القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي
هو بصددها او على فلا يمكن تقدير الطعام لانه يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والمعاش
والاوقات **الوضيفة الثانية** في وقت الاكل وفيه درجات ثلث الدرجة
الاولى ان يطوي ثلثة ايام وروي ان بعضهم انتهى الى ستة ايام يطوي بها من غير
حاجة الى مقدار من الماكول وانتهى بعضهم الى ثلثين وبعضهم الى اربعين وحكي عن
بعضهم انه طوى خمسين يوما او عن بعضهم خمسين يوما وكل ذلك يكون بطريق
الرياضة ويكون بعضه في الاوقات المتبع عليه الدرجة الثانية ان يطوي يومين
وليس ذلك خارجا عن العادة بل ذلك ممكن الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم
والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وروى لي ابو سعيد الخدري عن الرسول
صلى الله عليه انه كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف الصلح ياكلون في كل يوم
اكلة وقال عليه السلام لعايشة اياك والاسراف فان اكلتين في اليوم من السرف فاذا كان
اكلتان في اليوم سرفا فالاكلة في اليومين اقتار والاكلة في اليوم وسط بين ذلك وهو المحمود
وفي حديث عايشة كان الرسول صلى الله عليه يواصل الى السحر ومن اقتصر على اكلة فيستحب
ان ياكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام **الوضيفة
الثالثة** في نوع الطعام واعلا الطعام مخ الحنطة وهو غاية الترفه واوسطه الشعير
منخول وادناه الشعير من غير نخل واعلا الادام اللحم والحلاوة وادناها الملح والخل واوسطه
الغيرب بالدهن من غير لحم والعادة للسالكين لطريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام
والاستمرار بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان وياكله فانه
يقتضيه بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا لنفسه بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره
الموت ولقاء الله تعلى وتصير الدنيا محبوبة عنده واذا منع نفسه شهواتها وضيق
عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا مكروهة عنده واشتهى الانقلاب الى الله تعلى
وقد قال صلى الله عليه شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت اجسامهم عليه وانما همتهم
الوان الطعام وانواع اللباس واوحى الله الى موسى اذكر انك ساكن القبر فيمنعك ذلك
عن كثير من الشهوات

الايضاح الرابع في بيان شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان
لفايدتين الاولى منهما بقاء النسل ودوام وجود الخلق الثانية ان يقيس بها لذات الآخرة
فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجسام فهاتان الفايدتان في شهوة
الفرج ولكن في لذة الفرج من الافات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط وتقهر وترد

الى حد الاعتدال. وقد قيل في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل هي
الشبق لشهوة النكاح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بالله من شر سمعه وبصره وقلبه
ومنيه. وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة
على الرجال. وروي ان الشيطان قال للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي
ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوات
والنصف الاخر هو الغضب ثم ان هذه الشهوة لها افراط وتفريط واعتدال
فهي على ثلث حالات. **الحالة الاولى** الافراط وهو ما يقهر العقل ويخرجه
عن الاستقامة حتى تصرف همة الرجال الى وطء النساء والجواري فيشغله ذلك عن
سلوك طريق الاخرة وعن العبادة ويقهر الدين حتى يجر ذلك الى اقتحام الفواحش
وملامسة المحظورات وقد ينتهي افراطها باقوام الى امرين شنيعين احدهما
ان يتناولوا ما يقوي شهواتهم لاستكثار الوقاع كما يتناول بعض الناس ادوية
تقوي المعدة لشهوة الطعام وما مثل ذلك الا كمثل من بلي بسباع ضارية فنام عنها
في بعض الاوقات فيحتال في اثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة
الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فليطلب سبب الخلاص.
والثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الجهال الى العشق وهو غاية الجهل في افراط
المحبة بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان العاشق ليس يقنع باراقة
شهوة الوقاع التي هي اقبح الشهوات كيف ما اتفق واينما اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا
بواحد معين حتى يزداد ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يكون العقل موطوءا بقدم
الشهوة وقد خلق لان يكون مطاعا ولا يكون خادما والعشق هو المحبة المفرطة وهو
مرض القلب الفارغ الذي لا همة له ولا هو مشغول الا بمعشوقه وعلاجه ان يكون في اوائله
بترك المعاودة للفكر والنظر فاما بعد استحكامه فانه يعسر دفعه. **الحالة الثانية**
التفريط وهذا انما يكون بالضعف والعجز بالعنة عن اتيان المنكوحة وهذا ايضا مذموم
في الرجال لان فيه انقطاع النسل وعلاج ما هذا حاله قد يمكن بدواء وقد يكون خلقة
لا يمكن دواؤه ولم ننكر علاجا بالضعف والعجز وانما انكرنا من يتداوى لزيادة الجماع وقوته
سؤال فان قال قائل فكيف ينكرون علاج قوة الجماع وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه شكا الى
جبريل ضعفه عن الجماع فامره باكل الهريسة. وجوابه انه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة والواجب
عليه تحصينهن بالوطء وحرم على غيره نكاحهن فكان طلبه للقوة لهذا المعنى لا لاجل
التنعم بالوطء. **الحالة الثالثة** الاعتدال في الطبع وهو محمود حتى كانت الشهوة مطيعة
للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها كان ذلك موافقا لقانون الشرع وحكمه. ومهما افرطت
فكسرها يكون بالجوع والنكاح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه

بالصوم فان الصوم له وجاء والله اعلم.

الايضاح الخامس في بيان فضيلة من خالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوة اغلب
الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى
منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او حياء او محافظة
على حشمته وليس في ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ لها نعم من
العصمة الا يقدر ففي العوائق فائدة وهي دفع الاثام فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه
باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله مع القدرة وارتفاع
الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه هي درجة الصديقين ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد. وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم
لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف
الله رب العالمين. وقصة يوسف صلى الله عليه وسلم وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة
وقد اثنى الله عليه بذلك في كتابه الكريم وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في غلبة
هذه الشهوة العظيمة وهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن
من شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به
ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها تنشأ منه والنظرة الاولى اذا لم يقصد لم يؤاخذ
بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية يعني النظرة. وقال العلاء
ابن زياد لا تتبع نظرك رداء المرأة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان في
تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخيل اليه الحسن تقاضى الطبع
المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر
واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ
وتألم لانه قصد التلذذ وقد فعل ما يؤذي اليه والذي يشغله بقدرته ولا يعلو الى كل
حالاته عن المعصية وعن الالم والتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من
الآفات وان اخطأ في عينه وحفظ فرجه مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة
ونهاية التوفيق.

الباب الثالث في بيان آفات اللسان

اعلم ان
اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه
صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر
والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود ومعدوم
خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله [illegible] ويتعرض
له باثبات او نفي اما بحق او باطل. وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين
لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى

غير الاجسام واما اللسان فهو رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق اللسان سلك به الشيطان في كل ميدان ونحن بتوفيق الله نذكر فضيلة الصمت ولابد نذكر الافات المتعلقة باللسان فهذان مطلبان

المطلب الاول في بيان فضيلة الصمت وفيه فصل ذلك من جهتين الجهة الاولى من جهة الاخبار

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلهذا مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروي عن سفين قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام امرا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال عقبة ابن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال الرسول صلى الله عليه وسلم من توكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلث بها هلك اكثر الخلق ولهذا اشتغلنا بذكر افات اللسان لما فرغنا من ذكر الشهوتين البطن والفرج وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل النار قال الاجوفان الفم والفرج والفم يحتمل ان يكون المراد به اللسان لانه محله ويحتمل ان يراد به البطن لانه منفذه وقال معاذ بن جبل يا رسول الله انؤاخذ بما نتكلم قال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوايقه وقال الرسول صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضا كلها تشكو اللسان بان تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وعن ابي بكر رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شي من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يلبي على الصفا ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم فقيل يا ابا عبد الرحمن هذا شي تقوله او شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر الخطايا من ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني فقال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شيت نباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وعن الرسول

صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقيل لعيسى صلى الله عليه وسلم دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمن بن داود عليهما السلام اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قايل فليتق الله امرء فيما يقول وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لسان المومن من ورا قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشي تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بالشي امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه

الجهة الثانية الاثار

كان ابو بكر رضه يضع حجرا في لسانه يمنعه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود رضه والله الذي لا اله الا هو ما شي احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة ال داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع خصلتين للرجل السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت ذلك في سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معاوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا الحسن فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت اليه كلمته ضرته وان لم ترجع اليه لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت فان قال قايل بهذا الفضل الكثير للصمت ما سببه قلنا سببه كثرة افات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والريا والنفاق والفحش والمرا وايذا الخلق والتسرع بالكلام وغيرها فهذه افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان ولا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الشيطان فالامن وقع الله تعلى وعلم منه صبرا والبينة فاعانه على امره وقيل ان المنصور بن المعتمر لم يتكلم بعد العشا الاخرة اربعين سنة والربيع بن خثيم ما تكلم بكلام الدنيا عشرين سنة

المطلب الثاني في بيان افات اللسان وعن نورد هنا واجبه ونبدا بالاهم منها فالاهم من اخطارها والله الموفق للصواب

صلاح

الآفة الاولى الغيبة والنظر فيها طويل لاشتمالها على تفاصيل ودقائق وهي
مشتملة على تنبيهات ستة التنبيه الاول في بيان معناها • واعلم ان حد الغيبة هو
ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سوا كان نقصانا في بدنه او نسبه او في خلقه او
في فعله او في قوله او دينه وحتى في ثوبه وداره ودابته • واما البدن فكان يقول
انه اعمش او اعمى او احول او اعور وهكذا القصر والطول والسواد والصفرة والحمرة
وجميع ما يتصور انه يكرهه • واما النسب فنحو ان يقول ان اباه نبطي او هندي او
فاسق او خسيس او اسكاف او شي مما يكرهه • واما الخلق فنحو ان يقول انه بخيل
او سي الخلق او مرآئي او شديد الغضب وجبان او عاجز او ضعيف القلب •
واما الفعل فنحو ان يقول انه سارق او كذاب او شارب الخمر او خائن او ظالم او
متهاون بالصلوة او لا يحسن الصلوة في ركوعها وسجودها ولا يضع الركوع مواضعها
ولا يحترس صومه عن الرفث • والتعرض لاعراض الناس • واما فعله المتعلق بالدنيا
فهذا كقولك هو قليل الادب يتهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا ويرى لنفسه حقا
وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما
ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب • وهل تجوز غيبة الفاسق ام لا فيه
تردد فقال قوم تجوز لقوله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس • وقال
اخرون لا تجوز غيبته وهذا هو المختار لان الاجماع منعقد من جهة الامة على ان كل من ذكر
غيره بما يكرهه فهو مغتاب له ويؤيده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما الغيبة
قالوا الله ورسوله اعلم قال الغيبة ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في
اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته • وعن
الحسن البصري انه قال ذكر الغير ثلثة اقسام الغيبة والبهتان والافك وكل
في كتاب الله تعالى الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك
ان تقول ما بلغك • التنبيه الثاني في ذم الغيبة وظهور ذلك يكون
من جهات ثلث الجهة الاولى من كتاب الله تعالى قال تعالى
ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله
فالاية على مكروهات ثلثة النهي بقوله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
وتشبيهه باكل لحم الميت وما هذا حاله فهو من اخبث الماكولات ومنها الكراهية
بقوله فكرهتموه الجهة الثانية من جهة الاخبار وقد روى ابو هريرة عن الرسول
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا
وكونوا عباد الله اخوانا وعن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والغيبة فان الغيبة اشد
من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى

يغفر له صاحبه • وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت بقوم ليلة اسري بي وهم
يخمشون وجوههم باظفارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون
الناس ويقعون في اعراضهم • وقال سليم بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
علمني خيرا ينفعني الله به فقال لا تحقرن من المعروف شيا ولو ان تصب دلوك في
اناء المستقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه • وقال البراء خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معاشر المسلمين من آمن بلسانه ولم يؤمن
بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه تتبع الله
عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه الله في جوف بيته • واوحى الله تعالى الى موسى
عليه السلام انه من مات تائبا من الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا
عليها فهو اول من يدخل النار الجهة الثالثة الاثار قال ابو هريرة من اكل
لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فقيل له كله ميتا كما اكلته حيا • وعن مجاهد
قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس
وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر يكون من ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة
وثلث من البول • وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المومن من الاكلة في جسمه
وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصلوة ولا في الصوم ولكن في
الكف عن اعراض الناس • وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب الناس
فاذكر عيوب نفسك • وقال ابو هريرة يرى احدكم القذى في عين صاحبه ولا يرى
الجذع في عينه • وكان الحسن يقول يا ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب
الناس بعيب هو فيك حتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان
شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا • وسمع علي بن الحسين
رجلا يذكر الله يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار • وقال عمر رضي الله عنه عليكم
بذكر الله فانه دواء واياكم وذكر الناس فانه داء التنبيه الثالث في بيان الاسباب
الباعثة على الغيبة • اعلم ان الاسباب الباعثة على الغيبة كثيرة لحب الناس لها
وشغفهم بها ويجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل الدين
اما الثمانية فاولها تشفي الغيظ وذلك انه اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا
هاج غضبه تشفى بذكر مساوي من كان الغضب من جهته • وهكذا حال الحقد اذا
كان كثر الغضب فانه يسري ذلك بالنقص فصار الحقد والغضب باعثين على نقصه
وذكر غيبته • الثاني الاستشعار وهذا نحو ان يخشى من انسان انه سيقصده بالمضرة
ويطول لسانه فيه ويقبح حاله عند الرؤسا والكبرا ويشهد عليه بشهادة
فيبادر ذلك بالطعن في عرضه واسقاط شهادته او يبتدي بذكر ما فيه ليشهد عليه

ليكذب عليه بغيبه فيروج كذبه بالصدق الاول ❁ الثالث موافقة الاقران ومجاملة
الرفقا ومساعدتهم على الاعراض عما هم اذا كانوا يتفكهون بذكر اعراض الناس فيرى
انه لو انكر عليهم اقطع المجلس واستثقلوه ونفروا ايضا عنه ويرى ذلك
ذلك من حسن المعاشرة ❁ الرابع ان ينسب الى شي فيريد ان يتبرأ منه بذكر الذي فعله
وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه ❁ الخامس ارادة التصنع
والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بنقص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه
ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه ويحذر ان يعظم
مثل تعظيمه فيقدح فيه من اجل ذلك ❁ السادس الحسد وهو انه ربما حسد من يثني
الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا الى زوالها
الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه
واعظامه ❁ السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره
بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب في المجون والمزاح المفرط وهذا غالب
على كل من نزلت همته وركت حالته وصار مضحكة الناس ❁ الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا
له وذلك يجري في الحضور ويجري في الغيبة ومنشاه التكبر واستحقار المستهزا به
واستصغاره ❁ وهذه هي الاسباب العامة للخلق واما الاسباب الثلثة الخاصة
لاهل الدين فهي اغمضها وادقها لانها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات
فالاول منها اظهار التعجب وهو ان يقول الرجل ممن يتمسك بالدين ويظهر تعجبه من
فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل
وذلك مكروه عند المتعجب منه ويسهل الشيطان ذكر اسمه في معرض تعجبه فيصير به
مغتابا من حيث لا يدري ❁ الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلا به فلان فيقول
فلان مسكين قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر
عن ذكر اسمه فيذكره فيصير مغتابا له ❁ الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على
منكر قارفه انسان اذا راه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر
غضبه ولا يظهر اسمه ولا يذكره بالسوء فذكره باسمه يكون غيبة ❁ فهذه الامور
الثلثة مما يغمض دركها على العلما فضلا عن العوام والاحتراز عن هذه الامور هو اخو
الدين

التنبيه الرابع في بيان العلاج الذي يمنع اللسان عن الغيبه

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها نعوذ بالله منها انما تعالج بمعجونات العلم والعمل وانما
علاج كل شي ما يضاده ومنافيه تكون على جهة الاجمال وعلاج الغيبه تنتهج فيه
منهجين **المنهج الاول** ما يكون على جهة الاجمال فهو ان يعلم المغتاب تعرضه
لسخط الله تعالى ولايمه بما رويناه من هذه الاخبار ❁ وان يعلم انها تحبط حسناته

فاما تنتقل يوم القيمه بما رويناه في هذه الاخبار حسناته الى من اغتابه عوضا عما هتكه
من عرضه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ومشبه عنده بآكل الميتة ويستحق العقاب
والاجر ولا يبعد ان تكون منقصا عند الله تعالى لكثرة ما ورد فيهما من الوعيد الشديد
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد فمهما امن
العبد بما وردت به الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك ❁ وينفعه ايضا ان يتفكر
في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله
عيبه عن عيوب الناس ❁ ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم غيره
وان لم يجد في نفسه عيبا فليشكر الله تعالى على ذلك ولا يلوثن نفسه باعظم الذنوب من
ثلب الناس واكل لحوم الميتة من اعظم الذنوب واكبر العيوب ❁ واذا كان لا يرضى ان يغتابه احد
بغيابه فينبغي الا يرضى غيبة لاحد من خلق الله فهذا علاج على جهة الجملة **المنهج الثاني**
ما يكون على جهة التفصيل وطريقه ان ينظر في الاسباب الباعثة على الغيبه التي قدمنا
ذكرها فيقرنها واحدا واحدا ويسعى في ابطالها كالغضب والحقد والحسد والاستهزا والتعجب
وتشفي الغيظ وغير ذلك من الاسباب المهيجة للغيبه كما سياتي شرح هذه العاهات
فيما بعد بمعونة الله تعالى **دقيقة** اعلم ان الغيبه كما تكون باللسان وهو الاكثر الجاري المطرد
فقد تكون ايضا بالقلب وهو محرم ايضا لتحريم الغيبه باللسان فانه كما يحرم عليك ان
تحدث الغير بمساوي الناس فانه يحرم عليك ان تحدث نفسك بها وتسي الظن باخيك ولسنا نعني
بذلك الخواطر التي تكون في القلوب والوساوس التي تكون في الصدور ومثلها وانما
نعني تحريك الظنون والارادات والعزوم والاعمال الحاصلة في القلوب فان الانسان
مواخذ بذلك كما قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فاما الخواطر والوساوس
فان الله تعالى يعفو عنها ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب
التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبه و
التجسس وسوء الظن منهي عنها كلها ❁ ومعنى التجسس الا تترك عباد الله تحت ستر الله بل
يتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما وراءه ولو تركته على حاله لكان اسلم
لقلبك ولدينك وقد انكشف لك بما ذكرنا كيفية العلاج لهذه الافة العظيمة التي كثرت بها
البلوى وعظم ضررها على الخلق وصارت عادة يعتادها الاكثر الا من وفقه الله وعصمه
ومن اعظم البواعث عليها تشفي الغيظ بالمغتاب فيحصل الجراة على هتك عرضه من اجل
ذلك ❁ وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال
صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ❁ وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو يقدر
على ان يمضيه دعاه الله يوم القيمه على رؤوس الخلايق حتى يخيره من الحور ما شاء ❁❁❁

التنبيه الخامس في بيان الاعذار المرخصة في الغيبه

اعلم ان الرخص في ذكر مساوئ الغير هي غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة

العذر الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى الامام وينسبه الى الظلم ولا حرج عليه في ذكره اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته.

العذر الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهاج الصواب في الصلاح كما روي ان عمر بلغه ان ابا جندل قد داوم على الخمر ولا يسكر فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فتاب ولم ير عمر ان ذكره عنه بمن قاله و[illegible]

العذر الثالث الاستفتاء كما يقول الواجد قد ظلمني ابي او زوجي او اخي [illegible] وكون التصريح لما روي عن هند انها قالت للرسول صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه قال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

العذر الرابع تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق اليه.

العذر الخامس ان يكون الانسان معروفا باسم يكشف عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول ذلك روى ابو الزناد عن الاعرج وروى سليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف لانه صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو وجد معدولا عنه الى غيره لكان افضل واولى.

العذر السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمجاهر بالزنا وشرب المسكر والنقل بغير حق وكان متظاهرا به فذكره بكونه عيبه لا يستنكف ان يذكر به ولا يكره ذكر ذلك فاذا ذكرته بما يتظاهر به فلا اثم عليك وقد قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر ليس لفاجر حرمة وقال صلى الله عليه وسلم من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا فاما ما لم يكن متظاهرا به فذكره يكون غيبة محرمة. وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمهم. فهذه هي المعاذير المرخصة لذكر المغتابين.

التنبيه السادس في بيان كفارة الغيبة لمن فعلها اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج عن حق الله تعالى ثم يستحل من المغتاب فيحله ليخرج عن مظلمته وينبغي ان يطلب الحل وهو حزين كئيب متأسف نادم على ما فعله. وحكي عن الحسن البصري انه يكفيه الاستغفار دون الاستحلال محتجا بما رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبت

ان تستغفر له

ان تستغفر له. وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير. وسئل عطاء عن التوبة من الغيبة قال ان تمشي الى صاحبك وتقول له كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو المختار. وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به. وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليتحللها منه قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم. وهل يجب التحلل من المظلوم بالغيبة ام لا فيه تردد والاوجه انه غير واجب ولكنه مستحب والافضل للمعتذر ان يبالغ في الثناء والاعتذار والتودد ويلازم على ذلك حتى تطيب نفسه وكان بعض السلف لا يحلل. قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فكيف احلله ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله. وقد خرجنا عما اردناه من الغيبة والله الموفق للصواب.

الآفة الثانية النميمة وهي من جملة الآفات المتعلقة باللسان ويختص مقصودنا منها بذكر تنبيهات ثلاثة نوضحها بمشيئة الله.

التنبيه الاول في بيان معناها وحدها اعلم ان اسم النميمة يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقال فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة بالقول بل معناها وحدها كشف ما يكره كشفه سوى كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسوى كان النقل بالقول وبالكتابة او بالرمز او بالايماء وسوى كان المنقول من الاقوال او من الافعال وسوى كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن. فاذا حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كلما رآه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ان يكون في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره وافشاه فهو نميمة وافشاء سر فان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة. والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه واظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض في الفضول الى غير ذلك من البواعث وهذا شرح بابها ومعناها والله اعلم.

التنبيه الثاني في بيان مذمة النميمة والتحذير عنها ويظهر ذلك من جهتين نذكرهما. الجهة الاولى من جهة الكتاب وقد قال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم. قال عبد الله بن المبارك هو ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي

وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة هو النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل
كانت حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيا قيل كانت
امراة لوط تخبر قومها بالضيفان وكانت امراة نوح تخبر بانه مجنون وغيره لكن

الجهة الثانية الاخبار وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا
يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وسلم احبكم الى
الله احسنكم اخلاقا الموطون اكنافا الذين يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله المشاون
بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبرا العثرات وقال صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون
للبرا العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل من اشاد على رجل
كلمة ليشينه بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيمة وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بري ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله عز
وجل ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على
مسلم شهادة ليس لها باهل فليتبوا مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة
وعن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من
دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر لا يسكنك مدمن
خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث وهو الذي يحصل على نسايه
ولا الشرطي وهو صاحب المكس ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول عليه عهد
الله ان لم يفعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الاحبار انه اصاب بني اسرايل قحط
فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم
نمام قد اصر على النميمة فقال يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم
عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال انه اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ
في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جيتك للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السما
وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر
منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه
فقال البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارضين والقلب القانع اغنى
من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب
الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم

التنبيه الثالث في بيان ما ينبغي لمن بلغته النميمة ان يفعله اعلم ان من حملت اليه النميمة
وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا وفعل كذا وكذا وهو يدبر في فساد امرك او في ممالاة
عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجرى ذلك فعليه من الاداب مورستة **الادب**

أي جازيه

الاول الا يصدقه فيما قاله لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال تعالى يا ايها
الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة وروي عن عمر بن عبد العزيز
انه دخل له رجل فذكر عنده عن رجل شيا فقال عمر ان شيت نظرنا في امرك فان كنت
كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان جاكم فاسق بنبا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الاية
هماز مشا بنميم وان شيت عفونا عنك فقال العفو يا امير المومنين لا اعود الى مثله
ابدا **الادب الثاني** ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح اليه فعله قال الله وامر
بالمعروف وانه عن المنكر وحكي ان حكيما من الحكما زاره بعض اخوانه واخبره عن
غيره فقال له الحكيم قد ابطات في الزيارة واتيتني بثلث جنايات بغضت الي اخي وشغلت
قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وحكي ان سليمن بن عبد الملك كان جالسا وعنده
الزهري فجاه رجل فقال سليمن بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما
فعلت ولا قلت فقال سليمن ان الذي اخبرني كان صادقا فقال الزهري لا يكون النمام
صادقا فقال سليمن صدقت اذهب بسلام **الادب الثالث** الا تظن باخيك الغايب
السو لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وحكي عن امير المومنين
كرم الله وجهه ان رجلا اتاه برجل يسعى به فقال يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك
وان كنت كاذبا عاقبناك وان شيت نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المومنين وقيل لمحمد
بن كعب القرظي اي خصال المومن اوضع له قال كثرة الكلام وافشا السر وقبول قول
كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسو
قال قد كان ذلك قال فاخبرني ما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان
اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال وذكرت
السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طايفة من
الناس الا منهم **الادب الرابع** ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب
بغض من يبغضه الله واعلم ان النمام يسعى ان يبغض فلا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض
وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد
بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال تعالى ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال انما السبيل على الذين يظلمون الناس
ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس ذا الوجهين
الذي ياتي هولا بوجه وهولا بوجه والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من
اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع قيل هو قاطع الرحم
وقيل هو قاطع الوصل بين الناس وهو النمام **الادب الخامس** الا يحملك ما حكي
لك على التجسس والبحث لتحقق ذلك لقوله تعالى ولا تجسسوا وحكي عن مصعب بن

نحن

الزبير نحن في قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة
وليس من دل على شي فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان قوله صادقا
لكان في صدقه اثما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة
الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال عليه السلام الساعي بين الناس
لغير رشدة يعني ليس ولد حلال ودخل رجل على سليمن بن عبد الملك فاستاذن في
الكلام فقال اني مكلمك بكلام فاحمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته
فقال له قل فقال انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك باخرتهم
ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك
الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا الامة خسفا والامانة تضييعا
والاعراض قذفا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسايلهم الغيبة
والوقيعة وانت مسول عما اجترحوا وليسوا مسولين عما اجترحت فلا تصلح
دنياهم بفساد اخرتك وان اعظم الناس غبنا بايع اخرته بدنيا غيره **الاداب**
الا ترضى لنفسك ما تحب انمام عنه ولا تحكي نميمة فلا تقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون
نماما ومغتابا فقد اتيت بما عنه نهيت وحكي ان رجلا سعى بزياد الاعجم الى سليمن بن عبد الملك
فجمع بينهما سليمن للموافقة فقال له زياد ان كنت قلتها قد قيل فقد ائتمنتك عليه فانت
خاين وان كنت لم اقله فانت كاذب فانت غير منفك عن الخيانة والكذب وقال
رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري لا يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت حق
مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حيث ابلغتني عن اخي ولكن اعلمه
ان الموت يعمنا والقيمة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض
السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على
ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال
ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمن الحكيم لابنه اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل
سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ
اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول ساع وسماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك
وليكن اخدانك من اذا فارقتهم لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على
الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام لكان
هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى قمع النمام
عظيم فعسى ان يتوفق بالصبر والاحتمال والتعهد **الافة الثالثة الكذب** في القول
واليمين ولا استنكار ان الكذب من قبائح الذنوب وهو اخبث العيوب وقبحه يظهر من
جهات ثلث **الجهة الاولى** الكتاب وقد ذمه الله تعالى في كتابه وبين ان الذين يكذبون

على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للكافرين وقال تعالى الا لعنة الله على الكاذبين
وقال تعالى ويل يومئذ للمكذبين وقد كرره في سورة المرسلات مرارا كثيرة والتكذيب هو
قولك للغير انه كاذب وهو كذب لا محالة وقوله تعالى ولا تطع المكذبين وقبحه
معلوم من جهة العقل والشرع خلافا للاشعرية حيث قالوا ان قبحه لا يعلم بالعقل وبنوا
هذا على مذهبهم الردي وهو بطلان الاحكام العقلية وزعموا ان قبحه انما هو من جهة
الشرع لا غير **الجهة الثانية** الاخبار روى ابو بكر رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه
انه قال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وروى ابو امامة عن الرسول
صلى الله عليه انه قال الكذب باب من ابواب النفاق وقد قال صلى الله عليه كبرت
خيانة ان تحدث اخاك بحديث هو لك مصدق وانت له كاذب وقال ابن مسعود
رضي الله عنه لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر
رسول الله صلى الله عليه برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله
لا انقصك من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها
احدهما فقال وجبت احدهما بالاثم والكفارة وقال صلى الله عليه الكذب ينقص
الرزق وقال صلى الله عليه ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل
البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه
ثلثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف
الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح
بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه
ثلثة يحبهم الله رجل كان في فية فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله على اصحابه ورجل كان
له جار سوء يوذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان معه رفقة
في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اذا اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى
يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة يشناهم الله البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان
وقال الرسول صلى الله عليه ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ثم
ويل له وعن عبد الله بن جراد انه سال رسول الله صلى الله عليه فقال يا رسول الله
هل يزني المومن قال قد يكون قال يا نبي الله هل يكذب المومن قال لا ثم اتبعها رسول الله
صلى الله عليه يقول تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يومنون وكان رسول صلى
الله عليه يقول في دعايه اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني
من الكذب وقال صلى الله من حلف على يمين اثم ليقتطع بها مال امر مسلم بغير حق لقي
الله تعالى وهو عليه غضبان وقال صلى الله على كل خصلة يطبع او يطوى عليها
المومن الا الخيانة والكذب وقال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك خير عملا قال

من لا يكذب لانه ولا يعي قلبه ولا يرى فرجه وقال لقمن لابنه يا بني اياك والكذب فانه
شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله عليه من زاد ان يعز
نفسه فليكذب وقال علم السلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد عنه الملك
مسيرة ميل من نتن ما جا به وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبلوا
لي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب
واذا وعد فلا يخلف واذا اوتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم
وقال صلى الله عليه ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب
واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وقال صلى الله عليه ثلثة لا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر
فهذه اخبار كلها دالة على قبح الكذب وذمه وحصول الوعيد عليه والله اعلم

الجهة الثالثة الاثار

قال امير المومنين كرم الله وجهه اعظم الخطايا
عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد
العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم
نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا
واعظمكم امانة وعن بعض اهل الصلاح قال جلست اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته
زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي
ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على
ترك الكذب لاني اتركه انفة وقيل لبعض الزهاد من يكذب كذبة واحدة هل يسمى
فاسقا قال نعم وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج
احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شي فقال له كذبت فقال
عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه تنبيه تذكر فيه التحذير من الكذب
بالمعاريض اعلم انه قد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب فاذا لم يكن
هناك حاجة ولا ضرورة وقال عمر رضي الله عنه اما ان في المعاريض ما يكفي الرجل عن
الكذب وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان
الى الكذب فاما اذا لم يكن هناك حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض لما فيه من ايهام
الكذب ولكن التعريض يباح لاجل الحاجة والضرورة ومثال المعاريض ما روى ان معاذا
عامل عمر استعمله فلما رجع قالت امراته ما جئت به مما ياتي به العمال الى اهليهم وما كان
قد جاء بشي فقال قد كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه واي
بكر فبعث عمر معك ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع عمر ذلك دعا

معاذا وقال له ابعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر
واعطاه شيئا فقال ارضها به وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول
ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من
يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس هاهنا لئلا يكون
كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت خط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها
وقولي ليس هاهنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا
تعرض للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة نعم المعاريض
انما تباح للاغراض الخفيفة كتطييب قلب الغير بالمزاح كما نقل عن رسول الله صلى الله
عليه انه قال لا يدخل الجنة عجوز وقال للاخرى الذي في عينه بياض وقال نحملك
على ولد البعير وغير ذلك على جهة المطايبة وتفريح النفوس فاما الكذب
الصراح فهو حرام ولا يستثنى منه الا ما روته ام كلثوم عن رسول الله صلى الله عليه
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه لا يرخص في الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول
يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث
زوجها وقالت قال رسول الله صلى الله عليه ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا
وقالت اسما بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه قال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب
ليصلح بين اثنين [interlinear: واليء] وقال الرسول صلى الله عليه لرجل يصلح بين الناس بابا كاهل اصلح بين
الناس بعث بالكذب فهذه افة الكذب قد اوضحنا ما فيها والله اعلم

الافة الرابعة

الفحش والسب وبذاءة اللسان وما هذا حاله فهو مذموم ومصدره الخبث
واللوم قال رسول الله صلى الله عليه اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش
ونهى رسول الله صلى الله عليه ان تسب قتلى قريش في بدر من المشركين فقال لا تسبوا هولا
فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون الاحيا الا ان البذا لوم وقال صلى الله عليه
ليس المومن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه الجنة
حرام على كل فاحش يدخلها وقال صلى الله اربعة يوذون اهل النار على ما بهم من الاذى
يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له
ما بال الابعد قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة
قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه يا عايشة لو كان
الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق
والبيان يحتمل كشف ما لا يجوز كشفه ايجاح القول واما في العورة لين في الامور ما
لا ينبغي التصريح به لانه يقتضي نقص المروة وقال صلى الله ان الله لا يحب الفاحش المتفحش
الصياح في الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام

في شي وان احسن الناس اسلاما احسنهم اخلاقا • واعلم ان معنى الفحش والتفحش الذي
اراده الرسول صلى الله عليه مما ذكرناه لو عبر عليه هو التعبير عن الامور المستقبحة
بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق بها • فان لاهل الفساد عبارات
صريحة فاحشة يستعملونها ويصرحون بها في الاذية ومجالس الناس • ولا يكون ذلك الا
فيمن اختص بالوقاحة وغلظ الوجه وعدم المبالات بالدين • فاما اهل الصلاح فانهم يتحاشون
عن التلفظ بها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يتعلق بها ويقاربها
قال ابن عباس رضي الله عنه ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنا باللمس عن الجماع والمسيس
واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الجماع وليست بفاحشة وهنا عبارات فاحشة
يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير • وهذه العبارات متفاوتة في الفحش
وبعضها افحش من بعض وربما اختلفت بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها
محظورة وليس يختص بهذا الوقاع بل الكناية عن قضا الحاجة بان يقال خرجت الى ولا يقال
خرجت للبول • والتغوط والخرا فان هذا وما شاكله مما يستحيا منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه
الصريحة فانها فحش ولهذا فانه يستحسن في العادة الكناية عن النسا ولا يقال زوجتك ولا امراتك
ولكن يقال ام ولدك • واهل بيتك واهل الدار واهل الستر واهل الحرم • وهكذا حال العاهات
فانه يستحيا عن ذكرها فلا ينبغي ان يصرح بها لان التصريح بها يكون من الفحش ايضا ولا يقال
هو مجذوم وهو ابرص وبه وجع البواسير ولكن يقال في بدنه تغير للمجذوم • وفي بدنه
تلون للابرص وبمجالسه متغير لمريض وجع البواسير • وحكي ان عمر بن عبد العزيز كان
يتحفظ في منطقه فخرج به خراج في ابطه فقلنا نساله ما ذا يقول فقلنا له من اين خرج
فقال من باطن اليد • **الافة الخامسة** الاستهزا والسخرية وهما محرمان مهما
كانا مؤديان الى الاذية قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نسا من نسا
عسى ان يكن خيرا منهن • ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص
على وجه يضحك منه • وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايما
واذا كان ذلك بحضرة المستهزا به لم يسم ذلك غيبة • وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله
تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ان الصغيرة التبسم بالاستهزا بالمومن
والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب • وعن
عبد الله بن زمعة انه سمع رسول الله صلى الله عليه يخطب الناس فوعظهم مما يخرج الناس من
الانسان ذريه من الصوت • وقال علام يضحك احدكم مما يفعل • وقال صلى الله عليه
ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب الى الجنة فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا
جا اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا جا اغلق دونه فما
يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فما ياتيه بعدان يقال له هلم هلم ياسا منه • وقال

الرسول صلى الله عليه من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع
الى الاستحقار بالغير والضحك منه استصغارا له واستحقارا له • وهذا انما يحرم في حق من
يتاذى فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح بان يسخر به فانما المحرم الاستصغار الذي يتاذى
به المستهزا به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجري بان يضحك على كلامه اذا
تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه او على صنعته او
على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب والضحك من جملة ذلك
داخل في السخرية المنهي عنها المذمومة امثالها • **الافة السادسة المرا والمجادلة
بالباطل** وفيه تنبيهات اربعة **التنبيه الاول** في ذمه وهو منهي عنه لقوله
صلى الله عليه ذر المرا فانه لا تفهم حكمته ولا تومن فتنته • وقال صلى الله عليه من ترك
المرا وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة ومن ترك المرا وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة
وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه ان اول ما عهد الي ربي
ونهاني بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحات الرجال • قال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا
الجدال وحرموا العمل • وقال صلى الله عليه لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المرا
وان كان محقا • وقال عليه السلام ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب
اعدا الله بالسيف وتعجيل الصلوة في اليوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضو
على المكاره وترك المرا وهو صادق • وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقران فانك لن تستطيعهم
ولكن عليك بالسنة • وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر
التنقل • وقال مسلم بن يسار اياكم والمرا فانها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان
زلته • وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال • وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال
من الدين في شي • وقال ايضا المرا يقسي القلوب ويورث الضغاين • وقال لقمن لابنه يا بني لا تجا
دل العلما فيمقتوك • وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد
تمت خسارته • وقال سفين لو خالفت اخي في رمانة فقال حلو وقلت حامض لسعى بي
الى السلطان • وقال سفين صاف من شيت ثم اغضبته بالمرا فليرمينك بداهية
تمنعك العيش • وقال ابن ابي ليلا لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه • وقال
ابو الدردا كفى بك اثما ان لا تزال مماريا • وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاثة ولا تتركه لثلث
لا تتعلمه لتباهي به ولتماري به ولترائي به • ولا تتركه حيا من طلبه ولا زهادة فيه ولا
رضا بالجهل منه • وقال عيسى صلوات الله عليه من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى
الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن سا خلقه عذب نفسه • وقيل لميمون
بن مهران ما لك لا تفارق اخا لك عن قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه • **التنبيه الثاني**
في بيان حد المرا وانما اخرنا الكلام في ماهيته لين ما دخل في النفع فبدانا بانه هو كل اعتراض

على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى • واما في قصد المتكلم وترك المرا
انما يكون بترك الاعتراض والانكار لكل كلام تسمعه السامع فان كان حقا صدق به وان كان
باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير بانه يكون في لفظه
باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة العربية او جهة النظم والترتيب بتقديم
وتاخير وذلك من قصور علوم المعاني والبيان وتارة يكون من جهة قصور المعرفة
ويكون تارة من جهة الطغيان الجاري على اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله
واما من جهة المعنى كان يقول ليس الامر كما تقول • وقد اخطات فيه من جهة كذا وكذا واما
واما من جهة قصده كان يقول هذا الكلام حق ولكن • لم يرد صاحبه به وجه الله
وانما قصد به الريا والسمعة وما يجري مجراه في مثل هذا لما فيه من السلامة عن هذه الافات
المتطرقة الى المرا نعم انما تحصل السلامة مما هنا خاله اذا كان السؤال على جهة الاستفادة
لا على جهة العناد والمناكرة والتلطف في تعرف الصواب لا في معرض الطعن ونقض الغير
بالقدح ونسبته الى القصور والجهل واظهار فضل نفسه مما هنا خاله هو المحظور في
الدين المثير للعداوة والبغضا بسبب المرا

التنبيه الثالث في الباعث على المرا وحمله ما يبعث على ذلك امران الامر الاول

منها اظهار
الفضل لنفسه والعجب بحاله وذلك يودي الى تزكية النفس وهو مقتضى طغيانها واظهار
العلو والتكبر وهي من صفات الربوبية الامر الثاني الهجوم على نقض الغير باظهار
عيبه وجهالته في المسئلة وهو مقتضى صفات السباع فانه يودي الى تمزيق عرضه
ونقصه واذيته وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان للدين وان الباعث عليهما
هو المرا والجدال بالباطل فالمواظب على المرا والجدال بالباطل محقق لهذه الصفات المهلكة
وهذا هو النهاية في الكراهية له بل هو معصية محضة لما يحصل منه ايذا الغير وتقطيع
عرضه • ولا تنفك المماراة عن الايذا وهيجان الغضب • وحمل المعترض على ان ينصر
كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في المعترض بكل ما يتصور ويمكنه كذبا او
صدقا وعند هذا يثور التشاجر بين المتمارين • كما يثور التهارش بين الكلبين
المتهارشين • فان كل واحد منهما يجتهد في ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى
في افحامه وقطعه • فاما الجدال لطلب الحق وازالة الباطل في القطعيات فهي مما
ندب الله اليه بقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن وقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن هو تعريف طريق الصواب واظهار الحق بالمجادلة المقصودة بها وجه

الله تعالى التنبيه الرابع في بيان علاجه والسلامة عنه

انما يكون بكسر نخوة الباعث عليه وهو اظهار فضل نفسه وحب التنقيص لغيره فان
علاج كل علة انما يكون باماطة اسبابها والسبب في المرا هو ما ذكرناه وحكي ان ابا حنيفة

رحمه الله قال لداود الطائي لم آثرت الانزوا قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال له احضر
مجالس العلم ولا تكلم واسمع ما يقال قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منها
لان كل من سمع من غيره خطا وهو قادر على كشفه له يعسر عليه الصبر عنه واكثر ما يحصل
فيه المرا هو المذاهب والعقايد فان المرا يعرض فيهما كثيرا وكلام الف المرا ونعوذ
المجادلة بالباطل فانه يتقوى عليه سلطان الغضب والكبر وهما خصلتان مهلكتان
فنعوذ بالله من استيلايهما على الافيدة وقوة سلطانهما على القلوب

الافة العاشرة

اللعن لحيوان او جماد او لانسان واعلم ان ذلك مذموم واللعن عبارة عن الطرد والا
بعاد وقد صار بالشرع منقولا الى الطرد والابعاد عن رحمة الله تعالى وذلك غير جايز
الا على من يتصف بصفة تبعده عن رحمة الله تعالى كالكفر والفسق كما قال تعالى الا لعنة
الله على الكافرين وعلى الظالمين وعلى الكاذبين • والصفات المقتضية للعن تكون
على ثلث مراتب المرتبة الاولى صفة خاصة كاليهودية والنصرانية
والمجوسية وعلى الزناة والسرقة واكلة الربا واموال الايتام والظلمة وكل ذلك جايز
لاستحقاقهم لذلك المرتبة الثانية عامة الكفرة والفسقة واهل الردة وغيرهم
من الذين تقرر كفرهم وفسقهم المرتبة الثالثة ايقاع اللعن على شخص معين وهذه
المرتبة هي اخص مما سبقها من المرتبتين السابقتين • فكل شخص تقرر كفره جاز لعنه
كما يقال فرعون ملعون وابو جهل ملعون ويزيد قاتل الحسين ملعون كما تقرر
فسق من هذه حالته سوال فان قال قايل اطلاق اللعن على كل من تقرر كفره او فسقه ومات
مصرا على ذلك جايز فكيف الحال فيمن ثبت كفره او فسقه في حال الحياة هل يجوز اطلاقه
عليه ام لا • وجوابه من وجهين اما اولا فلان ذلك يجوز اطلاقه لاجل اعتبار ان ما
هو بالحال التي هو عليها من كفر او فسق فلهذا جاز لعنه مطلقا اعتبارا بحاله واما
ثانيا فلا يجوز لعن الكافر والفاسق في حال حياتهما على جهة الاطلاق • لان التوبة
من جهتهما ممكنة فلا يجوز الاطلاق وانما يكون على جهة الربط والشرط وان لم يكن
ظاهرا فانه يكون مضمرا وقد دل الشرع على ذم اللعن بقوله صلى الله عليه المومن
لا يكون لعانا وقال صلى الله لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم • وقال
حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول • وقال عمران ابن الحصين بينا رسول الله
صلى الله عليه في بعض اسفاره اذ امراة من الانصار على ناقة فضجرت منها فلعنتها
فقال صلى الله عليه خذوا ما عليها فاعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة
تمشي في الارض لا يعترض لها احد من الناس • وقال ابو الدردا ما لعن احد الارض الا قالت الارض لعن
الله اعصانا لربه • وعن عايشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه
ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين والصديقين • كلا ورب

الكعبة العابس وصدقتين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعجبنا ابو بكر بن ابي سعيد فقعد
وحالا للنبي صلى الله عليه وسلم قال لا اعود * وقال صلى الله عليه ان اللعانين لا يكونون شفعاء يوم
القيامة * وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله
لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا * وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه اوصني فقال
اوصيك ان لا تكون لعانا * وقال ابن عمر رضي الله عنه ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان
لعان وقال عليه السلم لعن المؤمن كقتله ·

الآفة الثامنة الخوض في الامور الباطلة وهو الكلام في المعاصي نحو حكاية احوال

النسا ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنيا وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة
واحوالهم المكروهة وحكاية مقامات المغنين فان كل ذلك لا يحل الخوض فيه فانه حرام
فاما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه حلا ان من يكثر الكلام
فيما لا يعنيه لا يأمن عليه الخوض في الباطل لا يمكن ان يحصى لكثرتها وتفننها ولهذا فالمخلص
لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا * وفي هذا الجنس يقع من الكلمات
ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها * وقد قال رسول الله صلى الله عليه ان الرجل ليتكلم
بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم
يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها
سخطه الى يوم القيمة * وقال صلى الله عليه ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها جلساءه
يهوي بها ابعد من الثريا * وقال رسول الله صلى الله عليه اعظم الناس خطايا يوم القيمة
اكثرهم خوضا في الباطل والله الاشارة بقوله وكنا نخوض مع الخائضين · فهذا هو الخوض
في الامور الباطلة وهو وراء ما ذكرناه في الغيبة والنميمة والفحش وغيرها ويدخل
فيه الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم
على وجه الطعن واسقاط مراتبهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نعوذ
بالله من الخوض فيما لا يعني

الآفة التاسعة الخصومات

وهي ايضا مذمومة
ويكون وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه والجدال عبارة
عن امر يتعلق باظهار المذاهب فاما الخصومة فهي لجاج في الكلام ليستوفي به مالا وحقا
مقصودا وذلك تارة يكون على جهة الابتدا وتارة يكون على جهة الاعتراض والمراء
لا يكون الا اعتراضا على كلام سابق · وقد قالت عايشة رضي الله عنها قال رسول
الله صلى الله عليه من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع * وقال
بعضهم اياكم والخصومة فانها تمحق الدين · ويقال ما خاصم قط من له ورع في الدين * وقال
ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله فقال ما يجلسك هاهنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم
لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا اذهب

للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة * قال فقمت
لارجع فقال خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت انه حقي قال لا قلت لا ولكني اكرم
نفسي عن هذا الخصومة قال فاني لا اطلب منه شيئا هو لك *

سؤال فاذا كان للانسان
حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما طلبه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف
يكون خصومته مذمومة وجوابه ان هذا الذم انما يتناول الذي يخاصم بالباطل *
والذي يخاصم بغير علم فاما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف
وزيادة لجاج على قدر الحاجة من غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى
تركه اذا وجد اليه سبيلا * فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال
متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب فاذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه
وبقي الحقد بين المتخاصمين وتحدث العداوة حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة صاحبه ويحزن
بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدا بالخصومة فقد تعرض لهذه الاخطار واقل ما
في الخصومة هو تشويش الخاطر حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر
على حد الواجب في الخصومة مبدا الشر وينبغي ان لا يفتح بابها الا لضرورة وعند الضرورة
ينبغي ان يحفظ صاحبها عن هذه الغوائل العظيمة * وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا
وقال صلى الله عليه الكلمة الطيبة حسنة * وقال بعض الحكما كل كلام لا يسخط ربك
الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا * فلعل الله ان يعوضك به ثواب المحسنين

الآفة العاشرة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع

والفصاحة والتصنع فيه فكل ذلك من التكلف الممقوت والتصنع المذموم الذي قال
فيه الرسول صلى الله عليه انا والاتقيا من امتي برآء من التكلف * وقال صلى الله عليه ان ابغضكم
الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون الثرثار المتكلم فيما لا يعني والمتفيهق
الذي يتكلم بل فيه من فيه لهم فهو لا يبالي اذا امتلأ والمتشدق الذي يكثر الكلام من غير
فايدة * وقد قال صلى الله عليه شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون
الوان الثياب ويتشدقون في الكلام * وقال صلى الله عليه الا هلك المتنطعون
في الكلام ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء * وقال عمران منشاقيق
الكلام من شقاشق الشيطان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن
العادة وهكذا تكلف السجع في اثنا المحاورات ليس الا التكلف والتصنع بل ينبغي
ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للاغراض فما وراء ذلك تصنع مذموم
ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطب والمواعظ والتذكير من غير افراط ولا تطلب للغريب
من الكلام لان المقصود انما هو تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولا يكون لرشاقة
الالفاظ تاثير فيه فهو لايق بهذا المقام فاما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا

يليق بها التسجيع والاشتغال بهذا يكون من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا واظهار
الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك يكرهه الشرع ويزجر عنه **الآفة الحادي عشر** الكلام فيما
لا يعنيك اعلم ان حسن حالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات كالكذب والمرآء والنفاق
والغيبة والنميمة وحقه ان تتكلم بما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم فاذا انك اذا
تكلمت بما ليس فيه حاجة وانت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانت مضيع زمانك ومحاسب
على لسانك ومستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير وقد قال صلى الله عليه المؤمن لا يكون صمته
الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا لان راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه
ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال صلى الله عليه من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه وقد ورد ما هو اشد من هذا قال انس [illegible] استشهد غلام منا يوم
احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني
فقال الرسول صلى الله عليه وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث اخر
ان الرسول صلى الله عليه فقد كعبا فسال عنه فقالوا هو مريض فخرج رسول صلى الله عليه
يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال رسول الله صلى
الله عليه من هذه المتالية على الله تعالى فقال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب
لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه وعن محمد بن كعب ان رسول الله صلى الله
عليه قال اول من يدخل هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه فاخبروه بذلك فقالوا له اخبرنا باوثق عملك في نفسك
مما ترجو به الخير فقال اني لضعيف العمل واني لاوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر
وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي رسول صلى الله عليه الا اعلمك بعمل خفيف على البدن
ثقيل في الميزان قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن
عباس رضي الله عنه يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل
ولا آمن عليك الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه
قد وضعه في غير موضعه فعيب ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يغلبك وان السفيه
يوذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه
واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك
قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال بعض الحكماء امرا انا طلبه منذ عشرين سنة
لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله
عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من
خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امورك الذين
يخشون الله وحده **تنبيه اعلم** ان السبب الباعث على الكلام فيما لا يعني هو الحرص

يغلبك

على معرفة ما

على معرفة ما لا حاجة اليه وعلى البسط في الكلام على جهة التودد وتفويت الوقت
بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤول
عن كل كلمة وان انفاسه معدودة عليه وعمره راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على
ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من جهة العلم واما
من جهة العمل فالعزلة عن الناس وان يلزم نفسه السكوت ليتعود اللسان ترك
ما لا يعنيه وضبط اللسان على غير المعتزل عسير جدا والله اعلم بالصواب
الآفة الثاني عشر فضول الكلام اعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم منها محصور في
كتاب الله تعالى قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه طوبى لمن امسك الفضل من قوله وانفق
الفضل من ماله وعن الحسن رضي الله عنه يقول الله تبارك وتعالى يا ابن ادم بسطت
لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاملل ما شئت واكثر او اقلل وروي
ان سليمن بن داود عليه بعث بعض عفاريته وبعث معه نفرا ينظرون ما يقول
ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق ورفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس
وهز راسه فساله سليمن فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس وما اسرع ما يكتبون
ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن
كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه ساء خلقه ومن ساء خلقه عذب نفسه
وتكلم رجل عند الرسول صلى الله عليه فقال له كم دون لسانك من باب فقال شفتاي
واسناني فقال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال انذركم
فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته وعن الرسول صلى الله عليه انه قال ما اوتي رجل
شرا الا من فضل لسان وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت
وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال بعض الحكماء من فتنة العالم ان يكون
الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه فلا يتكلم فان في الاستماع سلامة وفي
الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الانسان لسانه وراى
ابو الدرداء امراة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء لكان خيرا لها وقال بعض الزهاد
يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام وعن بعضهم ان رجلا يكلمني بالكلام
لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمان فاترك جوابه خيفة ان يكون فضولا وقال
مطرف ليعظم جلال الله فيكم ويكثر في قلوبكم ولا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار
اللهم اخزه وقد اعرضنا في بيان فضول الكلام وهذا منه والله الموفق للصواب
الآفة الثالثة عشر المزاح واصله مذموم الا قدرا يسيرا
يستثنى منه فلنذكر حكمه ونذكر مزاح الرسول صلى الله عليه وسلم

الكلام

نعد ان تسمعها ت **التنبيه الأول** في حكمه فاعلم ان المزاح فيه انبساط ومطايبة
وطيبة قلب والمنهي عنه هو الافراط والمداومة فاما المداومة عليه فلانه اشتغال
باللعب والهزل واللعب مباح لكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه
يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال
ويسقط المهابة والوقار فلا يخلوا عن هذه الامور فمن فتح باب المزاح وكان غرضه
ان يضحك الناس كان ذلك مكروها لما قدمناه في كراهة فضل الكلام وقال عمر
رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف
به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل
ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة وقال الرسول صلى الله
عليه لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك
انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رئي
ضاحكا حتى مات وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال
محمد بن واسع اذا رايت رجلا في الجنة يبكي الست تعجب من بكائه قال بلى قال فالذي يضحك في
الدنيا ولا يدري الى ما يصير فهو اعجب فحصل من مجموع ما ذكرناه ان المزاح مكروه الا
مقدارا ما استثني لما روي عن الرسول صلى الله عليه انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه والله اعلم

التنبيه الثاني في بيان مزاحه صلوات الله عليه روى ابو هريرة رضي
الله عنه انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا
حقا وروي ان رجلا سال ابن عباس فقال هل كان رسول الله يمزح فقال ابن عباس نعم
فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه صلى الله عليه ذات يوم كسا امراة من نسائه
ثوبا واسعا فقال البسيه واحمدي وجري ذيلا كذيل العروس وروى انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه كان من افكه الناس وروي انه كان كثير التبسم وروي انه
اتت اليه عجوز فقال صلى الله عليه لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست
بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروي ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت
الرسول صلى الله عليه فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو هذا الذي بعينه
بياض فقال صلى الله عليه ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت
امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع
به لا يحملني فقال صلى الله عليه وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح معهما وقال انس كان
لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير فكان رسول الله صلى الله عليه ياتي ابا عمير فيقول له يا ابا عمير
ما فعل النغير والنغير هو عصفور صغير وقالت عائشة رضي الله عنها خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه في غزوة بدر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه تعالي حتى اسابقك

فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال هذه مكان
ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشيء فقال اعطنيه
فابيت وسعيت وسعى على اثري فلم يدركني وقالت عائشة رضي الله عنها سابقني
رسول الله صلى الله عليه فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت
عائشة كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسودة فصنعت خزيرة والخزيرة طعام
فيه قطع من لحم وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن
وجهك فقالت ما انا بذائقته فاخذت من الصحفة شيئا فلطخت وجهها ورسول الله
جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه ركبتيه لتستقيد مني فتناولت
من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه يضحك وروي ان رسول
الله صلى الله عليه كان يدلع لسانه للحسن فيرى لسانه فيهش اليه وروي ان
رسول الله صلى الله عليه قال لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد
فقال انما اكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه حتى بدت نواجذه
وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة وكان
يقول مع بعيري شرود فلعل احداكن تفتل لي ضفيرا فقال رسول الله صلى الله عليه
يا ابا عبد الله ما فعل بعيرك الشارد فقال يا رسول الله قيده الاسلام والذي بعثك
بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الرسول صلى الله عليه مرتين الله اكبر الله اكبر اللهم
اهد ابا عبد الله فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة
عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب **سؤال** فان قال قائل فقد نقل
المزاح عن الرسول صلى الله عليه واصحابه فكيف ينهى عنه وجوابه ان الملائكة لا يقاسون
بالحدادين ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ان رسول الله صلى الله عليه يمزح ولا يقول الا
حقا فاذا قدرت ايها المتكبر على ما يقدر عليه رسول الله صلى الله عليه من انه يمزح ولا
يقول الا حقا فلا باس في مزحك ولكن الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح ويواظب عليه
ويفرط في الضحك ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه فهذا قياس فاسد

الآفة الرابعة عشر الغناء والشعر وهما من الآفات المتعلقة باللسان فاما الغناء فالذي
عليه سادات اهل البيت عليهم السلام والسابقون الى الامامة منهم هو تحريم الغناء
وكراهيته وانه مناقض للمروة والدين ويرد به الشهادة وتنقص به العدالة وهذا
هو راي الفقهاء ابو حنيفة والشافعي ومالك ويحكى عن ابي حنيفة انه كان يكره ذلك ويجعل
سماع الغناء من الذنوب وهكذا سائر اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد والشعبي
والنخعي وغيرهم واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها
مغنية فله ردها بالعيب وهو مذهب سائر اهل المدينة واما الشافعي رحمه الله تعالى

وقد حكى عنه انه قال الغنا لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد
شهادته وهذا هو المختار عندنا ولا اعتبار بما حكاه عن الشيخ ابي حامد الغزالي من
كونه مباحا ومندوبا ✤ وقد اورد فيه ادلة ركيكة وحكاه عن من لا خبرة بكلامه
ولا بعقد خلافه وهي مجهولة في خصوص فعلهما على جزاه في الدين ورد قول في خاله
من تلبس بها ✤ وعلى الجملة فان الولوع بالغنا والتلبس به داب السفلة وهو منقص للمروة
ولقد كان للشيخ ابي حامد غنية عن نصرة استحباب الغنا واباحته ومنه وجه عن
ايراده في الكتب الدينية فضلا عن الاحتجاج عليه والذي يدل على كراهته وحظره
قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ✤ وقد قال فيه علما التفسير ان لهو الحديث
هو الغنا وهو محكي عن ابن مسعود والحسن البصري والنخعي ✤ وقوله تعالى افمن هذا الحديث
تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون ✤ قال ابن عباس السمود هو الغنا بلغة
حمير ✤ وروى جابر عن الرسول صلى الله عليه انه قال ان ابليس اول من ناح واول من تغنى
فجمع بين النياحة والغنا وفي هذا دلالة على كونهما محظورين ✤ وروى ابو امامه
عن الرسول صلى الله عليه انه قال ما رفع احد صوته بغنا الا بعث الله شيطانين
على منكبيه يضربان باعقابهما صدره حتى يمسك ✤ وروى عقبة بن عامر عن الرسول
صلى الله عليه واله انه قال كل شي من اللهو يلهو به الانسان باطل الا ثلثة رميه بقوسه
وتاديبه فرسه وملاعبته امراته وما عدا ذلك فهو معدود في اللهو ✤ وروى ابن مسعود رضي الله
عنه انه قال الغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ✤ وقال عمر ما تغنيت فلا تمنيت ✤ وقال الفضيل بن
عياض الغنا رقية الزنا ✤ وقال بعضهم الغنا رايد الفجور ✤ وقال بعض الحكما اياكم
والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله الخمر
فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النسا فان الغنا داعية الزنا ✤ **واما الشعر** والله
الشعر فهو من جملة الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح خلا ان التجرد له مذموم
قال صلى الله عليه لان يمتلي بطن احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا ✤ وعن مسروق
انه سيل عن بيت شعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر ✤ وعلى
الجملة فان انشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه هجو واذية ✤ وقد قال صلى الله عليه
ان من الشعر لحكمة ✤ وقد انشد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه فلم ينكر وامر بان
ينشد له ✤ **الآفة الخامسة عشرة في الوعد الكاذب** والله اعلم
فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس بعد ذلك لا تسمح بالوفا فيصير الوعد خلفا وذلك من
امارات النفاق وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود ✤ وقال الرسول صلى الله
عليه العدة دين ✤ وقال الواي مثل الدين وافضل والواي هو الوعد ✤ وقد اثنى
الله تعالى على نبيه اسمعيل صلى الله عليه فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا

نبيا فيقال انه وعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه حتى تنسن وعرف وملي المكان
وعن عبد الله بن ابي الحنسا قال بايعت الرسول صلى الله عليه قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في
مكانه ذلك فنسيت يومي والغد وفي اليوم الثالث اتيته وهو مكانه فقال يا فتى لقد شققت
علي انا ها هنا منذ ثلث انتظرك ✤ وقيل لبعض الزهاد الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي قال
ينتظر ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجي وكان رسول الله صلى الله عليه اذا
وعد وعدا قال عسى ✤ وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى
ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفا الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما
على ان لا يفي فهذا هو النفاق ✤ قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه ثلث من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان
ولقد كان رسول الله صلى الله عليه جالسا يقسم غنايم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من
الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت احتكم ما شيت فقال احتكم ثمانين
ضانية وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه هي لك لقد احتكمت يسيرا ✤ **الآفة السادسة
عشرة** كلام ذي اللسانين وذي الوجهين وهو الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل
واحد منهما بما يوافقه ويهواه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق
قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان
من نار يوم القيمة ✤ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه تجدون من شر عباد الله
يوم القيمة ذا الوجهين الذي ياتي هولا بحديث وهولا بحديث هولا ✤ وفي لفظ
اخر ياتي هولا بوجه وهولا بوجه ✤ وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون
امينا عند الله ✤ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض خليقة الله الى الله يوم
القيمة الكذابون المستكبرون الذين يكنزون البغضا في صدورهم لاخوانهم فاذا لقوهم
تملقوا لهم واذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطا واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا
وقال ابن مسعود لا يكون احدكم امعة قالوا وما الامعة قال يجري مع كل ريح ✤ واتفقوا على
ان ملاقات الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذا من جملتها ✤ وروي
ان رجلا من اصحاب الرسول صلى الله عليه مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه ولا تصلي عليه فقال حذيفة يا امير المومنين انه منهم
فقال انشدك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا اومن منها احدا بعدك **سوال**
فان قال قايل فيما ذا يصير الرجل ذا اللسانين وذا الوجهين وما علامة ذلك وما
حده ✤ وجوابه ان الرجل اذا دخل بين المتعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا لم
يكن منافقا ولا كان ذا اللسانين فاما اذا نقل كلام كل واحد منهما الى الاخر فهو ذو لسانين
وذو وجهين وذلك يكون شرا من النميمة اذ تصير نماما بان ينقل عن احد الجانبين

فقط فاما اذا كان نافلا من الجانبين جميعا فهو شر من الهام ٥ واما اذا لم يقل كلاما ولكن
حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من العداوة مع صاحبه فهذا ذو اللسانين وهكذا
اذا وعد كل واحد منهما انه ينصره على الاخر وكذلك اذا اثنى على كل منهما في معاداته لصاحبه
او طرى المتعاديان بين يديه او اثنى على احدهما وكل ذلك داخل في حكم المتعاديين ويحق في حضوره وغيبته وبين
يدي عدوه

الافة السابعة عشر المدح والذم واما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرناه فلنذكر افات المادح

والافات الممدوح وما يتوجه على الممدوح فهذه بيانات ثلثة البيان الاول في
ايضاح افات المادح وجملتها ان يخ الاولى منها انه ربما يفرط في المدح فينتهي الى الكذب
قال بعض الحكماء من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم
القيمة يتعثر بلسانه ٥ الثانية انه قد يدخله الريا فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا
له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به كذا مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه
ولا سبيل له الى الاطلاع عليه ٥ وروي ان رجلا مدح رجلا عند الرسول صلى الله عليه
فقال رسول الله ويحك قطعت عنق صاحبك ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب
فلانا ولا اركي على الله احدا حسيبه الله وان كان يرى انه كذلك ٥ وهذه الافة انما تتطرق
الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة والبراهين التي غيبة كقوله هو تقي وورع و
زاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي ويصوم ويتصدق ويحج فهذه امور
مستيقنة ٥ ومن قولهم عدل او رضى فان ذلك كله خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه
الا بعد خبرة باطنه ٥ الرابعة انه قد يمدح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير
جائز قال رسول الله صلى الله عليه ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا
لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله في ارضه وهو مروي عن الرسول صلى الله عليه

البيان الثاني في ايضاح افات الممدوح

وهما افتان الاولى انه يحدث فيه كبرا
وعجبا وهما مهلكتان ٥ وحكى الحسن البصري ان عمر رضي الله عنه كان قاعدا ومعه
الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن
حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين
قال ما لي ولك اما انك قد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شي فا
حببت ان اطاطي منك الثانية هو انه اذا اثنى عليه بالخير فرح وفتر ورضي من نفسه ومن
اعجب بنفسه فتر عن التشمير واما المتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا انطلقت الالسنة
بالثنا عليه ظن انه قد ادرك ٥ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه قطعت عنق صاحبك لو
ان سمعه ما افلح وقال صلى الله عليه اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه
الموسى وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء

عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

مدحة الا تصاغرت الى نفسي ٥ وقال صلى الله عليه لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف
لكان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر المدح هو الذبح وذلك ان المذبوح
يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث العجب والكبر وهما
مهلكان كالذبح فلهذا اشبهه به فان سلم المادح والممدوح عن هذه الافات لم يكن
به باس وقد اثنى الرسول صلى الله عليه على الصحابة فقال انا سيد ولد ادم ولا فخر
اي لست اقول ذلك على جهة الافتخار كما يفعل الناس وذلك لان افتخاره انما هو بالقرب
من الله وبمكانه منه لا بكونه ولد ادم وقال ما من احد يتشفع عنده الا رسوله
شافع او مشفع وقال في امير المؤمنين كرم الله وجهه اقوال كثيرة في اظهار
مناقبه وفضائله وقال في ابا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم
ما يدل على فضلهم وعلو منزلتهم عند الله تعالى وانما كان ذلك كذلك لبعدهم عن
تلك العاهات التي ذكرناها

البيان الثالث في بيان ما يتوجه على الممدوح

اعلم ان الذي يتوجه على الممدوح عند سماعه المدح ان يكون شديد الحذر من
افة الكذب والكبر والعجب وافة الفتور والريا ولا يسمع اعراض ذلك الا بان
يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقائق الريا وافات الاعمال فانه يعرف من نفسه
ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خاطره لكف المادح عن
مدحه ٥ وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله
عليه وآله احثوا في وجوه المداحين التراب وقال سفيان ما يضر المدح من عرف نفسه
واثنى رجل على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هولا لا يعرفوني وانت تعرفني
وقال اخر اللهم ان عبدك هذا تقرب الى بمقتك وانا اشهدك على مقته ٥ واثنى رجل
على عمر فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على امير المؤمنين في وجهه وكان قد
ابلغه انه يقع فيه فقال علي انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك وقد عرضنا
مما اردنا ذكره في المدح والله اعلم

الافة الثامنة عشر في الغفلة عن دقائق الخطا

في اثنا الكلام وفحوى الخطاب لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته
او يرتبط بالامور الدينية فلا يقدر على تقويم اللفظ في الامور الدينية الا العلما والخطبا
ولم يامن العثرات لكن الله تعالى يعفو عنه لجهالته وهذا وان كان الخطا فيه ليس كفرا
ولا فسقا فلا يخلو عن كونه معصية وذلك غير ان اللسان وهو والله وعنهما قال
حذيفة قال الرسول صلى الله عليه لا يقول احدكم ما شا الله وشيت ولكن يقول ما شا الله
ثم شيت وذلك لان في العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية وهو على خلاف الادب
الشرعي وقال ابن عباس جا رجل الى الرسول صلى الله عليه يكلمه في بعض الامر فقال ما
شا الله وشيت فقال صلى الله عليه اجعلتني لله عدلا قل ما شا

الله وحده ۝ وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلم بئس خطيب القوم انت هلا
قلت ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وكره قوله ومن يعصهما لما فيه من الجمع
بينهما في الضمير والمساواة وكان بعض اهل الصلاح يكره ان يقول اعوذ بالله
وبك ويجيز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا
من النار ويقولون انما يكون العتق بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار
ويستعيذون منها ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنه ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه
فيقول لولاه لسرقنا الليلة ۝ وقال صلى الله عليه لا تسموا العنب الكرم فان الكرم هو
الرجل المسلم ۝ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه لا يقولن احدكم عبدي
ولا امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل خادمي وغلامي وفتاي
وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن يقول سيدي وسيدتي فكلكم
عبيد والرب هو الله تعالى ۝ وقال صلى الله عليه لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه
ان يكن سيدكم فقد اسخط الله فهذه آداب كثيرة قد اشار اليها صاحب الشريعة
في الكلام ينبغي الاقتداء بها والامتثال لمراسمه فيها كما اوضحناه ۝

الآفة التاسعة عشرة الافصاح بعيبك عن نفسك فيسترها

الله عليك في الدنيا واشاعتها عنك في المجالس والمحافل والتبجح بفعلها فما هذا حاله
من اقبح الخصال وادناها لما فيه من سقوط المروءة ورذالة النفس ۝ وفي الحديث عن الرسول
صلى الله عليه انه قال من تضمخ بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله ۝ وفي حديث آخر
اذا اذنب العبد ذنبا وستر الله عليه في الدنيا فالله اجل واعلى ان يفضحه به في الآخرة
واذا كان الامر كما قلناه فعليه ان يحرس نفسه عن مثل ذلك لما ذكرناه من اقبح الخصال
وادناها ۝ الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى في الهيته وكلامه
والمراد به في حقه وغيرها هل هي قديمة او حادثة ۝ والكلام في كيفية تعلقها
بمتعلقاتها فانه لا حاجة بهم الى السؤال عن ذلك ۝ وحظهم الاشتغال بالعمل بما جاء به
القرآن والسنة من العبادات واحوال المعاملات خلا ان الاقتصار على ذلك ثقيل
على القلوب والفضولات خفيفة عليها والعوام يفرحون بالخوض في العلوم لان
الشيطان يخيل اليهم انهم من جملة العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليهم ذلك حتى يتكلم
بما هو كفر وهو لا يدري [illegible] خاصة فيما يتعلق بالذات القديمة والصفات الالهية
وانما اللائق بالعوام هو شغل انفسهم بالعبادات والتصديق بما ورد به القرآن
والتسليم لما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم من الامور الاخروية والاستقامة
على ذلك وسؤالهم وبحثهم عما لا يليق بالعبادات سوء ادب وهم يستحقون بذلك المقت

من الله تعالى ويتعرضون لخطر الكفر وسؤالهم كسؤال [illegible]
وهو موجب للعقوبة ۝ وقد نبه على ذلك الرسول صلى الله عليه [illegible] ذروني ما
تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فانتهوا
وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم ۝ وقال انس بن مالك سال الناس رسول الله صلى الله
عليه يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر [illegible]
الا انبأتكم عنه فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي [illegible]
تعالى يا رسول الله ابي في الجنة او في النار فقال بل في النار ۝ وقام اليه رجل
الله صلى الله عليه امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله ربا [illegible] قال فلما رأى الناس غضب رسول
فقال له اجلس فانك ما علمت لموفق ۝ وفي الحديث نهى رسول الله عن القيل والقال وكثرة
السؤال واضاعة المال ۝ قال رسول الله صلى الله عليه لا يزال الناس يسألون
حتى يقول احدهم الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله
ولنكتف بما اوردناه في آفات اللسان [illegible]
ذكرناه في آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم [illegible] ومن تأمل جميع ما
الله عليه وسلم من صمت نجا [illegible] الا آفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طرف المتكلم فمن
سكت سلم عن الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يكون [illegible] ومقالته
الله تعالى مصاحبة وهو مع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن
تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فنسأل الله تعالى عصمته في الاقوال والافعال والتوفيق بجوده
ورحمته اقصى البغية والآمال فهو الجواد الكريم البر الرحيم ۝

الباب الرابع من مقالة المهلكات في الغضب

اعلم ان الغضب شعلة نار قبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع على الافئدة وانها لمستكنة
في الفؤاد استكنان الجمر في الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد
كما يستخرج الحجر النار من الحديد ۝ وقد انكشف لاهل اليقين والناظرين بنور اليقين
ان الانسان منه عرق الى الشيطان اللعين فمن اشتعلت فيه نار الغضب فقد قويت
فيه قرابة الشيطان المنصوص عليها من القرآن كما قال تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين
فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال وحقيقة الغضب غليان
دم القلب لطلب الانتقام ۝ وهي قوة حاصلة في القلب واذا حصل الغضب فله
آثار اربعة

الاثر الاول

تغير اللون بالصفرة وشدة الرعدة واضطراب الاطراف
وظهور الزبد على الاشداق واحمرار الاحداق وانتفاخ المناخر واضطراب الحركة
واستحالة الخلقة ولو رأى الغضبان في صورته عند غضبه لسكن غضبه حياء
من قبح صورته

الاثر الثاني

في اللسان بانطلاقه بالشتم والسب والاذية وقبيح الكلام

الاثر الثالث وبالكلام الذي يستحي منه ذوو العقول ويستحي قائله عند فتور الغضب
على الاعضاء بالضرب والقتل والجرح والتمزيق والاتواب عند التمكن من غير مبالاة فان فات المغضوب
عليه او عجز عن التشفي فانه يرجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد
يضرب بيده على الارض سفاهة وربما يسار سيرة السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط
صريعا من شدة الدهشة وربما تعتريه الغشية وضرب للعنوان وشتمه وشبه ذلك من افعال المجانين
الى غير ذلك من التغيرات في حالة **الاثر الرابع** في القلب على المغضوب عليه وهو الحقد
والحسد واظهار الشماتة والحزن بالسرور والغم بما يناله من الفرح وهتك
الستر والاستهزاء فهذه هي حقيقة الغضب وما يظهر من ثمراته والمقصود تفصيل ذلك بايراد
تنبيهات ستة

التنبيه الاول في بيان درجات الغضب

اعلم ان الناس بالاضافة الى هذه الخصلة المهلكة للدين على درجات افراط وتفريط واعتدال
ونحن نوضح كل واحدة من هذه الدرجات بكلام يخصها **الدرجة الاولى** الافراط وهي
ان يكون الغضب غالبا على صاحبه حتى يكون الانسان خارجا عن سياسة العقل والدين
وطاعتهما فلا يبقى للمرء معهما بصيرة ولا نظر ولا فكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر
ولذلك سببان **السبب الاول** امور غريزية جبلية فرب انسان هو بالفطرة
مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويهيج ذلك حرارة
مزاج القلب لان الغضب من النار كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه بقوله الغضب جمرة توقد
في فؤاد ابن آدم النار الا ترونه كيف تحمر عيناه وتنتفخ اوداجه **السبب الثاني**
الامور الاعتيادية وهو ان يخالط قوما يتفاخرون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون
ذلك بطالة ويسمون ذلك بالشجاعة والرجولية حتى يقول احدهم انا الذي لا اصبر على ضيم ساعة
واحدة ومعنى ذلك انه لا عقل لي ولا حلم ويذكره في معرض الفخر لجهله ومن سمع ذلك
رسخ في قلبه حسن الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمى صاحبه
واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل يزيده ذلك غضبا وان استضاء بنور عقله
وراجع نفسه لم يقدر ان يزيل ذلك عن نفسه وينطفئ نور العقل بدخان الغضب فان معدن القلب
معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ
مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه حتى لا يبصر بعينه
وتظلم عليه الدنيا باسرها فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح
في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا نعوذ بالله من شدة الغضب

الدرجة الثانية وهي المقابلة لهذه الدرجة وهي التفريط وهو بطلان
قوة الغضب وضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه من الرجال لا حمية له ولا
انفة ولهذا قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب
في الحمية فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة بالقوة والحمية فقال اشداء على الكفار
رحماء بينهم وقال للرسول صلى الله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
والغلظة انما تكون من آثار قوة الغضب والحمية لا محالة فهذه الدرجة مذمومة وهذه
كالدرجة الاولى **الدرجة الثالثة** وهي درجة الاعتدال وهي المحمودة
وهي حالة الغضب التي ينتظر فيها اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية
وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هي الاستقامة وهو الذي كلف الله بها
عباده وهي الوسط التي اشار اليها الرسول صلى الله عليه بقوله خير الامور اوساطها
فمن مال غضبه الى الفتور والضعف حتى احس من نفسه بطلان الغيرة وخسة النفس
في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوم غضبه ومن مال
غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور في اقتحام الورطات العظيمة والفواحش المهلكة
فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط من جوس الطرفين وهو المنهاج القويم
والطريق المستقيم

التنبيه الثاني في بيان ذم الغضب

قال الله تعالى
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الاية
فذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل والتعصب له ومدح المؤمنين
بما انعم عليهم من السكينة وقد ظهر ذمه من جهتين **الجهة الاولى**
الاخبار روى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب
فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب وقال ابن عمر للرسول صلى الله عليه
قل لي قولا واقلل لعلي اعقله قال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا
تغضب وعن عبد الله بن عمر انه سال الرسول صلى الله عليه ماذا يبعدني من غضب
الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه ما تعدون الصرعة
عندكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال
الرسول صلى الله عليه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان
بن داود عليه السلام اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة
في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال يحيى لعيسى عليهما
السلام لا تغضب قال لا استطيع الا الغضب انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال عسى هذا وقال
صلى الله عليه الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه ما غضب
احد الا اشفى على جهنم وقال رجل للرسول صلى الله عليه اي شيء اشد قال غضب
الله قال فما يبعدني عن غضب الله قال لا تغضب **الجهة الثانية الآثار**
قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت فيوشك ان تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي

القريب انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان
اقدر ما يكون على ابن ادم عند الغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤده واياك
والعجلة فانك ان عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا
وعن وهب ابن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاء
حتى ناداه فقال افتح لي فلم يجبه فقال افتح لي فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه
فقال اني انا المسيح فقال الراهب فان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة
والاجتهاد ووعدتنا القيمة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فقال اني انا الشيطان
وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسالني عما شئت فاخبرك فقال ما اريد ان اسالك
عن شيء فولى مدبرا فقال له الراهب الا تسمع قال بلى فقال اخبرني اي اخلاق بني ادم اعون
لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وعن
بعضهم الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب
طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه الغضب مفتاح كل شر
وقال بعض الانصار راس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم
والحلم زين والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وعن ابليس
ما اعجزني بنو ادم فلن يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث
شينا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم وقيل لحكيم ما املك
فلانا لنفسه قال اذن لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال
بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذل الاعتذار وقال بعضهم اياك والغضب
فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم
الرجل عند غضبه وليت شعري ما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا
لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله لا تعاقب عند غضبك فاذا غضبت على رجل
فاحبسه حتى يسكن غضبك فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز
به خمسة عشر سوطا واغلظ رجل من قريش على عمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال
اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال
بعضهم الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وقال وهب بن منبه للكفر اربعة
اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع ونقتصر من ذمه على ما ذكرناه

التنبيه الثالث في بيان الاسباب المهيجة للغضب

اعلم ان الاسباب المهيجة
للغضب هي الزهو والعجب والفخر والمزح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر
وشدة الحرص على المال والجاه فهذه امور عشرة وهي باجمعها اخلاق ردية ولا خلاص
من الغضب مع بقا هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فاما الزهو

وانما يزال بالتواضع ويزال العجب بمعرفة الانسان بنفسه وحقيقة حاله واما
الفخر فيزال بالاعتراف بانك من جنس عبدك لا فضل لك عليه لانه من ولد ادم
كما انك من ولد ادم واما الفخر باكتساب الفضائل والفخر على اكتساب الرذائل واما المزح فيزال
بالاشتغال بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عليه اذا عرفتها واما الهزل فانه
يزال بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى
سعادة الاخرة واحرازها واما الهزء فيزال بالتكرم عن ايذا الناس وبصيانة النفس
عن ان يستهزا بك واما التعيير فيزال بالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس
عن مرارة الجواب واما المماراة فيزال بكثرة العفو الفضل لنفسه والاعراض عن
عيوب الناس واما المضادة فيزال بالخوف من الله تعالى عن ظلم الخلق وخوف المقاصة
في الاخرة واما الغدر فيزال بالعزم على الوفا واعتقاد ان الوفا يوم الصدق واما
شدة الحرص على مراد العيش فيزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا للعز الاستغناء
وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من الصفات يفتقر في
علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لتكون النفس
راغبة عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير
بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه
الرذائل وتخلصت عنها ومن اعظم البواعث على الغضب عند اكثر الجهال تسميتهم
الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة
وجهالة فينبغي ان يعالج هذا الجهل بان يتلى عليه حكايات اهل العفو والحلم وما
استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك
الفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهال والاغبياء الذين لا عقل لهم
ولا فضل عندهم

التنبيه الرابع في بيان علاج الغضب

عند هيجانه اعلم ان الغضب اذا هاج فيجب ان تثبت حتى لا يكون صاحبه مضطرا
الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج عند هيجانه بمعجون العلم والعمل
فهذان نوعان

النوع الاول في علاجه بالعلم

وذلك يكون بامور ستة
الاول منها ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو
والاحتمال ويرغب في ثوابها فيدعوه ذلك الى العفو وكظم الغيظ ويمنعه عن التشفي
والانتقام وحكي ان عمر بن الخطاب غضب على رجل فامر بضربه فقيل له يا امير المومنين
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وكان يتامل الاية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه
كثير التدبر له **الثاني** ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله

اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله علي غضبه يوم
القيمة احوج ما اكون الى العفو وقد قال تعالى في بعض كتبه المنزلة يا ابن آدم اذكرني حين
تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق **الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة
العداوة والانتقام وتشمير العدو في مقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه
وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الاخرة
وان كان يخاف الاخرة تخوفه من انتقام الله وانتصاره يكون اعظم **الرابع** ان يتفكر
في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حال غضبه ويتفكر في قبح الغضب
في نفسه ومشابهة صاحبه بالكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم
الهادي التارك للغضب للانبيا والعلما والحكما ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع
واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبيا والعلماء ومن العادة الميل الى حب الاقتدا بهؤلاء
ان كان قد بقي معه مسكة من عقل **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام
ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك
على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فاذا كان الامر هكذا
من جهة الشيطان فليقل لنفسه ما اعجب امرك يا نفس من احتمال الان ولا تأنفين من خزي
يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين
الناس ولا تحذرين من ان تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين فهذا كظم الغيظ
فينبغي ان يكظمه لله وذلك لعظمه عند الله فهذا وامثاله من معارف الايمان وحقايقه
فينبغي ان يقرره في قلبه **السادس** ان يحقق لنفسه ويضع في قلبه انه اذا غضب صار
منازعا لله تعالى في هذه الصفة ولا شك ان غضب الله تعالى حكمة وصواب وغضبه
معصية وخطاء واذا كان الامر كما قررناه فيه منه الغضب لاجل المنازعة كما في
الكبر من جهتنا وهو حسن في حق الله تعالى فهذا ما يتعلق بعلاجه من جهة الامور
الدينية **النوع الثاني** في بيان علاجه بالامور العملية وحاصله ان تقول
بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر الرسول صلى الله عليه ان يقال عند
الغضب وكان صلى الله عليه اذا غضبت عايشة اخذ بانفها وقال يا عويشة قولي
اللهم اغفر رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن
ويستحب ان يقال ذلك عند الغضب فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان
كنت قاعدا واقرب من الارض التي انت منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس
والاضطجاع السكون لتزول تلك الحرارة وتتغير تلك الحالة واغتسل فان النار لا يطفيها الا
الماء فقد قال رسول الله صلى الله اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء البارد فانما الغضب من
النار وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا اغضبت

[illegible]

فانظر الى

فانظر الى السما فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وغضب المهدي على رجل
فقال شبيب لا تغضب لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله وروي عن عمر
رضي الله عنه انه غضب يوما فدعا بما فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا
يذهب الغضب فهذا تقرير علاج ازالة الغضب مع الاستعانة بتوفيق الله تعالى
التنبيه الخامس في بيان فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين
الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح والثناء وقال صلى الله عليه من كف غضبه كف
الله عنه عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته
وقال صلى الله عليه اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفى عند القدرة
وقال صلى الله عليه من كظم غيظا ولو شا ان يمضيه لامضاه ملا الله قلبه امنا وايمانا
يوم القيمة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه ما جرع عبد قط جرعة
افضل عند الله من جرعة غيظ تلقاها بحلم او جرعة مصيبة تلقاها بصبر جميل وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفا غيظه وقال
صلى الله عليه من كظم غيظه وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلايق ويخيره
من اي الحور شا فهذا ما يتعلق بفضله من جهة الاخبار **واما الاثار فقد قال عمر
رضي الله عنه** من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم
القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف
غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا
واجتمع سفين الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد
فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر
رضي الله عنه ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال
له رجل الم تسمع الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وهذا
من الجاهلين قال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفيت وقال محمد بن كعب ثلث من كن
فيه استكمل الايمان اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه
عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجا رجل الى سليمن عليه السلم فقال وصني قال
لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك **التنبيه السادس
في بيان فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان الكظم عبارة عن
التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه
الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان
هاج فلا يكون في كظمه تعب والحلم ما كان بالطبع وهو دلالة على كمال العقل
واستيلايه وانكسار قوة الغيظ وخضوعه للعقل ولكن ابتداوه يكون بالتحلم وكظم

الغيظ

الغيظ يكون تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر
الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بكلامه هذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم
اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم ❊ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه
ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الكلام الى ان التجبر والتكبر هو الذي
يهيج الغضب ويمنع الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه اللهم اغنني بالعلم وزيني
بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية ❊ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه ابتغوا
الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن
جهل عليك ❊ وقال صلى الله عليه خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر
وقال امير المومنين كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة
الصائم القائم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته ❊ وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله
ان لي قرابة احلم عنهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم
قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك الملّ الرمل
وقيل الرماد الحار ❊ وقال رجل من المسلمين اللهم انه ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما
رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله الى الرسول صلى الله عليه ان قد
غفرت له ❊ وقيل في قوله تعالى ربانيين حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا ❊ وقال الرسول صلى الله عليه اللهم لا يدركني ولا
ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم
السنة العرب ❊ وقال صلى الله عليه ليليني منكم اولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق في قوله هيشات الاسواق فيها احتمالان
احدهما ان يريد التحذير عن الهيشات في الاسواق لانها مقاعد الشياطين في اماكنهم ولو في
المساجد احرى اولى وثانيهما ان يريد التحذير عن الهيشات الى الاسواق لاحراز المكاسب
والارباح وفي ذلك اهمال للجماعة وتعطيل الجماعة فعلى هذين الاحتمالين تكون فايدة هذا الحديث
ومعناه ❊ وقال الرسول صلى الله عليه ان الله يحب الحليم الحيي المتعفف التقي ويبغض الفاحش
البذي السائل الملحف الغني ❊ وقال صلى الله عليه ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشيء
من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس فهذه
الاخبار دالة على فضيلة الحلم كما اشرنا اليه **واما الاثار فقد قال عمر رضي**
الله عنه تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم وقال امير المومنين كرم الله
وجهه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان تباهي
الناس بعبادة ربك واذا احسنت حمدت الله واذا اسأت استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا

العلم وزينوه بالوقار والحلم ❊ وقال بعض الحكماء اغاثه العقل الحلم وجماع الامر الصبر ❊ وقال ابو
الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ❊ وقال امير المومنين كرم الله وجهه
ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوان له على الجاهل ❊ وقال معاوية لعمرو بن الاهتم
اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه فقال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه ❊
وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ❊ قال هو الذي
يشتمه اخوه فيقول ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك ❊ وقال معاوية لعرابة
بم سدت قومك يا عرابة قال كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم
فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه ❊ وسب رجل
ابن عباس فقال يا عكرمة هل للرجل من حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيا ❊ وقال
رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك ❊ وعن علي بن الحسين
رضي الله عنه انه سبه رجل فرمى عليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم ❊ وقال الاحنف
بن قيس اني لست حليما ولكني اتحلم ❊ وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين فلان منازعة
في امر واني اريد ان اتركه فاخشى ان يقال ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم ❊ وحكي ان
شعبيا ضرب قدم رجل حليم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر وزجرت
الغضب ❊ ومر المسيح بن مريم بقوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم
يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده ❊ فهذا غرضنا من ذكر فضيلة
الحلم من جملة هذه الاثار والاخبار وبالله التوفيق ❊

الحسد

الباب الخامس من المهلكات اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك نعمة فلك فيها
حالتان الحالة الاولى ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا وعلى هذا تكون
ماهية الحسد وحقيقته كراهة النعمة ومحبة زوالها عن صاحبها الى غيره ❊ الحالة
الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها فهذه تسمى
غبطة ❊ ويؤيد ما ذكرناه من هذا التقسيم ما روي عن الرسول صلى الله عليه انه قال المومن
يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها كافر او فاسق وهو
يستعين بها على تهييج الفتنة وعلى افساد ذات البين وتشويش الدين وايذاء الخلق فلا يضرك
كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث انها آلة
للفساد والفجور ولو امنت فساده لم تغمك نعمته فعلى هذه هي ماهية الحسد وحقيقته
فاذا تمهدت هذه القاعدة فلنذكر ذم الحسد والمنافسة فهذه تنبيهات لا بد من ذكرها
فيها بعون الله تعالى **التنبيه الاول في ذم الحسد** اعلم ان الحسد من الرذائل واخطار
مهلكة للدين وهو اصل لكل فساد ومنبع لكل آفة وقد ورد فيه الوعيد الشديد
وظهر ذمه من حيثيتين نوضحهما بعون الله تعالى **الحيثية الاولى الاخبار** قال

صلى الله عليه لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا
وقال صلى الله عليه ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا
ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ. وقال صلى الله عليه
دب اليكم دا الامم من قبلكم الحسد والبغضا اما اني لا اقول انها الحالقة للشعر وانما
هي الحالقة للدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تومنوا ولن تومنوا
حتى تحابوا الا انبيكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم. وقال صلى الله عليه كاد الفقر
ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر. وقال صلى الله عليه انه سيصيب امتي دا
الامم قالوا وما دا الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون
البغي ثم الهرج. وقال صلى الله عليه لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك. وروي
ان موسى صلى الله عليه لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا
لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلث كان
لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة. وقال زكريا
عليه السلام يقول الله الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضاي غير راض بقسمتي التي قسمت بين
عبادي. وقال صلى الله عليه استعينوا على قضا الحوايج بالكتمان فان كل ذي نعمة
محسود. وقال صلى الله عليه ان لنعم الله اعدا فقيل ومن هم قال الذين يحسدون الناس
على ما اتاهم الله من فضله. وقال صلى الله عليه ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول
الله من هم قال الامرا بالجور والعرب بالعصبية والدهاقون بالتكبر والتجار بالخيانة واهل
الرستاق بالجهالة والعلما بالحسد الرسالة في الحواسد والحالات. وقال انس كنا يوما جلوسا
عند الرسول صلى الله عليه فقال يطلع عليكم من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع علينا
رجل من الانصار ينفض لحيته من وضوه قد علق نعليه في يده الشمال وقال في اليوم الثاني وقال
في اليوم الثالث كذلك والرجل يطلع علينا في هذه الايام قال فاتبعته فقلت له اريد ان اعرف
عملك فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد في نفسي لاحد من المسلمين غشا ولا احسده على خير اعطاه
الله اياه فقال هذه هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق **الجهة الثانية الاثار** قال بعض
السلف اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس ادم على رتبته فابى ان يسجد له فحمله الحسد
على المعصية. وحكي عن بعض الزهاد انه دخل على بعض الامرا فقال اني اريد ان اعظك بشي
قال وما ذاك قال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به واياك والحرص فانه اخرج
ادم من الجنة واياك والحسد فان ابن ادم قابيل قتل اخاه هابيل واذا ذكر اصحاب رسول
الله صلى الله عليه فامسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت. وحكي عن ابن
سيرين انه قال ما حسدت احدا على شي من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده
على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار. وقال رجل
للحسن

للحسن هل يحسد المومن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا
يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا. وقال ابو الدردا ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل
حسده. وقال معوية كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد لنعمة فانه لا يرضيه الا زوالها
وقال بعض الحكما الحسد جرح لا يبرى. وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم
من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه. وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان كان الذي
اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره
النار. وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملايكة الا لعنة وبغضا
ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا
فضيحة ونكالا. وقد عرضنا من مذمة الحسد. **التنبيه الثاني في بيان**
اسباب الحسد اعلم ان مداخل الحسد كثيرة ولكنها تشير الى جملتها وهي سبعة
السبب الاول منها العداوة والبغضا وهو اشد ابواب الحسد والكراهة وهي
ان كل من اذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه فانه
يبغضه لا محالة قلبه ويغضب عليه ويرسخ في نفسه الحقد فان عجز المبغض عن ان
يتشفى بنفسه احب كل نكبة حصلت له فمهما اصابته بلية فرح بها وظنها مكافاة من جهة
الله تعالى على بغضه وانها لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك وعلى الجملة فالحسد
يلزم البغض والعداوة وجهة الحاسد لمن حسده. **السبب الثاني**
التعزز وحاصله ان يثقل على الحاسد ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض الخلق من
سلطانا او اختص بولاية او استفاد علما او مالا وخاف ان يتكبر عليه المحسود وهو لا يطيق
تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال علوه وتفاخره عليه فيتمنى زوال الحق وهو السبب ومع
الحسد من غير له. **السبب الثالث** ان يكون الحاسد في طبعه ان يتكبر على المحسود
ويستصغره ويستخدمه ويستحقره ويتوقع منه الانقياد والمتابعة له في اغراضه
فاذا نال المحسود نعمة وارتفع حاله خاف ان ينقلب الحال في حقه فيترفع عليه ويستنكف
عن متابعته وربما يتشوق الى مساواته او يعلو ان كان دونه فلا جرم كان ما ذكرنا باعثا
له على حسده. **السبب الرابع المماثلة والمساواة** وهو ما اشار اليه اخبر
الله عن الامم الماضية في تكذيب الانبيا وردهم اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقوله ومن
لبشر مثلنا وقوله ولين اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز
برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وارادوا زوال النبوة عنهم جزعا
ان يفضل الله عليهم وهم مثلهم في الخلقة وهم قالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا
فلاجل هذه المماثلة حصل الحسد من جهتهم لما ذكرناه. **السبب الخامس الخوف من**
فوت المقاصد يختص بمتزاحمين على مقصود اخر فان كل واحد منهما يحسد صاحبه

في كل نعمة تكون عوناً له على الانفراد بمقصوده. ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم
على مقاصد الزوجية، وتزاحم الاخوة في نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل الى مقاصد الكرامة
والمال من جهتهما. وهكذا تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ
وهكذا تحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة في قلبه للتوصل به الى المال والجاه، وهكذا
تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل البلدة والمدينة اذا كان غرضهما نيل المال والقبول
عندهم، وهكذا حال العالمين المتزاحمين على التلامذة اذ يحاول كل واحد التوصل بذلك الى
نيل الاطماع وتكثير الاتباع وكثرة الجاه وغير ذلك من الاغراض المحظورة، وقد سبق المثل
عدو المرء من يعمل عمله. **السبب السادس** حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من
غير توصل الى المال، وهذا كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه اذا
غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يظهر له من المدح في السنة الناس من انه واحد
العصر وفريد الدهر في ذلك الفن والله لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم
لساءه ذلك ولكان يحب موته او زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في تلك المنزلة من شجاعة
او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما ينفرد هو به ويفرح بسبب تفرده
ومن هذا القبيل ما كان عليه علماء اليهود من انكار معرفة نبوة الرسول صلى الله عليه ولا يؤمنون
به خيفة بطلان ما كانوا عليه من الرياسة وكثرة الاتباع لانه مهما نسخ كتبهم بطل امرهم
السبب السابع خبث النفوس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة
وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم الله عليه فانه
يشق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم عن الدين وفوات مقاصدهم
وتنغص عيشهم فرح بذلك وانه ابداً يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته، ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح الذي يبخل
بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباد الله الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا علاقة
وهذا لا سبب له الا خبث النفس ورذالة الطبع ورذالة الطينة وهذا لا علاج له ولعلاجه
[illegible] فهذه اسباب الحسد قد ذكرناها، وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها
او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد من اجل ذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفا
والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة وينقطع السلسلة ويفضي الى
[illegible] هلاك [illegible] نعوذ بالله من [illegible] الخلق [illegible] المعرضين عن انفسهم
[illegible] الدين والخارجين عن [illegible] المهلكات. **التنبيه الثالث في بيان الفرق**
بين الحسد المذموم والمنافسة المحمودة اعلم انا قد دللنا على تحريم الحسد
وعلى [illegible] بالاخبار التي نقلناها وان هذا التحريم والكراهة تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل
بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية [illegible] اعظم و [illegible]

عند الله على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة، والى هذا اشار القرآن
الكريم بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها، وهذا الفرح
شماتة، والحسد والشماتة يتلازمان. وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم. وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء
فاخبر تعالى ان حبهم لزوال النعمة انما كان عن حسد. وذكر الله تعالى حسد اخوة
يوسف له وعبر عما في قلوبهم حيث قال اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة
ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضاً يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين
حب ابيه له ساءهم ذلك واحبوا زوالها عنه فغيبوه عنه وكان ما كان من حكاية حاله
وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. وقال تعالى وما تفرقوا
الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم اي حسداً. انزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بين قلوبهم
على طاعته وامرهم ان يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد
بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض. قال ابن عباس رضي الله عنه كانت اليهود قبل
مبعث الرسول صلى الله عليه اذا قاتلوا قوماً قالوا انا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب
الذي تنزله عليه الا نصرتنا فكانوا ينصرون، فلما بعث الرسول صلى الله عليه من ولد اسماعيل عرفوه
وكفروا به بعد معرفتهم له فقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فهذه [illegible]
في التحريم. **واما المنافسة** فليست محرمة بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة
فاما الواجبة فنحو المنافسة في نادبة النوافل والقربات الدينية واما المباحة فنحو المنافسة
في طلب الاسفار واتخاذ الملابس والمراكب الى غير ذلك، والبرهان القاطع على انه لا تحريم في
المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وقال تعالى سابقوا الى مغفرة
من ربكم. وانما تكون المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة
السيد اذ يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى بها
الاخر. وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه بذلك بقوله لا حسد الا في اثنين رجل
آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس. فقد
عرفت مما اشرنا اليه حكم الحسد في التحريم والحظر وحكم المنافسة في الوجوب والندب
والاباحة. **دقيقة** اعلم ان للحسد اربع مراتب **المرتبة الاولى** المذمومة
المحظورة وهي ان تحب زوال النعمة عن اخيك المسلم وان كانت غير منتقلة اليك وهذا
هو غاية الرداءة في الدين. **المرتبة الثانية** ان يكون مطلوبه عين تلك النعمة
مثل رغبته في دار حسنة او امرأة جميلة او ولاية نافذة ولا يريد زوالها عنه ولكن
غرضه فهو طالب لعينها لا محب زوالها وهذه دون المرتبة الاولى. **المرتبة الثالثة**
ان لا يشتهي عينها بل يشتهي مثلها وهذه ادون من المرتبة الثانية. **المرتبة الرابعة**

في اداء الواجبات الشرعية [illegible] واما المندوبة فنحو المنافسة [illegible]

ان تشتهي مثلها فان لم تمل اليه فلا تحب زوالها عنه وما هذا حاله فهو معفو عنه وقد قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه لعينه فهو مذموم. **واما مراتب المنافسة والغبطة** فهي ثلث كما اشرنا اليه الاولى منها المنافسة في الامور الواجبة كالايمان والصلوة والزكوة الثانية المنافسة في الامور المندوبة كالانفاق في وجوه القرب والصدقات وساير النوافل الثالثة المنافسة في الامور المباحة كالتنعم بصنوف النعم المباحة التي لا اثم فيها فهذه هي مراتبها قد اشرنا اليها وقد عرفت مما ذكرنا وجه التفرقة بينهما والله اعلم. **التنبيه الرابع في بيان علاج الحسد في زواله** اعلم ان الحسد من اعظم الامراض العظيمة للقلوب وعز يسير الى مداواة القلوب عن مرض الحسد ونستنهج في ذلك منهجين اجمالي وتفصيلي. **المنهاج الاول** من جهة الاجمال وذلك انما يكون بالعلم والعمل فانهما من اعظم ما يقع به التداوي عن افة الحسد فهذان مقامان. **المقام الاول** في مداواته بالعلم واعلم ان العلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا وانه لا ضرر على المحسود في دينه ولا دنياه بل ينتفع بالحسد في الدين والدنيا ومهما عرفت هذا عن تحقيق ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محاله. **اما كونه ضررا على الدين** في حقك فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت حكمته ونعمته التي قسمها لك وعدلها بين عباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك فاضفت الى نفسك هذه الشناعة والبشاعة وهذه مثل جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين مع ما ينضاف الى ذلك من الغش لرجل من المسلمين واهل الايمان وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وساير الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم. وهذه خبائث في القلب تاكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار. **واما كونه ضررا في الدنيا** عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله من نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى طول عمرك مغموما محزونا متشعب القلب ضيق الصدر ومع ذلك [illegible] بحسدك فلو كنت لا تؤمن بيوم القيمة والبعث والحساب لكان مقتضى العقل اذا كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلوب [illegible] بالعاقل الا يكون متعرضا لسخط الله وعقابه من غير نفع يناله ومضرة في دينه ودنياه. **واما** كونه لا ضرر على المحسود [illegible] اللهم اجرنا من غضبك وسخطك بالحسد في دينه ولا دنياه فواضح لان نعمته لا تزول عنه بحسدك لان ما قدره الله من اقبال النعمة

ولا بد من دوامه واستمراره ولا حيلة لك في دفعه فكل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا. **واما انه لا ضرر** على المحسود في دينه فلان المحسود ينتفع بالحسد في دينه لانه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول القبيح من الغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعني انك تهدي اليه حسناتك فكانك تزيد في نعمه. واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم الاغراض للخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وانت في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم فانظر كيف تنعم الله من الحاسد اذا اراد والنعمة على المحسود فلم يزل الله يقطر منه بمرارها من الحاسد من جهة ان السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت. فهذه هي الادوية العلمية في زوال الحسد فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفت من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه. **المقام الثاني في مداواته بالعمل النافع** فاعلم ان كل ما يتقاضاه الحسد من الاقوال والافعال فينبغي ان يكلف الحاسد نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح في المحسود فانه يكلف لسانه المدح والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له وان بعثه على كف الانعام والاحسان اليه الزم نفسه الزيادة في ذلك فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه وتولد منه الموافقة لان التواضع والمدح والثناء واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المحسود ويعطف قلبه على الحاسد فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها هي غاية المرارة ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى فهذا هو الدواء من جهة الاجمال. **المنهاج الثاني من جهة التفصيل** فهو قطع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص وغير ذلك من الاسباب المذكورة فان هذه الامور في مواضعها اللايقة بها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد ان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه

ولا يطمع فيما يناله ويتعرض له فاما الخلو عن هذا بالكلية فلا يمكنه فهذا ما اردنا ذكره في بيان
هذه الخصلة المهلكة وبالله التوفيق **الباب السادس من المهلكات**
الحقد ومعنى الحقد هو ان تلزم قلبك استثقال المحقود عليه وبغضه والنفار
عنه على الدوام والبقاء وسبب حصول الحقد ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن
التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار لا محالة حقدا وقد قال صلى الله عليه
المؤمن ليس بحقود ولا حسود فالحقد ثمرة الغضب فاذا فهمت معناه فلنذكر ثمراته
ثم نذكر فضيلة العفو ثم نذكر فضيلة الرفق فهذه تنبيهات ثلثة نفصلها بعون
الله تعالى **التنبيه الاول في بيان ثمرات الحقد** وجملتها ثماني ثمرات
الثمرة الاولى فهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عن المحقود عليه فتغتم
بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا هو داب الكفار واهل النفاق ومن اليهود
وسائر المشركين فانهم في غاية الحقد والحسد للمسلمين كما قدمناه **الثانية**
ان تزيد على اضمار الحسد في نفسك وباطنك فتظهر الشماتة بما يصيبه من البلاء وتنعم بما
يناله من المحنة **الثالثة** ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طالبك واقبل عليك
فلا ترد اقباله عليك الا اضرارا وبعدا عنه **الرابعة** ان تعتقد في نفسك استصغارا
واستحقارا والتهاون به في جميع احواله كلها ولا ترى له قدرا ولا يزن عندك قلامة ظفر
الخامسة ان ترسل لسانك فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر
وهتك ستر وغيره من الامور المستقبحة **السادسة** ان تحاكيه استهزاء
به وتخاسسه ومعاكسته بما ينقص قدره عند الناس ويزيل هيبته ويسقط منزلته
السابعة ايذاؤه بالضرب والجرح وسائر ما يكون مولما للجسد من نتف الشعر
ولطم الوجه **الثامنة** ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل
ذلك حرام لا يجوز فعله واقل درجات الحقد ان تحترز من هذه الافات الثماني المذكورة
ولا يخرج بسبب الحقد الى ما يكون معصية لله تعالى وتمتنع عما كنت تفعله من الانحفاف
والاستحفاز وتنقص تعاطيها من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجته والمجالسة
له على ذكر الله والمعاونة على المنفعة والدعاء له والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته
فهذا كله نقص عظيم ولما حلف ابو بكر من الانفاق على مسطح بن اثاثة لما تكلم
في حديث الافك نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر
الله لكم فقال ابو بكر بلى نعم وعاد الى الانفاق عليه **التنبيه الثاني** في بيان فضيلة
العفو اعلم ان العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرئ عنه من قصاص وغرامة وهو
غير الحلم وكظم الغيظ فلاجرم افردناه بالذكر فقد قال تعالى خذ العفو وقال تعالى وان
تعفوا اقرب للتقوى وقال صلى الله عليه ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما

نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله
بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل على نفسه باب مسالة الا فتح الله باب الفقر عليه وقال
صلى الله عليه التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد
الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة
ما رايت رسول الله صلى الله عليه منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك
من محارم الله شي كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن
اثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه فبدرته يوما فاخذت بيده او
بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه قال موسى يا رب اي
عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا ولذلك سئل ابو الدرداء عن اعز الناس فقال الذي
يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى الرسول صلى الله عليه يشكو مظلمة فامره
رسول الله صلى الله عليه ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال صلى الله عليه ان المظلومين
هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذ مظلمته حين سمع الحديث فنفعه الله بكلام الرسول
وقالت عائشة رضي الله عنها قال الرسول صلى الله عليه من دعا على من ظلمه فقد انتصر
وعن انس بن مالك قال الرسول صلى الله عليه اذا بعث الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد
من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن
بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين
ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ
وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال صلى الله عليه اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن
سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس
حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون ما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا اخ كريم
وابن عم رحيم فقال صلى الله عليه اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وعن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من له اجر على الله
فليدخل الجنة قيل من ذا الذي له على الله اجر قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا
فدخلوها بغير حساب قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه لا ينبغي لوالي امر ان
يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا فهذه هي
الاخبار الدالة على فضل العفو وحسنه وفقه عبد الله تعالى **واما الاثار**
فقد روي ان رجلا دخل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه فقال

له اعمراك ان تلقى الله تعالى ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال
بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض الله له من يظلمه وقال بعض الزهاد ان الرجل
ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله بالظلم
وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على
من ظلمك فان الله يقول ان اخر يدعو عليك بانك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك
وان شئت اخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا
على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن
الا يفعل وعن انس عن ابي بكر قال بلغنا ان الله تعالى يامر مناديا فينادي من كان
له عند الله شيء فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم على الناس واتي هشام
بن محمد الى النعمان بن المنذر بن رجلين قد اذنب احدهما ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر اذنب
ذنبا صغيرا فعاقبه ثم قال الملوك تعفو عن العظيم اعتمادا على الفضل وتعاقب على اليسير
لئلا يجهلوا ولكن لا تدرك السياسة وعن عمر بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من
اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت يقتل رجلا من المسلمين
وانا حاضر فقلت لابي جعفر الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته
يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
فيقوم مناد من له اجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفى فقال والله لقد
سمعته من الحسن فقال خليا عنه وقال معوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى يمكنكم الفرصة
فاذا امكنتكم الفرصة فعليكم بالصفح والاحتمال وروي ان راهبا دخل على هشام
بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا قال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي
باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفى واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع
شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم
ثم قدر فعفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل
بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال
الرجل يا هشام قال الله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم بين
يديه ولا نتكلم بين يديك قال هشام بلى ويحك فتكلم وروي ان عمار بن ياسر دخل عليه
سارق بصفين واخذ متاعا له فقيل له اقطعه فانه من اعداء الله وعدونا فقال بل استر
عليه لعل الله يستر علي يوم القيامة وجلس ابن مسعود رضي الله عنه يبتاع متاعا فابتاعه
فطلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا
يدعون على من اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد
الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله على الذنب

فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل بن عياض ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي
في المسجد الحرام ثم قام يطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت على الدنانير تبكي فقال لا
ولكن مثلتني واياه بين يدي الله فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك
بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب وهو على البصرة امير ليلا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا
عليه مع الحسن فما كنا معه الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته
من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن
الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به ادال الله له منهم ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله على خزائن
الارض فماذا صنع حين اكمل الله امره وجمع اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض
للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي
لواريتكم به وكتب بعض الحكماء الى صديق له يسال له العفو عن بعض اخوانه فقال فلان
هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا
واتي عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى فقال ان الله
قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي ان زيادا
اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك
فقال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم
واقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقد مكتوب
في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان والله اعلم

التنبيه الثالث

في بيان فضيلة الرفق اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة وهما نتيجة الغضب
والفظاظة فاما الرفق واللين فهما نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة
الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت
والرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب
وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله على الرفق
وبالغ فيه فقال يا عايشة من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من الدنيا والاخرة
ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه ان الله
ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون
الرفق الا قد حرموا محبة الله تعالى وقال صلى الله عليه عليك بالرفق يا عايشة فانه ما
دخل في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وقال صلى الله عليه ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي
عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه ارفقي يا عايشة فان الله تعالى اذا احب
اهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه من يحرم الرفق يحرم الخير كله

وقال صلى الله عليه ايما وال ولي فرفق ولان رفق الله به يوم القيمة وقال الرسول صلى الله
عليه تدرون من يحرم على النار يوم القيمة كل هين لين وقال صلى الله عليه الرفق يمن والخرق
شوم وقال صلى الله عليه التأني من الله والعجلة من الشيطان وروي ان رسول صلى الله عليه
اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك فيك لجميع المسلمين فاخصصني منك بخير فقال الحمد
لله الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال له هل انت مستوص مرتين او ثلثا قال هل انت مستوص
مرتين او ثلثا قال نعم اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك
فانته وعن عايشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله في سفر على بعير صعب فجعلت
تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول صلى الله عليه عليك بالرفق فانه يزين والخرق يشين فهذه الاخبار
كلها دالة على فضيلة الرفق **واما الاثار فقد روي** عن عمر رضي الله عنه
ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه فلما اتوا قام فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ايتها
الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم
حقا فاعلموا انه لا شي احب الى الله ولا اعز من حلم امام ورفقه ولا شي ابغض الى الله ولا اعم من
جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ العافية فيمن بين ظهرانيه يرزق العافية ممن هو
هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل
قيمه والرفق والده والبر اخوه والصبر امير جنوده وقال ما احسن الايمان يزينه العلم وما
احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شي الى شي مثل حلم الى علم وقال
عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال
معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق
قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه
والسيف في موضعه والسوط في موضعه ورد وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية
يعاتبه في التاني فكتب اليه معوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة رشد وان الرشيد
من رشد عن العجلة وان الخايب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد يكون مصيبا
وان العجل مخطي او كاد يكون مخطيا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب
لا يدرك المعالي وقال بعض الحكماء لا تغتر من الحديم الامر لابد لك منه فان مع كل انسان شيطانا
واعلم انهم لا يعطون كل بالشدة شيا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن البصري المؤمن
وقاف متاني وليس كحاطب ليل فهذا ما ذكر في الرفق وفضله وذلك لانه محمود في اكثر
الاحوال واغلب الامور والحاجة قد تدفع الى العنف ولكن ذلك يكون على الندرة وانما الحازم
من يميز مواضع العنف من مواضع اللين فيعطي كل امر حقه وعلى الجملة فليكن ميله الى
الرفق فان النجح معه في الاكثر

الباب السابع من المهلكات الكبر

واعلم ان قبل الخوض فيما نريده من جواهر الكبر وافاته نذكر ماهيته لمن المحال

معرفة حكم التي قبل الخوض في معقوله ومفهومه والكبر خلق في الانسان ذو الاعلى
الاسترواح والركون الى رتبة فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا
به وبه ينفصل الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعي شيا الا المعجب بنفسه بل لو لم يخلق الانسان
الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون معه غيره وهو يرى
نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولو راى نفسه مثل غيره لم
يكن متكبرا ولا يكفي ان يستحقر نفسه في كونه متكبرا الا ان يعتقد حقيقة الكبر باعتقادات
ثلثة اولها ان يرى لنفسه مرتبة وثانيها ان يرى لغيره مرتبة وثالثها ان يرى مرتبة
نفسه فوق مرتبة غيره فعند حصول هذه الاعتقادات الثلثة يحصل فيه خلق الكبر
وحقيقته فاذا حصلت هذه العقيدة انتفخ بسببها ويثار في قلبه اهتزاز وفرح وروح
وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه من اجل ذلك فتلك العزة والفرح والركون الى ما اعتقد
هو خلق الكبر ولهذا قال صلى الله عليه اعوذ بك من نفخة الكبر فكان الانسان مهما راى نفسه
بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فان الكبر عبارة عن هذه الحالة الحاصلة
للنفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعاظما ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى ان
في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فقال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم ان
هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن فاما الاعمال الباطنة فهو ما يحصل في القلب من العزة
والاهتزاز والفرح والاطمينان فهذه هي خلق الكبر الباطنة واما الاعمال الظاهرة فانه
مهما عظم عند نفسه قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن
نفسه وابعده وترفع عليه واقصاه عن مواكلته ومجالسته وراى ان حقه ان يقوم
ماثلا بين يديه وان اشتد كبره استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه
وان تقدم عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه
وان وعظ استنكف عن القبول وان رد عليه شي من قوله غضب وان علم لم يرفق
بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير
استجهالا واستحقارا لاحوالهم فهذا هو الكبر وافته عظيمة وفيه خطر على الدين كبير
وفيه هلك اكثر الخواص من الخلق وقلما سلم منه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن
عوام الناس وكيف لا تعظم افته وقد قال صلى الله عليه لا يدخل الجنة من كان في قلبه
مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا من الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين
كلها وتلك الاخلاق هي مفاتيح ابواب الجنة والكبر وعز النفس يغلق تلك الابواب كلها
لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شي من الكبر ولا يقدر على شي من التواضع
وهو راس اخلاق المتقين وفيه الكبر ولا يقدر على ترك الحقد وفيه الكبر ولا يقدر ان
يدوم على الصدق ولا يقدر على ترك الغضب وفيه الكبر ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه

الكبر ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب الكبر مضطر اليه ليحفظ
به الكبر وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته الكبر فلهذا لم
يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول
الحق والانقياد وقد وردت الايات على ذم المتكبرين فقال تعالى فادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن
عتيا وقال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون والقران محشو بذم الكبر ودال على
ان السبب في استحقاق النار هو الكبر قال عيسى صلوات الله عليه ان الزرع انما ينبت
في السهل دون الصفا كذلك الحكمة توضع في قلب المتواضع ولا توضع في قلب المتكبر الا
ترون ان كل من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طاطا اظله واكنه فهذا مثل ضرب
لكل متكبر وانهم يحرمون الحكمة ولهذا ذكر رسول الله صلى الله عليه في الكشف عن ماهية
الكبر فقال من سفه الحق وغمص الناس فلا بد للكبر من ازدراء الخلق وتنقصهم
والترفع عليهم فهذا ما اردنا ذكره في بيان ماهية الكبر ثم نردفه بما نريد من شرح
ما يتعلق بالكبر في صورة التنبيهات ليكون اقرب الى الحصر بمعونة الله تعالى

التنبيه الاول في بيان ذم الكبر وقد ظهر ذمه من ثلث جهات **الجهة
الاولى من كتاب الله تعالى** فقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
وقال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد وقال فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين وقال تعالى ان
الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون وقال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وقال تعالى واستكبر هو وجنوده
في الارض بغير الحق الى غير ذلك من الايات الدالة على ذم الكبر وهو نده **الجهة الثانية
الاخبار** روى ابو هريرة عن الرسول صلى الله عليه انه قال يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني احدهما القيته في جهنم وروي انه التقى عبد الله
بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص على المروة فتوقفا فمضى بن عمرو بن العاص واقام
بن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول
الله صلى الله عليه يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله في النار على وجهه
وقال الرسول صلى الله عليه لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه
ما اصابهم من العذاب وقال سليمن بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والانس والبهائم
اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح
في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من

لتخسفن به بالبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه يخرج من النار عنق له اذنان
وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها
اخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين
والمتجبرين وقالت الجنة لا يدخلني الا ضعفا الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى
للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشا من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من
اشا ولكل واحدة منكما ملوها وقال صلى الله عليه بئس العبد عبد تجبر واعتدى
ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد
سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدا والمنتهى وعن ثابت
قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله
بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه قال ان نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال
اني امركما باثنين وانهاكما عن اثنين انهاكما عن الشرك بالله والكبر وامركما بلا
اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة ووضعت
لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما بينهما كانتا
حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وامركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل
شي وبها يرزق كل شي وقال عيسى صلى الله عليه طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يمت
جبارا وقال الرسول صلى الله عليه اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل
الجنة الضعفاء وقال صلى الله عليه ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم
اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم مني الثرثارون والمتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا
الثرثارون والمتشدقون فمن المتفيهقون قال المتكبرون وقال الرسول صلى الله عليه يحشر المتكبرون
يوم القيمة ذرا في صور الرجال يعلوهم كل شي من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم
يقال له بولس تعلوهم نار الانيار ثم يسقون من طينة الخبال وهي عصارة اهل النار
وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صور
الذر تطوهم الناس لهوانهم على الله تعالى وقال صلى الله عليه ان في جهنم واديا يقال له
هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار وقال صلى الله عليه فاياك يا بلال ان يسكنه
وقال صلى الله عليه اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال صلى الله عليه من فارق
روحه جسده وهو بري من ثلثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول فهذا جملة ما
اوردناه من الاخبار الدالة على ذم الكبر **الجهة الثالثة الاثار** قال
ابو بكر رضي الله عنه لا يحقرن احدا من المسلمين فان صغير المسلمين
عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله الجنة جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على
كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجا يوما

ومعجب مادٍّ رجليه لم يقبضهما وقعد الاحنف فرحمه بعض رحمه فرأى ذلك فيه
فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين ✿ وقال الحسن البصري عجبا لابن
آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين وهو يتكبر يعارض جبار السموات ✿ وقيل في
تفسير قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون ✿ هو سبيل الغائط والبول ✿ قال محمد
بن علي بن الحسين ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل
من ذلك قل أو كثر ✿ وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها الحسنة فقال الكبر ✿

التنبيه الثاني في بيان ذم الاختيال والاظهار آثار الكبر في المشية وجر الأثواب ويظهر ذمه من جهتين ✿

الجهة الأولى الاخبار المأثورة ✿

قال رسول الله صلى الله عليه لا ينظر الله الى رجل يوم القيامة جر ازاره بطرا ✿ وقال صلى
الله عليه بينما رجل يتبختر في بردته إذ أعجبته نفسه إذ خسف الله به الارض فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيامة ✿ وقال صلى الله عليه من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم
القيامة ✿ وعن عبد الله بن عمر انه مر به رجل وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أي بني
ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره
خيلاء ✿ وروي ان رسول الله صلى الله عليه بزق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه
وقال يقول الله تعالى ابن آدم تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك
مشيت بين بردين وللارض منك وئيد وجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت
أتصدق وأنى أوان الصدقة ✿ وقال صلى الله عليه اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتها
أبناء فارس والروم سلط بعضهم على بعض ✿ وفي حديث آخر فقد تودع منهم ✿
وقال صلى الله عليه من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان
فهذه هي الاخبار في ذم الاختيال ✿ **الجهة الثانية** الآثار ✿ وروي عن الحسن رحمه الله مر به ابراهيم
بن الاهيم وهو امير يريد المقصورة ✿ وعليه ثياب خز قد نضد بعضها فوق بعض على
ساقه فانفرج عنها قباؤه وهو يمشي متبخترا اذ نظر اليه الحسن فقال له أف أف شامخ بأنفه
ثان عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حمقى ينظر في عطفيه في نعم غير مشكورة
ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدي حق الله فيها والله ان يمشي احد
الا ويتخلج تخلج المجنون في كل عضو من أعضائه لله تعالى نعمة ✿
وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الاهيم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى
ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ
الجبال طولا ✿ ومر بالحسن شاب عليه بزة حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه
معجب بجماله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان
حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم ✿ وروي ان عمر بن عبد العزيز رح قبل ان يستخلف
تعالى

وهو يمشي في مشيته فنظر طاوس اليه فغمز جنبه بإصبعه فقال ليس هذه مشية من في
بطنه خرء فقال له كالمعتذر لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى
محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال ابني من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما
أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله ✿ وروي ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو
يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب ما تعرفني
قال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك عذرة فمضى المهلب
وترك مشيته تلك ✿ **قال مولانا امير المؤمنين عليه السلام** المؤيد بالله
وأقول ان الوعيد على الكبر العظيم وان الحكومة لجسيم وان الذي ينبه لشامله الخلق
الاعلى من وفقه الله تعالى واختاره ورفض العز في كل امر ولاحظ امر الآخرة وعزم على
ادلال نفسه تواضعا لعظمة الله واغتباطا لكنه جلاله ونسأل الله الكريم الذي جلت عظمته
وشملت رحمته ان يجعلنا من اوليائه الذين محا رسم الكبر عن قلوبهم وازال العز عن صدورهم
فطبعوا بلبسة التواضع وجانبوا الشغل بنصب العز والكبريا وظفروا بجوار الكريم في
جنات الخلد والنعيم ✿

التنبيه الثالث في بيان فضل التواضع وقد ظهر من جهتين

الجهة الأولى

الاخبار قال الرسول صلى الله عليه وآله ما زاد الله عبدا
بعفو الا عزا وما تواضع احد الا رفعه الله ✿ وقال صلى الله عليه وآله ما من احد الا ومعه
ملكان وعليه حكمة (لجام) يمسكانه فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع
نفسه قالا اللهم ارفعه ✿ وقال صلى الله عليه طوبى لمن تواضع من غير مسكنة وانفق
مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة ✿ وروي
ان الرسول صلى الله عليه كان صائما فأتيناه بإفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا
من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن
اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله أحبه الله ✿ وروي ان النبي صلى
الله عليه كان في نفر من اصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها
وضعف في حاله فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه على فخذه وقال على
بحده له ثم قال اطعم وكان رجلا من قريش اشمأز عنه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى
بلي بمثل تلك البلية ✿ وقال صلى الله عليه خيرني ربي بين امرين بين ان اكون عبدا رسولا
وملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان معي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي فقال تواضع
لربك فقلت عبدا رسولا ✿ وروي ان موسى عليه السلام اوحى الله اليه انما اقبل صلوة
من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف
نفسه عن الشهوات من اجلي ✿ وقال صلى الله عليه الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين
الغنى ✿ وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة

طوبى للمخلصين فهو بيت لنا من في الدنيا هم الذين يرثون جنة الفردوس يوم القيامة طوبى
للمخلصين قلوبهم في التي هاهم الذين نظر ولحق الله عز وجل يوم القيامة ۝ وقال صلى الله عليه اذا
هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شاين له ورزقه مع ذلك
التواضع فذلك من صفوة الله تعالى ۝ وقال صلى الله عليه اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت
وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا ۝ وقال ابن عباس رضي الله
عنه ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله ۝ وروي عن الرسول
صلى الله عليه انه كان يطعم مرة مع اصحابه فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى
احد الا قام من جنبه فاجلسه الرسول صلى الله عليه الى جنبه ۝ وقال صلى الله عليه انه
ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده ويكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه ۝ وقال
صلى الله عليه يوما لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة
قال التواضع … قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله
رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله واذا تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض
۝ قال الاحرار الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس صغير حتى لانه عندهم لاحقر من
الخنزير ۝ وحكي عن سلمان الفارسي انه قال تواضعوا لله فان من تواضع لله في الدنيا رفعه
الله يوم القيامة ابدا … يوم القيامة قلنا لا قال فانه ظلم العباد بعضهم بعضا
في الدنيا ۝ وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة التواضع ۝ وقال
يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع عن كثير العمل ويجزي قليل التواضع عن كثير الاجتهاد
۝ وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته
ولو سمعته من اجهل الناس قبلته ۝ وحكي عن بعضهم انه قال راس التواضع ان تضع نفسك عند
من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل ۝ وان ترفع نفسك
عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل ۝ وقال قتادة من اعطي مالا
او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة ۝ وقيل ان الله تعالى
اوحى الى عيسى عليه السلم اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك ۝ وقال
كعب ما انعم الله على عبد نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها
في الدنيا ورفع بها درجته في الاخرة وما انعم الله على عبد نعمة في الدنيا فلم يشكرها
ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز
عنه ۝ وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن رفعة وزهد عن
قدرة وترك النصرة عن قوة ۝ ودخل ابن السماك على الرشيد هرون فقال له ان تواضعك في شرفك
اشرف لك من شرفك فقال له ما احسن ما قلت فقال له ان امرا اعطاه الله جمالا في خلقته
وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في

حسبه كتب في ديوان الله تعالى من خالصة الله تعالى …
وكتبه بيده ۝ وكان سليمان بن داود عليهما السلم اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف
حتى يجيء المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين ۝ وقال بعضهم كما تكره ان يراك
الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة ۝ وروي ان
جماعة من اهل الصلاح يتدارسون التواضع فقال بعضهم … التواضع …
هو التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى احدا الا رايت له عليك فضلا ۝ وقال مجاهد ان
الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال
وجعل قرار السفينة عليه ۝ وقال بعض الحكماء اطلع الله على قلوب الانبياء فلم يجد
قلبا اشد تواضعا من قلب موسى فخصه من بينهم بالكلام ۝ وعن بعض الزهاد وقد انصرف
من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني معهم وقد اخاف ان يحرموا بسببي ۝ ويقال ارفع
ما يكون عند الله اوضع ما يكون عند نفسه ۝ وقال بعضهم الزهد من غير تواضع
كالشجر التي لا تثمر ۝ وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا ما
سبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ كلامه بعض الزهاد قال بهذا
صار مالك مالكا ۝ قال الفضيل بن عياض من احب الرياسة لم يفلح ابدا ۝ وحكي عن موسى
بن القاسم قال كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله
انت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرايت النبي صلى الله
عليه في النوم فقال ان الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل ۝ وجاء رجل الى الشبلي فقال
له ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال له انا النقطة التي تحت الباء وقال الشبلي …
ذلي عطل اليهود ۝ ويقال من راى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب ۝ وعن رجل من الزهاد
قال رايت امير المومنين كرم الله وجهه في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن
التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على
الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل ۝ وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه ۝ وقال ابو
يزيد البسطامي ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له متى يكون متواضعا
قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ۝ وتواضع كل انسان على قدر معرفته بنفسه ۝ وقال ابو سليمان
لو اجتمع الخلق كلهم على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه ۝ وقال عروة بن الورد
التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع ۝ وقال يحيى بن
خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم ۝ وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذوي
التكبر تواضع عليك بماله تواضع ۝ ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وهو في الاغنياء
احسن والكبر في الخلق كلهم قبيح وهو في الفقراء اقبح ۝ وقال بعض الزهاد
النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله هلاكه منع منه التواضع والنصيحة

والقناعة فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها بالتواضع مع نصر الله عز وجل
فاذا هاجت نار الحسد في نفسه ادركها النصيحة مع توفيق الله واذا هاجت في نفسه
نار الحرص ادركها القناعة بتوفيق الله هذا ما اردنا ذكره في مدح التواضع وذم الترفع
والله الموفق للصواب **التنبيه الرابع** في بيان اسباب الكبر اعلم انه
لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من الصفات
الدالة على الكمال ومجامع ذلك راجع الى كمال ديني ودنيوي ومجامع ذلك راجع الى اسباب
سبعة **السبب الاول** العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولهذا قال صلى الله
عليه آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم
وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وجملة الامر ان تكبر العلماء ما كان متعلقا بامور
الدنيا او بامور الاخرة فهاتان حالتان **الحالة الاولى** ما يكون في الدنيا فينظر
الى الخلق نظره الى البهائم ويستجهلهم ويستحقر اخوانهم ويتوقع ان يبدؤه بالسلام
فان بدأ احد بالسلام او قام له او اجاب له دعوة راى ذلك صنيعة ويدا وتعقدها له اكرمهم
وفعل لهم ما لا يستحقون لمثله غير ذلك من الامور التي يرفع بها ويتكبر عليهم فيشاهد
الحالة الثانية ما يكون متعلقا بامور الاخرة وهذا بان يرى نفسه عند الله اعلى
وافضل فيخاف على غيرهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ومن
هذه حاله فهو احق بان يسمى جاهلا اخسر من ان يسمى عالما بل العلم النافع هو الذي يعرف
الانسان به نفسه **السبب الثاني** العمل والعبادة وليس يخلوا اخلاء عن تلبسهما
من رذيلة الكبر والعزة واستمالة قلوب الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين
والدنيا اما الدنيا فهو انهم يعدون لانفسهم حقوقا على الخلق لاجل عبادتهم وزهادتهم
ويتوقعون من الناس قضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع
والتقوى وتقديمهم على ساير الناس واما في الدين فهو انهم يرون الناس هالكين ويرون
انفسهم في غاية النجاة وهو الهالك حقيقة مهما راى ذلك واعتقده قال صلى الله عليه اذا
سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول دال على
الازدراء بخلق الله تعالى مغتر بالله امن مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يهلك ويكفيه شرا
احتقاره لغيره قال الرسول صلى الله عليه كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم **التنبيه** السبب
الثالث الكبر بالنسب والحسب فالذي له حسب شريف يستحقر الذي ليس له
ذلك الحسب وان كان ارفع منه علما وعملا وقد يتكبر بعضهم ويرى الناس له موالي وعبيدا
ثم يانف من مخالطتهم ومجالستهم ومن ذلك على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي يا هندي
يا ارمني من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان واني لمثلك ان يكلمني او ينظر الي وانما
اكلم مع مثلي وهذا هو الداء الدفين الذي لا ينفك عنه من كان له حسب فاخر واصل شريف

وان كان صالحا عاقلا الا انه قد ربما ينطق الى ذلك عند اعتدال الاحوال وكمال
واستواء المزاج فاما اذا غضب او حمي مزاجه اطفى ذلك نور بصيرته ونفى ما كان عليه من
العقل والصلاح كما روي عن ابي ذر قال ساببت رجلا عند الرسول صلى الله عليه فقلت له
يا ابن السوداء فقال له الرسول صلى الله عليه يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع
نور بصيرته ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي
السبب الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك الى
التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دخلت
امراة على رسول الله صلى الله عليه فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال الرسول صلى الله عليه
قد اغتبتيها وهذا منشاه خفي الكبر لانها لو كانت قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بطولها
واستنقصت تلك المراة في جنب فاشبهها فلهذا قالت ما قالت **السبب الخامس** الكبر
بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم
وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له
انت مقل ومسكين وفقير وانا لو شئت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك
واثاث بيتي يسوى جميع ما تملك وانا انفق في اليوم الواحد ما تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه
الغنى واستحقاره الفقر وهذا منه جهل بآفة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى
فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا الى ان اجابه وقال كما حكى الله تعالى ان
ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك الى قوله طلبا فكل ذلك كبرا
منه بالمال والولد ثم ان الله تعالى بين ان عاقبة امره اخيانه عنه بما ذكر في اخر الاية ومن
ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قيل يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
السبب السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر فيهما على اهل الضعف
فاهل العافية يتكبرون على اهل المرض والزمانة وهكذا حال الابطال فان كل ضعيف عن القاعدة
فان القوي منهما يتكبر بقوته على الاخر وهكذا حال الملوك فان الملك الضعيف يقهره الملك القوي
بالاموال والجنود الكثيرة والعساكر الجمة ومن ضعف عن ذلك فالقوي يتكبر عليه ومن
غاية الملوك التفاخر والتكاثر والتغالب ولهذا اشار تعالى في نفي الوحدانية بقوله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فالتعالي من شان الملوك ومن شانهم ايضا ان كل واحد
منهم يتطاول على الاخر كما قال اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا فكل ما ذكرناه دلالة على التكبر والعلو
السبب السابع التكبر بكثرة الاتباع والانصار والتلامذة والغلمان والعشيرة والاقارب
والبنين والحفدة ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين والتلا
واهل الفاقة وعلى الجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا
امكن ان يتكبر به وكذلك السفلة من الخلق وساسة الدواب والحائكين وساير اهل الفسوف

من الشريعة والزهادة فقد يتعيرون بعضهم على بعض بكثرة ملابستهم لانواع الفسق من الزنا وشرب
الخمر والمنكر وجميع الانواع الفسقية لظنهم ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع
ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء على من لا يدلي به او على من يدلي بما
هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو
اعلم منه لظنه انه الاعلم ولجهل عقابه في نفسه والله اعلم بالصواب

التنبيه الخامس في بيان الامور الباعثة على الكبر اعلم

رحمنا الله واياك تعالى ان الكبر خلق باطن كما اشرنا اليه فاما ما يظهر عليه
من الاخلاق والافعال فهو ثمرته ونتيجته وجملة ما يشير اليه من الاسباب الباعثة عليه
اربعة **الباعث الاول** العجب فانه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر الكبر
الظاهر في الاعمال والاحوال **الباعث الثاني الحقد** فانه قد يحمل
على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب
سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع
له وان كان عنده انه مستحق للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد
من الاكابر لحقده عليه او لبغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة
من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحل منه
وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يبالي الله عما هو جاهل به **الباعث الثالث**
الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء سبب يقتضي الغضب والحقد
ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع عن قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل
اشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل
بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق
التواضع لفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه
ليس يرى نفسه فوقه **الباعث الرابع الريا** فهو ايضا يدعو الى اخلاق
المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة
ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول
الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الريا المجرد ولو خلا بنفسه لكان لا يتكبر عليه
فاما الذي يتكبر بالعجب او الحسد والحقد فانه يتكبر عند الخلوة مهما لم يكن معهما ثالث وكذا
الريا كما ذكرناه فانه لا بد ان يكون على ملا من الناس

التنبيه السادس

في بيان حال المتكبر عليه اعلم ان المتكبر عليه لا يخلو اما ان يكون هو الله او رسوله او سائر الخلق
وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخالق وتارة على انبيائه وتارة على سائر
الناس فهي ثلثة ضروب **الضرب الاول التكبر على الله تعالى** وذلك هو

اخس انواع الكبر ولا مثار له سوى الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث
نفسه بانه يقاتل ملك السما وكما يحكى عن جماعة من اهل الحماقة والجهل مثل ما حكي من فرعون حيث ادعى
الربوبية وقال انا ربكم الاعلى واستنكف ان يكون عبدا لله واراد الصعود الى السما لاطلاع اله موسى
كما قال تعالى حكاية لقوله يا هامان ابن لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى **الضرب الثاني** التكبر
على الرسل حيث تعززت النفس وترفعت عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس كما حكى الله تعالى في قوله
انؤمن لبشرين مثلنا وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع
عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه على الانقياد
للحق والتواضع للرسل كما حكى الله تعالى عن قولهم ما انتم الا بشر مثلنا وقوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم
وقوله لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض
بغير الحق وقال وهب قال فرعون لما قال له موسى آمن ولك ملكك فقال حتى اشاور هامان فشاوره
هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله تعالى وعن
اتباع موسى وقالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يريدون اما نزل على الوليد
ابن المغيرة واما على عروة بن مسعود الثقفي فهما الرئيسان في القريتين مكة والطائف **الضرب
الثالث** التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد
لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا وان
كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم لامرين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلا
لا يليق الا بالملك القادر واما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق
به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا تليق الا بجلاله وثانيهما ان الذي يتعظم به
رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من
عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولهذا فانك ترى من يناظرهم ويتكبر يعيب اخلاقهم من
اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من ناظر للغلبة والافحام لا لتعليم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا
الخلق ويحمل على ذلك كله الانفة عن قبول الحق كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه
جهنم ولبئس المهاد وروي ان عمر رضي الله عنه لما قراها قال انا لله وانا اليه راجعون وقال
رجل يقوم يامر بالمعروف فيقتل فيقوم من يقول اتقتلون رجلا ... وقال الرسول صلى الله عليه لرجل كل
بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك الا عتلت يده
حتى ... **التنبيه السابع** في بيان علاج الكبر واعلم ان الكبر من عظائم المهلكات
ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته على الخلق فرض ولا عيان الا ان يزيله وهو لا
يزول بمجرد التمني وانما يزول بالمعالجة والاجتهاد وعلاجه يكون اما باستئصال اصله من سنخه
وقطع شجرته من مغرسها في القلب واما بدفع الاسباب الجالبة له التي يتكبر بها الانسان فهذا

معالجته **المقام الاول في استيصال** اصله وقلع اساسه ولا يتم الشفاء من
ذلك الا باستعمال الدوا في قطع المادة وذلك يتم بامرين علمي وعملي واما الامر العلمي فهو ان
يعرف نفسه وحقارتها ويعرف ربه وما يستحقه من العظمة والكبريا ويكفيه ذلك في
ازالة الكبر عن نفسه فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة عرف انه اذل من كل ذليل واقل من
كل قليل لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة فاذا عرف ربه عرف انه لا يليق العظمة
العظمة والكبريا الا لله ويكفيه من ذلك اية واحدة في كتاب الله الجليل والعظمة ٥ وهي
قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين فقد شاهد هذه الاية الى العظمة بعلو هذه المكنونات الباهرة بل اجل الامر
في الايمان بالخلق والامر بيده من الافعال الحكمية والاوامر العظام وبما التي لا تصدر الا
سواه ولا يملكها الا هو واما معرفة الانسان نفسه فقد اشار تعالى اليه باية واحدة هي
الكافية في المطلوب وهي قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فقد اشار تعالى في هذه
الاية الى اول الخلقة بقوله من نطفة خلقه على جهة الاستحقار والى اخره بقوله ثم اماته
فاقبره على جهة التهاون بحاله والى وسطه بقوله ثم السبيل يسره ثم اشار بعد هذه
الاطوار الثلاثة الى مخالفته للامر بقوله كلا لما يقض ما امره ثم اشار
بعد ذلك الى عاقبة الامر بالبعث والحشر بقوله ثم اذا شاء انشره فهذه الاية كافية في معرفة الانسان
بحال نفسه وتفصيل امره فقد ظهر لك اول حال الادمي ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ
بالله ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى
عذابا وان كان عند الله يستحق عذابا فالخنزير اشرف منه وارفع اذ اوله التراب واخره
التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منهما الخلق
ولو راى العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو
وجدوا ريحه لماتوا ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى في بحار الدنيا لصارت انتن
من الجيف فمن هذا حاله ما له وللتكبر بل ما له وللفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والتجبر
فهذا هو العلاج العلمي القاطع لاصل الكبر والمزيل له والله اعلم بالصواب ٥ **واما**
الامر العملي في علاج الكبر فهو التواضع بالعمل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة
على افعال المتواضعين كما سنذكر اخلاق المتواضعين بعد هذا بعونه الله تعالى وكما نقل
من سيرة رسول الله صلى الله عليه و[سلم] واخلاق اهل الصلاح حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما عبد
اكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان لا تلبس ثوبا جديدا فقال انا عبد فاذا عتقت لبست اشنا
على الرفق من العذاب في الاخرة ولهذا امر بالصلوة لما فيها من الخضوع والخشوع والانحطاط

في الارض وتعفير الخد وهذا بالتراب عند السجود والصاقهما بالتراب عند الفهم كل ذلك بالتواضع امر وضع
جميع العبادات كلها من الصلاة والصيام والحج فيها نهاية الخضوع لعظمة الله تعالى فلينظر الانسان
في كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا
فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا فهذا هو العلاج في قطع
الكبر بالكلية وابطال اسه **المقام الثاني** في ابطال ما ينقطع اسبابه السبعة
التي ذكرناها فاما من يتكبر بنسبه فعلاجه انه يعلم ان ... ولا ... بغيره وكماله
وقيل من كان ... بغيره فقد ... قريب خلق من نطفة القذرة واما
ابوه البعيد فانه مخلوق من تراب واما من يتكبر بالجمال فدواه ان ينظر الى ما هو مشتمل عليه
في باطنه وظاهره فان القذر يحتوي على جميع اجزائه فالقذر في جميع اعضائه والبول في مثانته
والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته
والدفر في ابطه والبول في الاحليل والغائط في البدن يتردد كل يوم الى الخلاء مرات كثيرة
فيخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا ان يمسه او يشمه كل ذلك قذارته وذله
وهو انه ثم اول خلقته خلق من الاقذار الشنيعة من النطفة القذرة ومن دم الحيض وجرى
في مجرى البول مرتين ومن مجرى الحيض فهذه كلها لا ينفك عنها ٥ **واما من يتكبر**
بالقوة والشدة فدواه ذلك ان يعلم ويتحقق ما يتسلط عليه من الامراض والعلل
وانه لو وجع عرق واحد من بدنه لكان اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه
الذباب شيئا ما استنقذه منه وان ... لو دخلت في انفه او اذنه لقتلته ... روحه
واما من يتكبر بالغنى وكثرة المال فحاله هو اقبح انواع الكبر لانه تعزز بالغير
وتكبر به وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو جهل ظاهر لان الامور الخارجة من المال
كالدور والعقار والدواب والفرش والاثاث كله اقرب الى التغير والزوال **واما**
تكبر العلم ايضا فهو من اعظم الافات وابعدها عن العلاج الا بشدة شديدة
وجهد جهيد ودواء ذلك يكون بامرين احدهما ان يعلم العالم ويتحقق ان الكبريا انما يليق
بعظمة الله وجلاله فاذا تكبر صار بغيضا الى الله ممقوتا عنده واما ثانيا فلانه يعلم
ان حجة الله تعالى على العلماء اوكد وانه يحتمل للجاهل ما لا يحتمل للعالم وان كل من عصى الله من
غير معرفة كان اقرب ممن عصى الله عن معرفة وقد قال صلى الله عليه يؤتى بالعالم يوم القيمة
فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون
ما لك فيقول كنت امر بالخير ولا افعله وانهى عن الشر وافعله **واما من** يتكبر بكثرة
الاتباع والاشياع والانصار والخدم والتلامذة فكله جهل لانهم اسرع ما يكون الى المفارقة
والانقطاع عنه في اقرب الاوقات وايضا فانه تعزز بالغير وكل ما كان من التعزز بالغير
فهو نقص لا محالة **واما التكبر بالورع** والزهد والعبادة فدواؤه ذلك ان

يروم نفسه التواضع لسائر الخلق ويعرف ما في الكبر من الخطر العظيم فلعل ذلك يدعوه الى
ترك التكبر فهذه مجامع اسباب الكبر ذكرناها اشارة الى مبدا واثرنا فيه جهة الاختصار وهي كافية لمن
من وفقه الله تعالى وعرفه قدر نفسه وامتحن قلبه للتقوى فنسال الله ان يجعلنا من
اهل طاعته المبلوغ الغاية من كرمه ورضوانه والظفر بالفوز من مزيد كرمه واحسانه

التنبيه الثامن

في بيان ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر اعلم ان التكبر مما يظهر في
شمائل الرجل وهيئته وصعر وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا
ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض
شيء دون شيء وجملة ما يتولد منه ذلك امور يكثر عددها اولها التكبر بان يحب قيام الناس في
وجهه وبين يديه وقد قال صلى الله عليه من احب ان يقام في وجهه فليتبوأ مقعده من
النار وقال صلى الله عليه من احب ان يتمثل له الرجال صفوفا فليتبوأ مقعده من النار وثانيها
ان لا يمشي الا ومعه غيره لما روي لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وثالثها
ان يتكبر من زيارة غيره وروي ان سفيان قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم ابن ادهم ان تعال
فحدثنا فجاءهم سفيان فقالوا له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان ادري كيف تواضعه
لله تعالى ورابعها ان يستنكف عن جلوس غيره بالقرب منه ويحب الجلوس بين يديه
والتواضع خلاف ذلك ويحكى انس بن مالك ان الوليدة من ولائد المدينة كانت تاخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب حيث شاءت من حاجتها وخامسها
ان يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم فهذا حاله من الكبر وكان
عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته وسادسها
ان يتكبر عن تعاطي شغل في بيته والتواضع خلاف ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز
انه كان يوما يكتب فاراد السراج يطفأ فقال الضيف اقوم فاصلحه قال ما كان للرجل ان يستخدم
ضيفه قال فانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فوضع القلم من يده واخذ البطة وملأ
السراج زيتا فقال الضيف قمت انت يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر وقعدت وانا عمر خير الناس
من كان عند الله متواضعا وسابعها اللباس اذ به يظهر التكبر والتواضع قال الرسول صلى
الله عليه البذاذة من الايمان قال هرون سالت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس
وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار
فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وعوتب امير المؤمنين علي كرم الله وجهه في
ازار مرقوع فقال له يقتدي به المؤمن ويخشع القلب

وقال عيسى صلوات الله عليه جودة الثياب خيلاء القلب وتاسعها ان يتواضع
بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فهذا هو الاصل عظيم يجب ان يرى في خلق
التواضع وقد جرت به عادة السلف لتصلح عين احتمال الاذى والصبر على البلوى
وعاشرها

وسابعها
اذ لا ياخذ متاعه و
يحمله الى بيته وهو خلاف
عادة المتواضعين كان
صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك
وقال علي رضي الله عنه لا
ينقص المؤمن كماله ما حمل
شيئا الى عياله وكان ابو
عبيدة بن الجراح وهو
امير يحمل سطلا من خشب
الى الحمام وقال ثابت
بن ابي مالك رايت ابا
هريرة قد اقبل من السوق
يحمل حزمة حطب وهو
يومئذ خليفة لمروان
فقال اوسع الطريق
للامير يا ابن ابي مالك
وعن الاصبغ بن نباتة
كاني انظر الى عمر رضي الله
عنه معلقا اللحم في يده
اليسرى وفي اليمنى
الدرة يدور في السوق
حتى دخل رحله وقال
بعضهم رايت عليا
رضي الله عنه اشترى
لحما بدرهم وحمله في ملحفته
فقلت له احمل عنك
يا امير المؤمنين فقال لا
ابو العيال احق ان
يحمل

ان تعلم ان مجامع حسن الاخلاق هو التواضع وهو من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقتدى به ونحن ان نتعلم منه وقد قال بعض الحكماء ...
فيما احب الناس من الملبس والماكل والمشرب والمركب والمطعم ...
واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك بخلاف ...
وشرف وعالج في تنكيس الخبيثة مثل ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل ...
وخصف النعل الى غير ذلك من ... فقال ...

كلامنا في هذا الباب بايراد الامتحانات الدالة على البراءة من الكبر

اعلم ان النفوس قد تغلب بكون بها متبرية من الكبر وهي
كاذبة في هذا الدعوى والوعد ولا بد من ان يمتحن ... الامتحانات من شواهد الباطن ...
الفضيحة والامتحانات كثيرة الا انا نورد بما هو خاص فيها ... فيها خمسة
الامتحان الاول ان يناظر في مسئلة مع ... من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان
صاحبه ويثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر عليه ... عليه ...
واخرجه عن ظلمة الجهل فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه
وليقرن في نفسه ان الكبر لا يليق الا بالله ...

الامتحان الثاني

عليه ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ...
ويقدمهم على نفسك ويمشي خلفهم ويجلس في المجالس تحتهم فان ثقل ذلك عليك فانت متكبر
فلتواظب عليه حتى يسقط عنك ثقله فاما تقدم الاراذل فليس ذلك من التواضع ... في تقديم الاقران
عليك فاما تقدم الاراذل فليس يظهر فيه تقديمهم تواضع ولكنه يظهر ما ذكرناه

الامتحان الثالث

والله اعلم ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة
الرفقاء والاقارب وحوائج اهل بيته فان ثقل عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم
الاخلاق والثواب عليها من جهة الله جزيل فنفور النفس عنها انما هو لكبر في
النفس متمكن في الباطن فليشتغل بازالته في المواظبة مع تذكر جميع ما ذكرنا من
الامور المزيلة له وليستعن بالله تعالى

الامتحان الرابع

ان يحمل حاجة
نفسه وحاجة غيره من الاهل والجيران من السوق الى البيت فان ابت نفسه فهو
كبر وفي الحديث من حمل سلعته من السوق فقد برئ من الكبر وحكي عن عبد الله
بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك من يكفيك
قال اجل ولكني اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك عني ام لا فلم يقنع منها بما اعطى من العزم
حتى صدق العزم بالفعل على ترك الانفة

الامتحان الخامس

ان تلبس الثياب البذلة
الركيكة فان نفور النفس عن ذلك دال على الكبر وروي ان عمر بن عبد
العزيز كانت له مسح يلبسه بالليل وقال الرسول صلى الله عليه من اعتقل البعير ولبس

قبل

التصوف عقد برئ من الكبر وقال صلى الله عليه انما انا عبد آكل على الارض والبس
الصوف واعقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن
سنتي فليس مني فهذا ما اردنا ذكره في باب الكبر والله اعلم

الباب الثامن في العجب من مقالة المهلكات

واعلم ان الخوض فيها
يدله من شرائط لا بد ذكر حقيقة العجب يكون الا بوصف هو كمال كالعلم والزهد
والعبادة وليس العجب للانسان بوصف من اوصاف الرذائل فان الانسان لا يعجب بالبخل ولا
بسوء الخلق بل انما يعجب بالكرم وحسن الخلق والعجب هو استعظام النعمة والركون اليها و
الركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم وخرج عن هذا حالتان فانه لا يكون معجبا
بنعمة الله الا وله حالتان ان يكون خائفا على زوالها مشفقا على تكدرها او على سلبها من
اصلها فانه لا يكون معجبا الحالة الثانية الا يكون خائفا من زوالها لكن يكون فرحا بها
من حيث انها نعمة من نعمة الله تعالى لا من حيث اضافتها الى نفسه فهذه حالة فليس
معجبا فاذا [illegible] فقد ذكر ذم العجب ثم نذكر اسبابه ثم نذكر كيفية علاجه
فهذه بيانات هذا الباب الاول في ذم العجب اعلم ان ذمه يظهر من جهات ثلث

الجهة الاولى من كتاب الله تعالى قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذلك في معرض
الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم
وشوكتهم وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد
يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه والله اعلم

الجهة الثانية الاخبار وقد قال صلى الله عليه ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وقال الرسول صلى الله عليه لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من ذلك العجب العجب وقال طلحة
ان رسول الله صلى الله عليه يوم احد [illegible] فاكب عليه فاصيبت كفه فكانه اعجب بذلك اذ وقاه
بنفسه فتفرس عمر ذلك فيه حتى قال ما زال طلحة يعرف فيه بأوا منذ اصيبت كفه مع رسول
الله صلى الله عليه والبأو هو الكبر في اللغة الا انه لم ينقل عنه انه اظهره ولا احتقر مسلما
[illegible] رجل قال ان [illegible] طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا
يخلص من العجب امثالهم كيف يخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم ولم يلطف الله تعالى بهم
[illegible]

الجهة الثالثة الاثار قال ابن
مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وقال [illegible] لا تبرؤوها اي لا تتعهد [illegible]
[illegible] يعني العجب وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح
معجبا وكان بشر بن منصور من [illegible] ذكر الله [illegible] على العبادة
فاطال الصلوة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلوة قال لا يعجبك ما ترى مني
فان ابليس لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار وقيل لعايشة

متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
فالمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل [illegible] استعظام العمل هو العجب
فقد ظهر بما ذكرناه ان العجب مذموم جدا واما آفاته فكثيرة **الاولى** منها
ان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات التي
لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها
فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها وما يذكره منها
[illegible] وظنه انه يغفر له **الثانية** ان يستعظم العبادات ويتبجح بها ويمن
على الله بها وينسى نعمة الله تعالى عليه في التوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب عمي عن
آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا
لم تكن خالصة عن الشوائب لم تكن تنفع الا نادرا **الثالثة** ان المعجب يغتر بنفسه
ويأمن مكر الله تعالى وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة **الرابعة**
ان يخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها والله تعالى يقول فلا
تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى **الخامسة** انه اذا كان معجبا برأيه منعه ذلك من
الاستفادة والاستشارة فيستبد برأيه وبنفسه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما
يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بكونه من غيره
السادسة انه لا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستحقار
ويصر على خطائه غاية الاصرار **السابعة** انه ان كان رأيه في امر دنيوي [illegible]
وان كان في امر ديني لم يصب وجه الحق فيه لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فانه يهلك
فيه ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وكان
مواظبا على مدارسة العلوم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى طريق الحق
ومنهاج الصواب **الثامنة** انه يفتر في السعي في الاعمال الصالحة لاعتقاده انه
قد فاز واستغنى وهذا هو الهلاك بعينه والزلل الذي لا شبهة فيه فهذا ما اردنا ذكره في
ذم العجب وذكر آفاته المهلكة للدين والله اعلم بالصواب

الباب الثاني في ذكر اسبابه

واعلم ان العجب له اسباب كثيرة وجملتها ثمانية **السبب
الاول** العجب ببدنه في جماله وصحته وقوته وتناسب شكله وحسن صورته وصوته
وعلى الجملة فان العجب يحصل في تفاصيل الخلقة فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة
من نعم الله وهو بعرضة للزوال **السبب الثاني** القوة والبطش كما حكى الله عن
قوم عاد حيث قالوا من اشد منا قوة وكما حكي عن عوج بن عنق انه اعجب بقوته فاقتلع
جبلا ليطبقه على قوم موسى [illegible] فثقبه الله تعالى [illegible] حتى صار في عنقه كالطوق
وقد يتكل المؤمن على قوته ويعجب بها كما حكى الله تعالى عن [illegible] قال لا [illegible]

في سبيل الله ولم يقل ان شا الله يوم ثم ... ما اراد من الا[ولاد]
لعو كل واحد ... يجاهد في سبيل الله ... والقا النفس في المهالك وتعريضها للقتل
وقد يورث العجب بالقوة التهجم في الحروب والتفطن له ... الامور من مصالح
بالسيف. السبب الثالث العجب بالعقل والكياسة ... واستجهال الناس المخالفين له ولرايه
الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال ... واستحقارا الانظار
ويخرج الى قلة الاصغا الى اهل العلم اعراضا وان تعنتا بالعقل والراي ... والطالبية والهاشمية
السبب الرابع العجب بالنسب وهو العجب ... وانه مغفور لهم
باسابهم حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة ابايه ... وهذا غرور عظيم وخطا فاحش
ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موال وعبيد ... من اكرم الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال
فان الرسول صلى الله عليه لما قيل له ... وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما
اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له ... وقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو
لما اذن بلال يوم الفتح على ظهر الكعبة ... بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وعتاب بن اسيد هذا العبد الاسود يوذن فنزل قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وقال الرسول صلى الله عليه ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وافتخارهم بالابا
الناس كلهم ولد ادم وادم من تراب. السبب الخامس العجب بنسب
السلاطين الظلمة والملوك واعوانهم وارباب الدول والاعراض عن نسب الدين والعلم
وهذا غاية الجهل ولو تفكروا في مخازيهم وانهماكهم في المعاصي لله من البغي والفساد
وظلم العباد والى مقت الله تعالى لهم وابعاده عن رحمته ولو نظروا الى صورهم
في النار والى خزي الله وما اعد لهم من الانكالات لتبروا من الانتساب اليهم ولكان
الانتساب الى الكلاب والحمار اشرف من الانتساب اليهم. السبب السادس
العجب بكثرة العدد من الاولاد والغلمان والاقارب والانصار والاتباع كما حكى الله
عن قيل الكفار بقولهم ... اكثر اموالا واولادا وكما قال رسول الله صلى الله
عليه يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة وكيف يعجب بهم وهم يتفرقون عنه اذا مات
فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده ولا اهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم يسلمونه
الى التراب والبلا والحيات والعقارب والديدان ولا يغني الاهل والولد عنه شيئا فكيف
يعجب بمن هذا حاله. السبب السابع العجب بالمال كما حكى الله عن صاحب الجنتين
اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى رسول الله صلى الله عليه رجلا غنيا جلس الى
جنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال له صلى الله عليه اخشيت ان يعدو اليك فقره
وذلك لما كان العجب منه بالغنى وروى عن ابي موسى رضي الله عنه قال بينما رجل يتبختر
في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة
فهذه عقوبته على اعجابه بنفسه وقال ابو ذر كنت مع الرسول صلى الله عليه

في المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم
قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب خلقان فقال يا ابا ذر هذا
عند الله خير من ملء الارض من هذا. السبب الثامن العجب بالراي الخطا
قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه ان ذلك يغلب على اخر هذه الامة وبذلك
هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع
اهل البدع والضلالات انما اصروا عليها لعجبهم بارايهم والعجب بالبدعة هو استحسان
ما يسوق اليه الهوى ... على العجب ... نسال الله العصمة من الضلال
ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال ... الى حسن ...
في الوهم.

البيان الثالث في علاج العجب

اعلم ان علاج كل علة انما
يكون بمقابلة سببها وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه ... المعرفة المضادة لذلك الجهل
وللعلاج مسلكان المسلك الاول من جهة الاجمال فنقول العجب الذي يعجب به
الاعجاب انما هو العلم والزهد والعبادة والورع والصدقة وسياسة الخلق وحسن
التصرف فيهم وغير ذلك من انواع البر واعمال التقوى فهذه الامور وان كانت
حاصلة بقدرة العبد واختياره ولكن الله تعالى هو الخالق القدرة والعلم والشهوة
واكمل الاعضاء وسهل الاسباب الفعل وخلق الاعمال الحسنة ويسره الى فعلها بالثواب
ورهبه بالعقاب على الاعراض عنها واكمل النعمة بالعافية ... وكل ذلك
بفضله ورحمته واذا كانت الامور كما وصفناه فكيف يتطرق العجب فيمن هو حاله وهي
في الحقيقة من لطف الله ورحمته فاذا ما معنى لعجب العابد بعبادته والعالم بعلمه
والزاهد بزهده لو تحقق ذلك اذ حقيقة ... فيضان جود الله وكرمه الواقع
على خلقه فهذا على جهة الاجمال.

المسلك الثاني من جهة التفصيل

ونقرر ... ونورد فيها علاجها فاما الاعجاب بالجمال والهيئة فعلاجه ان يكون
بالتفكر في اقذار باطنه وفي اول الامور واخرها ... ويتفكر في ...
... الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وكيف ... القبور
حتى تستقذرها الطباع ... فاذا تفكر في ذلك ...
عليه الامر واعرض عن الاعجاب. واما الاعجاب بالقوة والبطش فعلاجه ان يعلم ان حمى
ساعة او ليلة تضعف قوته وان العرق الواحد ...
والشوكة الواحدة تقتله وان الله تعالى اذا علم منه الاعجاب ... [illegible]
والعافية المستفيدة ... [illegible]
واما الاعجاب بالعقل والكياسة فعلاجه ان يكون يشكر الله تعالى

على ما رزق من العقل وانه لم يؤت من العلم الا قليلا ويتفكر في حاله انه بادنى
مرض يصيب دماغه كيف ينفي حاله في كثرة الوسوسة والهذيان بحيث يضحك
منه ويستنقص عقله ويصير ضحكة للعقلاء ويسخر منه كل من رآه ويسمعه فليحذر
العاقل من هذه الحالة وليحمد الله تعالى على ما رزقه من العقل ولا يعجب بشيء منه. واما
الاعجاب بالحسب فعلاجه بان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم
وطرائقهم وظن انه لاحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم
العجب بل الخوف والازراء على النفوس واستعظام الخلق ومذمة النفس واعترافهم
بالتقصير في حق الله تعالى وانما شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب
فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب من لم يؤمن بالله واليوم الآخر فكانوا
عند الله شرا من الكلاب والخنازير ولهذا قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم. والاعجاب
بنسب السلاطين الظلمة واهل الجور دون نسب الدين والعلم فانما علاجه بان
يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم والفسق والظلم للخلق والفساد في دين
الله وانهم عند الله في غاية الخزي والمقت ولو نظر الى ما اعد الله لهم من الخزي والنكال
وعظيم العذاب لاجل مخالفته وغضبه لتعوذ من اولاد الظلمة ان يشكروا الله
على ما رزقهم من حسن الاسلام والسلامة من العذاب. واما الاعجاب
بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والاقارب فعلاجه يكون بالتفكر في
ضعفهم وعجزهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وكم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ثم كيف يعجب بهم والكل الى نفاد ويتركوه الى الموت
والهلاك ولا ... عن الدنيا وقد قال تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه فاي خير فيمن يفارقك في اشد الاحوال وهو القبر ويوم القيامة والحشر
واما الاعجاب بالمال فعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه
وعظم غوائله وآفاته وان فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة ويتفكر في
ان المال غاد ورائح ولا اصل له وانه يوجد في اليهود والنصارى ويوجد في الترك من
يزيد عليه في المال وقد ذم الدنيا والمال من جملتها فلا وجه للتكبر به. واما
الاعجاب بالرأي الخطأ فعلاجه يكون اشد من علاج غيره لان صاحب الرأي
الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه وعلاج الداء الذي لا يعرف عسير والجهل داء لا يعرف
فمهما كان دواؤه عسيرا واما علاجه على الجملة بان يكون متهما لرأيه ابدا فلا يغتر به
والصواب ما لم يشهد له ... الا استغراق وعمق في العلم الاعوص في اهل المذاهب ولا يصغي اليها
ولا يكون سامعا لها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وان الرسول صادق

وما جاء به واخبر عنه ويتبع سنة السلف الصالح ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة
من غير بحث وتنقير وسؤال عن التفاصيل بل يقول آمنا بالله وصدقنا ويكون اشتغاله
بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال الصالحة
يتعلمها ويواظب عليها واما الذي عزم على التجرد للعلم واستغراق العمر في طلبه فاول
مهم عليه الاتكال على حول الله تعالى والعزم على الانصاف وترك التعصب لمذهبه
والميل الى اسلافه وليعتمد على الاتقان بشروط الادلة حتى يكون واصلا الى اليقين والمعرفة
في اكثر المطالب وليسأل من الله تعالى توفيقا يقوده الى الرشد ويهدي الى طرق السلامة
لعل الله ان يفيض عليه من الانوار الالهية ويطلعه على حقائق المعاني والعقلية بمنه
وطوله

الباب التاسع من مقالة المهلكات في البخل وذم المال

اعلم انا قبل الخوض فيما نريده من حقائق الباب واسراره نذكر حد البخل والسخاء فان
ذلك من المهمات وما من انسان الا ويرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر
فعل من انسان فيختلف في حاله فبعض الناس يقولون هو بخيل وبعضهم يقول ليس
بخيلا فلا بد من البيان للبخل الذي يوجب الهلاك والسخاء الذي يستحق به الثناء فيقول قد
قال قائلون حد البخل هو منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس بخيلا وهذا غير كاف
فانه اذا رد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة خردل او بعضها فانه
يعد بخيلا بالاتفاق وهكذا من سلم الى عياله القدر الذي يفرضه الحاكم ثم يضايقهم
في لقمة زادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله فانه يعد بخيلا وقال آخرون البخيل هو
الذي يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستكثر ما فوقها وهذا لا وجه له فانه
رد الى غاية وهكذا اقاويلهم كلها في الجود فقالوا الجود عطاء على رؤية ان المال لله
والعبد لله فيعطي عبد الله مال الله على قدر رؤية الفقر وقالوا الجود من اعطى البعض
وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود
ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل
وجملة ما اوردوه هذه الكلمات فهي غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل الحق ان
يقال المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن
الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف
فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث
يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخاء
والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه الا بالسخاء وقيل له على جهة التعليم
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا وقال
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار

فان قلت حلبي

محمد اعلم

والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب فتحصل من مجموع
ما ذكرنا ان البخل والسخاء موقوف فان علم معرفة الواجب فما هو الواجب الذي يجب بذله فلنعلم ان الواجب
قسمان قسم واجب بالشرع وقسم واجب من جهة المروة والعادة فالسخي هو الذي لا يمنع واجب
الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل لا محالة ولكن الذي يمنع واجب
الشرع هو ابخل من منع واجب المروة فواجب الشرع هو الزكوة وواجب المروة هو ترك
المضايقة والاستقصاء في المحقرات فمن كرهها فانه يستقبح منه لا سيما في الدانق فهذا ما
اردنا ذكره في ماهية البخل والجود والسخا والله الموفق فاذا عرفت هذا فلنذكر ما يتعلق
بالباب ونجعلها تنبيهات على المقصود بمعونة الله تعالى التنبيه الاول في بيان ذم
البخل قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
وقال الرسول صلى الله عليه اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم
واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم
ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال صلى الله عليه لا يدخل الجنة
بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية اخرى ولا جبار ولا منان وقال
صلى الله عليه ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله
عليه ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والفقير المختال وقال صلى الله عليه
مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما
فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد
ان ينفق الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال
صلى الله عليه لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه اللهم اني اعوذ بك
من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه اياكم والظلم
فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح
فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم
بالقطيعة فقطعوه وقال صلى الله عليه شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل
شهيد رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال وما يدريك
انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينما نحن نسير
مع رسول الله صلى الله عليه ومعنا الناس مقفله من حنين علقت رسول الله صلى الله عليه الاعراب يسالونه
حتى اضطروه الى سمرة فخطفت السمرة رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وقال اعطوني
ردائي لو كان عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا
جبانا وقال عمر قسم رسول الله صلى الله عليه قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق منهم فقال انهم

خيروني

خيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان
على الرسول صلى الله عليه فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر
بن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه
فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة فلم
يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في مسالته متابطها وهي نار قال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال
يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
الجود من جود الله تعالى جودوا يجد الله لكم الا ان الله تعالى خلق الجود فجعله في صورة رجل
وجعل اسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض
اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن من اغصانها ادخلته الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان
في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل اسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها
الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال
صلى الله عليه السخاء شجرة في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة في النار فلا يلج النار الا بخيل
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه من سيدكم يا بني عبيد قالوا سيدنا الجد
بن قيس الا ان فيه بخلا فقال صلى الله عليه واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو
بن الجموح وقال امير المومنين كرم الله وجهه ان الله ليبغض البخيل في حياته السخي عند
موته وقال رسول الله صلى الله عليه السخي الجهول احب الى الله من العابد البخيل وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه لا يجتمع الايمان والشح في قلب عبد وقال صلى الله
عليه لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه حلف الله بعزته وجلاله
وعظمته لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه كان يطوف
بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي
فقال رسول الله صلى الله عليه وما ذنبك صفه لي فقال هو اعظم من ان اصفه لك فقال
ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل
ذنبي قال اعظم من البحار قال بل ذنبي قال اعظم ام السموات قال بل ذنبي قال ذنبك اعظم
ام العرش قال بل ذنبي قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي
ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل لياتيني يسالني فكانما يستقبلني
بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة
لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار
وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر
في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك

هم المنعمون فهذه من طريق الاخبار النبوية **واما الآثار** فقد قال ابن عباس لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله وعزتي وجلالي لا اسكنك بخيلا ه وقالت ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته ه وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم ه وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ه وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في النار البخل او الكذب وقيل ورد على كسرى انوشروان حكيم الهند وحكيم الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقال للرومي تكلم فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقرا ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال ابو حنيفة لا ارى ان اعدل بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة ه وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له وقال الشاعر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على المؤمنين في قلوبهم وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه فهذه مقالة اهل الصلاح في ذم البخل

التنبيه الثاني في بيان علاج البخل

واعلم ان علاجه يكون بامرين الامر الاول منهما علمي والعلم راجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود ثم للعلم جهات ثلث

الجهة الاولى ان يكثر التامل لاحوال البخلاء والعرف لطرائقهم وما يحصل من نفار الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل الا وهو يستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم بذلك انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه

الجهة الثانية ان يخدع نفسه في البذل عن الاشتهار واطلاق الاسم بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في الاشتهار بالجود فيكون قد زال عنه خبث البخل ولومه واكتسب خبث الرياء ولكنه يعطف بعد ذلك على ازالة هذه الخصلة اعني الرياء ويزيله بعلاجه ويستعين باسم

الجهة الثالثة بان يعلم مقاصد المال لاي شيء هي ولماذا جعلت وما هو المقصود منها فلا يحفظ من المال الا قدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله من الله فهذه علاجات من جهة العلم والمعرفة فاذا عرف بنور البصيرة كان عاقلا ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل اذا كان عاقلا فاذا تحركت الرغبة فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه ه وحكي عن بعض الزهاد انه كان في البرية فدعا تلميذا له وقال له انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال له هلا صبرت حتى نرجع قال لا آمن على نفسي ان تتغير

العلاج الثاني من جهة العمل

اعلم ان البخل سببه الهوى وهو حب المال ولحب المال سببان

السبب الاول حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله ولهذا فانه عود البخيل عند الموت لا محالة وان كان له ولد يقوم الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فلا جرم كان بخيلا لاجلهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة يشير به الى ما ذكرناه

السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لنفسه عمره اذا كان مقتصرا على ما جرت به عادته في الانفاق ويفضل على ذلك الالوف وهو شيخ بلا ولد وله ولا ولد له ومعه اموال جمة كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض وما ذاك الا لمحبته الدنانير والدراهم وحصل له لذة بوجودها في يده وبقدرته عليها وبكونها ورآها ربما كنزها ودفنها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع ذلك فان نفسه لا تسمح بان ياكل ويتصدق وهذا مرض عظيم للقلب عسير العلاج لا سيما مع كبر السن والا يكاد يرجى علاجه فهذه اسباب حب المال واما علاج كل علة فبمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة بالقليل وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران والامثال وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه فكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث ويطلعه ايضا على انه جمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب الى ربه بشر وان ولده ان كان تقيا كفاه الله امره وان كان فاسقا فيستعين بما خلفه على المعصية وترجع مظلمته عليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله على البخل من العقاب العظيم ه وحكي انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر النفيسة لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا

وقال لبعض الحكما عند كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان الكنز كان مصيبة لا جبر لها وان ترو ضربت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك امن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما ان القدح انكسر فعظمت به مصيبة الملك وقال صدق الحكيم دليته لم يحمل الينا وقد عرضنا من ذم البخل ونقصه

ومن عجب ما قيل في حكايات البخلاء

حكي ان رجلا من البصرة بخيلا وكان موسرا فدعاه يوما بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض واطباهجة هي نوع من انواع الطبايخ فاكل منها واكثر وجعل يشرب الما فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله لطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض امي ت ولا اتقيا طباهجة ببيض وحكي ان اعرابيا اقبل يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسايه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القران شيا قال نعم وقرا والتين والزيتون فقال واين التين قال تحت كسايك وحكي ان مروان ابن ابي حفصة كان لا ياكل اللحم حتى يقرم فاذا قرم امر غلامه يشتري له راسا فاكله فقيل له ما تزال تاكل الروس في الصيف والشتا فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اكل شعره واكل جلدته وامن خيانة الغلام فيه ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر انه ياكل منه ان مس عينا او اذنا وخدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا عينه لونا واذنه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مونة طبخه وقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج مروان يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله مالي عليك ان رجعت بالجايزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة د وانبق واشترى لحما بدرهم قد غاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وحكي ان محمد بن يحيى بن خالد البرمكي كان بخيلا قبيح البخل فسيل نسيب له كان يعرفه فقيل له صف لنا مايدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال افما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقيل له انت خاص به وثوبك مخرق فقال اي والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملو ابرا ثم جاه جبريل وميكايل ومعهما يعقوب يضمنون له ابرة ويسالونه ان يعيرهم اياها يخيطون بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل وهذا هو النهاية في اللوم ونقتصر على هذا القدر فلا حاجة الى الاكثار منه والله اعلم

التنبيه الثالث في بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها وقال تعالى الهاكم التكاثر ... فقد قال

الرسول صلى الله عليه حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الما البقل وقال صلى الله عليه ما ذيبان ضاريان في زريبة الغنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال الرسول صلى الله عليه هلك الاكثرون اموالا الا من قال به من عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك افضل قال الا غنيا الذين ينفقون اموالهم ابتغا وجه الله وقال صلى الله عليه سياتي بعدي قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النسا والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها الها دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم الا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر بها وقال صلى الله عليه يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المومن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه اخلا ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى المحشر فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الما ولا نقدر على ذلك فقال ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سوى وكتب سلمان الى ابي الدردا يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تودي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول يجا بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفا به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ويجا بصاحب الدنيا لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وقال صلى الله عليه اذا مات ابن ادم قالت الملايكة ما قدم وقالت الناس ما خلف وقال صلى الله عليه لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا فهذه هي الاخبار الدالة على ذم المال

واما الاثار

فقد روي ان رجلا نال من ابي الدردا سوا فقال اللهم من فعل بي سوا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راى كثرة المال غاية البلا مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد ذلك ان يفضي الى الطغيان ووضع امير المومنين كرم الله وجهه درهما على كفه وقال اما انك ما لم تخرج لا تنفعني وروي عن عمر انه ارسل الى زينب بنت جحش بعطايها فقالت ما هذا فقالوا ارسل به اليك عمر بن الخطاب

قال النووي ... من عظمه ... العصر ... يوم الجمعة ... الظهر ... ولا الاحد ... صلاة الضحى ... الا العصر ... يوم الخميس ... صلاة الظهر ... الجمعة الا ... كانت ... طوله وفضله ... لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الذي ... الى قبره ... والثالث الى المحشر ...

فقالت غفر الله لك لم خليت شيا كان لها فقطعته صررا وقسمته بين فقراء رحمها وايتامها
ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نسا رسول
الله صلى الله عليه لحوقا به وقال الحسن ما اعز الدرهم احد الا اذله الله وقيل اول ما ضرب
من الدنانير والدراهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو
عبدي حقا وحكي عن بعض الزهاد انه قال لابنه يا بني ان الدراهم ازمة المنافقين يقادون
بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه قيل وما رقيته
قال اخذه من حله ووضعه في حقه

التنبيه الرابع في بيان ذم الطمع والحرص
ومدح القناعة واليأس عما في ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود كما سنوضحه من بعد هذا
في مقالة المنجيات ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت
الى ما في ايدي الناس ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر
الضرورة في المطعم والملبس والمشرب والمسكن ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا
ويرد امله الى يومه او الى شهره او الى سنة ولا يشغل قلبه بما وراء السنة فانه ان
تشوقت نفسه الى الكثير والحرص وطول الامل فاته عز القناعة وجرته الى مساوي الاخلاق وارتكاب
المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل ابن ادم على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول
الله صلى الله عليه يكبر ابن ادم ويشب منه اثنان الحرص وطول الامل وقال الرسول
صلى الله عليه طوبى لمن كانت عيشته كفافا وهدي الى الاسلام وقال الرسول صلى الله عليه
ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد نهى عن شدة الحرص والمبالغة في
الطلب فقال ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ...
ولن يذهب احد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي ان عيسى
صلوات الله عليه سأل الله تعالى فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطي قال
فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن
مؤمنا وروى ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى الرسول صلى الله عليه فقال يا رسول
الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه
غدا واجمع اليأس عما في ايدي الناس وروي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال
لا تسألوا الناس شيئا فهذه هي الاخبار الدالة على ذم الطمع والحرص **واما الاثار**
فقد قال عمر رضي الله عنه الطمع فقر واليأس غنى وانه من ييأس عما في ايدي الناس
استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وكان
محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد
وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من ايديكم وقال

ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال
بعض الزهاد انما بطنك يا ابن ادم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال
التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال
يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت
وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة
فليطلبها يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق
وما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم فعزم عليه الا رفع حوائجه اليه
فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت
وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايما اعون على دفع الحزن فقال اسرها ما قدم
من صالح العمل واعونها على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء
وجدت اكثر الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص
اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقال
عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني
من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم
والله لا ادري ايحل لي ذلك ام لا كانه شك في هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي
تجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك
من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد
نقلت عنه كانك لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقال ابن السماك الرجاء حبل في
قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقيل لعبد الله بن سلام
ما يذهب من قلوب العلماء بعد اذ عرفوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس بطلب
الحوائج وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في الدنيا لم يكن
في قوى خلقته اكثر مما قد استعمله في طلب الحرص على الطمع مع قصر مدة التمتع
وتوقع الزوال وقال عبد الواحد مررت براهب فقلت له من اين تاكل فقال من
بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحى يخلق الطحين واشار الى اضراسه

التنبيه الخامس في بيان العلاج في ازالة الحرص والطمع وبيان الدواء
الذي تحصل به القناعة ومجموع ذلك راجع الى علاجات خمسة **العلاج الاول**
الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على
نفسه ابواب التوسعات مهما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد منه فمن كثر انفاقه
لم يمكنه القناعة وقد قال صلى الله عليه ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال
صلى الله ثلث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل

في الرضا والغضب وروي ان رجلاً ابصر ابا الدرداء يلتقط حبّاً من الارض فقال ان من فقهك
رفقك في المعيشة وقال ابن عباس قال الرسول صلى الله عليه الاقتصاد وحسن السمت والهدي
الصالح جزء من عشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف العيش وقال الرسول صلى الله عليه
من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه اذا اردت
امراً فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فيه فرجاً ومخرجاً **العلاج الثاني** انه اذا تيسر
له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك
قصر الامل وتوطين النفس بان الرزق الذي قدر له لا بد انه ياتيه وان لم يشتد حرصه عليه
وان شدة الحرص ليست سبباً لحصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقاً بوعد الله لقوله
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها **العلاج الثالث** ان يعرف ما في القناعة
من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق ذلك عنده انبعثت رغبته الى
القناعة لانه في الحرص لا يخلو عن تعب وفي الطمع لا يخلو عن ذل وليس في القناعة الا الم الصبر
عن الشهوات والفضول ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل وقال
الرسول صلى الله عليه عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل
استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت
اميره **العلاج الرابع** ان يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس
والحمقى من الاكراد والاجلاف من العرب ومن لا دين له ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبيا
والاوليا والى سمت الخلفا الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم
ويطالع اخبارهم واحوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق او على
الاقتدا بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة
باليسير وانه ان تنعم بكثرة الاكل فالثور والحمار ياكلان اكثر وان تنعم بالوقاع فالخنزير اعلى
رتبة فيه وان تزين باللبس والخيل ففي اليهود والنصارى من هو اكثر منه واعظم حالاً وذلك
وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الانبيا عليهم السلام **العلاج الخامس**
ان يكون فاهماً ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه في ذمه وما يحصل فيه من هم السرقة والنهب
والضياع ويخرج ما يفوته من الهدى فقط عن باب الجنة الى خمسمائة عام واذا لم يقنع بما
يكفيه التحق بزمرة الاغنيا وخرج عن جريدة الفقرا قال ابو ذر اوصاني خليلي ان انظر الى من
هو دوني لا الى من هو فوقي في الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه
فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر في ذلك الصبر وقصر الامل
وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل ليتمتع دهوراً طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر
على مرارة الدوا لشدة طمعه في انتظار الشفا والله اعلم بالصواب **التنبيه السادس**

في بيان فضيلة السخا اعلم ان المال اذا كان مفقوداً فينبغي ان يكون حال العبد القناعة
وقلة الحرص وان كان موجوداً فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخا واصطناع المعروف
والتباعد من الشح والبخل فان السخا من اخلاق الانبيا وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر رسول الله
صلى الله عليه حيث قال السخا شجرة من اشجار الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها
غصناً قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه قال جبريل
عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخا وحسن الخلق فاكرموه
بهما ما استطعتم وفي رواية اخرى فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه ما جبل الله وليا الا على السخا وحسن الخلق وعن جابر قيل
يا رسول الله اي الايمان افضل قال الصبر والسماحة وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما فحسن الخلق
والسخا واما اللذان يبغضهما فسوء الخلق والشح واذا اراد الله بعبد خيراً استعمله على قضا
حوائج الناس وروي عن الرسول صلى الله عليه انه لما قال له رجل دلني على عمل يدخلني الجنة
قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشا السلام وحسن الكلام وقال الرسول صلى الله
عليه يقول الله اطلبوا الفضل من الرحما من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم
رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم غضبي وعن ابن عباس رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما
عثر وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه الرزق الى مطعم الطعام
اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال الرسول صلى
الله عليه ان الله جواد يحب الجواد ويحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها وقال
انس ان الرسول صلى الله عليه لم يسال على الاسلام شيئاً الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له
بشا كثير بين جبلين من شياه الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمداً يعطي
عطا من لا يخشى الفاقة وقال الرسول صلى الله عليه ان لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع خلقه
فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره وروي ان الرسول
صلى الله عليه اتي باسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلاً فقال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال الرسول صلى الله
عليه نزل علي جبريل فقال اقتل هولا واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاً فيه وقال
صلى الله عليه ان لكل شي ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح بالعطا وعن نافع عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه طعام الجواد دوا وطعام البخيل دا وقال
صلى الله عليه ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة
عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى صلى الله عليه استكثروا من شي لا تاكله النار قيل

وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضي الله عنها قال الرسول صلى الله عليه الجنة دار
الاسخياء وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه ان السخي قريب من الله قريب من الناس
قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب
من النار وجاهل سخي احب الى الله من عالم بخيل واي داء ادوى من البخل وقال الرسول صلى الله عليه
اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فهو اهله وان لم تصب
اهله كنت انت اهله وقال الرسول صلى الله عليه ان ابدال امتي لم يدخلوا الجنة بصلوة ولا صيام ولكن
دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال
الرسول صلى الله عليه ان الله جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف
وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما ييسر الغيث الى
البلدة الجدبة فيحييها ويحيي اهلها وقال الرسول صلى الله عليه كل معروف صدقة وكلما انفق
الرجل على نفسه فعلى الله خلفها قال صلى الله عليه كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله
والله تعالى يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه كل معروف فعلته الى غني او فقير فهو
صدقة وروي ان الله اوحى الى موسى صلى الله عليه لا تقتل السامري فانه سخي وقال
جابر بعث بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم تسع ركائب فحدثوا رسول الله
صلى الله عليه فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت فهذه الاخبار في السخا واما

الاثار فقال امير المؤمنين كرم الله وجهه اذا اقبلت
الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى وان ادبرت الدنيا فانفق منها فانها لا تبقى وسأل معوية الحسن
بن علي رضي الله عنه عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحوزه
نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب
عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة
بالسائل مع بذل النائل ورفع رجل الى الحسن بن علي رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل
له يا ابن رسول الله صلى الله عليه لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك
فقال الا يسائلني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري
المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه ولين مقاله وسئل بعض الاعراب فقيل له
من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين رضي
الله عنه من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدي بحقوق الله في اهل
طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصري
ما السخا فقال ان تجود بمالك في الله تعالى قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك قيل له فما الاسراف قال
الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه لا مال اعود من العقل
ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد

[illegible]

كريم

كريم ولا يجاورني في الجنة لئيم واللؤم من الكفر والكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان
في الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأى
الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى
تخرجه من يدك ولقد صدق من قال في معنى هذا المعنى انت للمال اذا امسكته فاذا انفقته
فالمال لك وسمي واصل بن عطا بالغزال لانه كان يجلس الى الغزالات والغزالين فاذا رأى امرأة
ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاصمعي كتب الحسن السبط الى اخيه الحسين يعتب عليه
اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقي به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخا قال البر بالاخوان
والجود بالمال وورث عبد الرحمن بن الحارث خمسين الفا من الفضة فبعث بها الى اخوانه صررا
وقال انا اسأل الله لاخواني الجنة في صلاتي وابخل عليهم بالدنيا ومن احسن ما قيل من الشعر في هذا
المعنى قول بعضهم لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى ان تجود بها ... فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف
وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى غاية الجود وقال المهدي لشبيب
بن شيبة كيف رأيت الناس في داري فقال رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا

وختم هذا الباب بالكلام في حكايات الاسخياء

روى محمد بن المنكدر عن ام ذرة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها انها قالت ان ابن
الزبير بعث اليها بمال في غرارتين مائة وثمانين الفا فدعت بطبق وجعلت تقسمه بين
الناس فلما امست قالت هاتي يا جارية فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام ذرة ما استطعت
فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا لحما بدرهم نفطر عليه فقالت لها لو كنت ذكرتيني لفعلت وقال
مصعب بن الزبير حج معوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن
بن علي لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن بن علي ان علينا دينا ولا بد من اتيانه
فركب في اثره ولحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف دينار قد اعيا
وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه
الى ابي محمد وحكى الواقدي ان المامون رفعت اليه رقعة من بعض الناس يذكر فيها
كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمعت فيك
خصلتان سخا وحيا اما السخا فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحيا فهو الذي منعك
ان تبلغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم
تكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء حوائج الرشيد وقال رجل للحسن
بن علي علمت حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي
ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء بشكرك
فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤونة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت

فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن وكيله وجعل يحاسبه
على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من ثلث مائة الف فاحضر خمسين الفا
قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدراهم
والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتى بحمالين فدفع اليه الحسن رداءه لكرا
الحمالين فقال له غلمانه والله ما عندنا درهم فقال لكني ارجوا ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع
قرا البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا
ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس
واخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوها فحملوها
فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكون عونا
له على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وليس بنا من الكبر ما لا نخدم
اوليا الله ففعل وفعلوه وحكي ان الحسن والحسين وعبد الله بن
جعفر خرجوا حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خبا فقالوا
هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها
وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام فقالت لا الا هذه الشاة فليذبحها
احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما
فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا
سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة
فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولون نفر من قريش ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة
الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز
في بعض سكك المدينة فاذا الحسن جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث
غلامه ودعا بالعجوز فقال لها يا امة الله اتعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت
العجوز بابي وامي هو قال نعم ثم امر الحسن رضي الله عنه فاشتروا لها من شياه الصدقة
الف شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم
وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى
عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها
عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها
باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار ولنقتصر على هذا القدر في الحكاية عن اخلاق
الاجواد واهل الهمم العالية التي كانت الدنيا اعينهم احقر من ان تلتفت اليها وليس لها في نفوسهم
وقع ولا اثر ومن اراد الاطلاع على هذه المكارم فعليه بمطالعة كتاب المستجاد فانه يجد
فيه ما يكفي ويشفي وقد فرغنا من كتاب البخل والحمد لله الباب العاشر

من المهلكات في الريا وذم الجاه والشهرة

اعلم ان من
الافات من اعظم الاخطار على الدين وقد قال صلى الله عليه ان اخوف ما اخاف على امتي الريا
والشهوة الخفية والشهوات الباطنة ولا شك ان الريا من الشهوة والشهوات الباطنة
هي اخفى من دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما ولهذا عجز عن الوقوف
على غوائله حذاق العلما وتشمر الفضلا فضلا عن عامة العباد والاتقيا وهو من
اعظم غوائل النفوس وبواطن مكايد الشياطين وهذا اعظم ما يبتلى به العلما والعباد المشمرين
عن ساق الجد بسلوك طريق الاخرة فانهم لما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها
عن الشهوات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت
الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم ليعرفوا بالخير والنسك والعبادة فا
سترسلوا الى اظهار الطاعة وتوصلوا الى اطلاع الخلق ولم يقنعوا باطلاع الخالق وفرحوا
بحمد الناس ولم يقنعوا بحمد الله تعالى فهم ظانون انهم يخفون ما نالهم من عبادته
المرضية وانما اشتهوا ظهر هذه البغية الخفية التي يعمى عن دركها كل الخلق الا اهل العقول
النافذة القوية فهم يرون انهم مخلصون في طاعة الله ومجتنبون محارمه والنفس
قد ابطنت هذه الافة الردية تزيينا للعبادة وتصنعا الى الخلق وفرحا بما نالته من المنزلة
والوقار واحبطته بذلك وازالت ثواب الطاعات واجور الاعمال وهن مكتبة لا
يسلم منها الا الصديقون وهموا لا يرى سفها الا المقربون ولهذا قيل اخر ما يخرج من
رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان الريا هو الدا الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين
وجب العناية في شرح حقيقته واسبابه ونبينه فيه بيانات هي الجامعة لاطرافه والمحيطة
بمقاصده بعون الله تعالى

البيان الاول في حقيقة الريا والجاه

اعلم
ان الريا مشتق من الروية والسمعة من السماع والريا اصله وحقيقته طلب المنزلة في قلوب الناس
بارائهم من خصال الخير وهو مختص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وا
فحد الريا هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى والمرائي فهو العابد والمراون هم الناس
المطلوب رويتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها
والريا هو قصد اظهارها واما الجاه فمعناه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها
فكان الغني هو الذي ملك الدنانير والدراهم اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض
والمقاصد وقضا الشهوات وساير الحظوظ النفسية فهكذا حال ذي الجاه فانه الذي
ملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها
في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع الحرف والصناعات فهكذا
يكتسب قلوب الرجال بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والا
فكل قلب اعتقد فيه القلب وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده

ويحسب ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون ذلك الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد الكمال فيما ليس كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا اضطراريا بحسب اعتقاده وبحسب غيابه فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها فكما ان محب المال يطلب ملك الارقا والعبيد وطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بل الملك الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة طوعا ويبغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الرجال اي اعتقادات القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له القلوب فبقدر اذعان القلب يكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطرا فان المعتقد للكمال يحصل في نفسه تعظيم من اختص بصفات الكمال من علم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شي مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها يعظم محلها في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه وقد عرف مما ان معنى الريا والجاه وكل واحد منهما مختص بكلام يخصه فلنفرد لكل واحد ما يليق به من الكلام ونجعله قسمين والله الموفق للصواب

القسم الاول في ذكر الريا وما يتعلق به من الخطر في احباطه الاعمال وابطالها وفيها تنبيهات

التنبيه الاول في ذم الريا

وتحصل ذلك من جهات ثلث **الجهة الاولى** الايات وهي كقوله سبحانه وتعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون وقوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزا ولا شكورا فاخبر ان الغرض انما هو وجه الله لا غيره وهذا هو المراد بالاخلاص وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد قال بعض المفسرين هو الريا وقال تعالى في معرض الذم يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين يعني بالاخلاص بطلان الريا المذموم وقال تعالى الا لله الدين الخالص

الجهة الثانية الاخبار فقد قال صلى الله عليه حين ساله رجل فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث المقتول في سبيل الله والقاري لكتاب الله والمتصدق بماله وان الله تعالى يقول للكل واحد منهم ما اردت وجهي كذبت وانما اردت ان يقال فلان كذا وفلان كذا فاذا قيل خذ اجرك عما عملكم وروى

ابن عمر من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث اخر ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الريا وقال صلى الله عليه استعيذوا بالله من جب الحزن قيل يا رسول الله وما هو قال واد في جهنم اعد للقرا المرائين وقال صلى الله عليه من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بري وانا اغنى الاغنيا عن الشرك وقال صلى الله عليه لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من ريا وقال صلى الله عليه ان ادنى الريا شرك وقال صلى الله عليه اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة الخفية وهي ايضا الى خفايا الشرك ودقايقه وقال صلى الله عليه ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بيمينه كاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال الرسول صلى الله عليه ان المرائي يدعى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت الرسول صلى الله عليه يبكي فقلت ما يبكيك يا رسول الله قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكن يراؤون باعمالهم وقال صلى الله عليه لما خلق الله تعالى الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد فقالت الملائكة ما خلق ربنا اشد من النار ثم امر الله الما فاطفا النار ثم امر الريح ففرقت الما فاختلفت الملائكة فقالوا نسال ربنا فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك فقال الله تعالى لم اخلق خلقا اشد من ابن ادم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله وروى عبد الله بن المبارك عن رجل قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي وامي انت قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة يا معاذ ان الله خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سما من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به السما الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسما الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الملائكة بعمل العبد يبتهج

وترى من حسنه فيه وصيامه وصلوته فيعجب به الحفظة ويجاوزون بها الى السماء الثالثة فيقول الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلوة وصوم وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة الى الملك الموكل بالعجب وهكذا الحال في السماء الخامسة الموكل بالحسد والملك الذي هو في السماء السادسة الموكل بالرحمة وفي السماء السابعة الذي لم يرد به وجه الله تعالى ولا اخلصه له فيقول لم تصعد الحفظة بعمل العبد فيشفعون به بين يدي الله فيقول الله عز وجل انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على قلبه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا فتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ فعلمني قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعاظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة قلت بابي وامي من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه يسير على من يسره الله عليه واقول ان هذا الحديث لعظيم وان الامر فيه لخطير وهاهنا لك الا رحمة الله فنسال الله ان يتداركنا منه بلطفه ويشرع بنا الى طاعته ويشوقنا الى جوار كرمه ونحمده

الجهة الثالثة الاثار

روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه راى رجلا يطاطي رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب وراى ابو امامة رجلا يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم

التنبيه الثاني

في بيان ما يقع به الرياء وجملته انواع خمسة فاما مع ما يقع فيه الرياء

النوع الاول

الرياء في الدين من جهة البدن وذلك يكون باظهار النحول ليدل بذلك على الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل في العبادة وبتشعيث الشعر على استغراق الهم بالعبادة فان هذه الامور اذا ظهرت فهي امارات الخلق على التزكية وهكذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليدل على كثرة الصوم فهذا رياء اهل الدين واما اهل الدنيا فالرياء بظهور فيهم باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه

النوع الثاني

الرياء بالزي والهيئة فاما اهل الدين فرياؤهم يكون بتشعيث الشعر واطراق الراس في المشية والهدو في الحركة وابقاء اثر السجود في الوجه وغلظ الثياب ولبس المرقعات وقصر الكم كذلك يفعله تشبها بهيئة اهل الصلاح والخوف لله تعالى وهو عن كل ذلك بعيد واما اهل الدنيا فرياؤهم بالثياب النفيسة والمراكب العالية وضروب التجمل في الملبس والمسكن واثاث البيوت والالات المفضضة والذهبية والحريرية وغير ذلك

النوع الثالث

الرياء بالقول فيتصور لاهل الوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار عن الصالحين لاجل ذكرها في المجالس لاظهار الغزارة في العلم ودلالة على شدة العناية باقوال السلف الصالح وتحريك الشفتين بالذكر في محاضر الخلق فهذا رياء اهل الدين واما اهل الدنيا فرياؤهم يكون بحفظ الاشعار والامثال في التفاصح بالعبارات الرشيقة واطلاق الكلمات الفصيحة وضبط النحو والاعراب والتباهي به والتفاخر باظهاره

النوع الرابع

الرياء بالعمل فاما اهل الدين فهو الرياء باطالة القيام في الصلوة وتكثير السجود وتطويله والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون وكذلك الصوم والغزو والصدقة واطعام الطعام والاخبات وخفض الجفون واما اهل الدنيا فيكون بالتبختر في المشي وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الثياب ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة

النوع الخامس

الرياء بكثرة الاصحاب والاعوان والزائرين والمخالطين وبكثرة التلامذة ليقال ان فلانا له خدم وتلامذة وان فلانا زاره فلان ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه في قضاء حوائجهم فهذه انواع الرياء ومداخله وكلها محظورة الا ما اريد به وجه الله تعالى وخلص عن هذه الشوائب وسلم عن العوارض

التنبيه الثالث

في بيان درجات الرياء اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض في اختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه تكون على حسب اختلاف اركانه وجملتها ثلثة

الركن الاول

المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها فهذان قسمان نفصلهما بعون الله

القسم الاول

في اصولها وهو اغلظ الرياء بالعبادات واصولها وهي ثلث درجات

الدرجة الاولى

الرياء باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه التكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام

الدرجة الثانية

ان يكون مصدقا لله ولكنه يرائي بالصلوة والزكوة والصوم فهذا دون الاول فهو يصلي اذا كان في ملاء من الناس واذا خلي تركها وهكذا حال الزكوة يخرجها رياء ويصوم في ظاهر الحال واذا خلي اراد الافطار واحبه

الدرجة الثالثة ان لا يكون مرائيا بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن فانه لو تركها لم يهلك بتركها ولكنه يكسل في الخلوة ويظهرها للناس فهذا هو الرياء باصولها

القسم الثاني

الرياء باوصافها وهي على ثلث درجات الدرجة

الأولى ان يرائي بفعل اي فعل يكون في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان
يخفف من الركوع والسجود ولا يطول القراءة واذا راه الناس احسن الركوع والسجود
وترك الالتفات وتم القعود بين السجدتين الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان
في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود
ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبير وتحسين الاعتدال
وكل ذلك مفقود عند الخلوة فهذا هو الريا. الدرجة الثالثة ان يرائي
بزيادات خارجة عن نفس النوافل كحضوره المسجد قبل الناس وقصد الصف
الاول وتوجهه الى تلقاء يمين الامام وما يجري مجرى ذلك وكل ذلك مما يعلم الله انه لو
خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ولا اي وقت حضر فهذه درجات الريا بالاضافة
الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض الركن الثاني المراءى لاجله فان المرائي
مقصود لا محالة واما يرائي لادراك مال او جاه او غرض فله درجات ثلث
الدرجة الاولى وهي اشدها واغلظها ان يكون مقصوده التمكن من
معصية الله تعالى كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل
والامتناع من اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة حتى يتولى القضا والاوقاف
والوصايا ومال الايتام فياخذها ويأكلها الدرجة الثانية ان يخطط ما يباح من الدنيا
من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ
والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النسا كالذي يرغب في تزويج بنت عالم
فيظهر له العلم والزهادة والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا ريا محظور لانه
طلب بطاعة الله امرا مباحا ولكنه دون الاول الدرجة الثالثة
الا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة ان ينظر اليه
بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي
يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويظهر سكينة التؤدة ويترك العجلة كيلا يقولوا
انه من اهل اللهو لا من اهل الوقار فهذه درجات المراءى به الركن الثالث
قصد نفس الريا ودرجاته اربع الدرجة الاولى وهي اغلظها الا يكون
مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير
طهارة فهذا جرد قصده الى الريا المحض فهو ممقوت عند الله تعالى الدرجة الثانية
ان يكون قاصدا للثواب ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا
يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الريا يحمله على العمل
الدرجة الثالثة ان يكون قصد الريا وقصد الثواب متساويين
بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت

انبعثت الرغبة على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فيرجى ان يكون كفافا لا عليه
ولا له الدرجة الرابعة ان يكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا لنشاطه ولو
لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو قصد الريا وحده لما اقدم عليه فالذي نظنه والعلم
عند الله انه لا يحبط ثوابه ولكنه ينقص منه او يعاقب على قدر القصد في الريا ويثاب
على مقدار قصد الثواب التنبيه الرابع في علاج الريا وازالته
وتقويه اعلم انا قد ذكرنا ان الريا محبط للاعمال وسبب للمقت من جهة الله تعالى وانه
من كبار المهلكات وما هذا حاله فجدير بالتشمير في ازالته عن ساق الجد والمجاهدة
في علاجه وازالته تكون اما بقلع عروقه واستيصال مادته واما بقطع اسبابه
فهذان مقامان نفصلهما بعون الله تعالى المقام الاول في قلع عروقه
واستيصال اصوله وذلك يكون بالعلم والعمل فهذان نوعان النوع
الاول بالعلم وهو ان يرجع الى امور ثلثة اولها ان يكون عالما حق نفسه
بانه لا يجب الحب من جهة احد من الخلق ولا يكون له قدر عنده وثانيها ان يعلم انه
لا يجب الغرض من الكلام وثالثها ان يعلم بانقطاع نفسه عن اطماع الدنيا وعما في ايدي
الناس فهذه امور علمية قاطعة للريا عن التعلق به النوع الثاني في العمل وذا
ازالة الريا بالاعمال الباهر بالتعود لنفسه باخفا العبادات كلها واغلاق الابواب
دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش المقام الثاني في بيان
قطع اسبابه وازالة عوارضه وذلك انما يكون بان يجاهد نفسه في قلع
مغارس الريا عن قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين
واستحقار مدح الخلق وذمهم عن نفسه فلا يرى لهما في قلبه فالشيطان لا يترك مجاهدته
بل يعارضه بخطرات الريا ولا ينقطع عنه نزغاته فلا بد ان يشمر لدفع ما يعرض من
خواطر الريا وحصرها ثلثة اولها العلم باطلاع الخلق ورجا اطلاعهم على ما يفعله من
امور الطاعة وثانيها هيجان الرغبة من النفس في حب حمدهم وحصول المنزلة عندهم
وثالثها قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فلا بد لمن دفع هذه
الخواطر الثلثة واعلم انه ليس على الانسان الا ما يطيقه ولا يكلف الا وسعه من دفع هذه
الخواطر فاما دفع نزغات الشياطين وقمع الطبع عن هيجانه حتى لا يميل الى الشهوات
فليس ذلك مقدورا للانسان بحال بل يسال الله التوفيق والاعانة على البراءة من الريا في
كل الاحوال والله اعلم التنبيه الخامس في بيان ترك الطاعات
خوفا من الريا اعلم ان من الناس من يترك الطاعات خوفا من ان يكون مرائيا وذلك
غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما يترك لخوف الافات ما
نذكره وهو ان الطاعات نوعان فالنوع الاول الطاعات اللازمة للبدن

التي لا يتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصيام والحج وخطرات الرياء فيها ثلث الاولى منها حاصلة قبل العمل فيبعث في الابتداء الرؤية الناس وليس معه باعث من جهة الدين فهذا ينبغي ان يترك العمل لكونه معصية لا طاعة فانه جعل صورة الطاعة ذريعة الى طلب المنزلة الثانية ان ينبعث لاجل طاعة تعالى ولكن يعرض من الرياء مع عقد العبادة لله في اولها فلا ينبغي ان يترك العبادة لانه قد وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها الثالثة ان ينعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فما هذا الحال لا ينبغي ان يترك العمل لاجله ولكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه قهرا حتى يتم العمل

النوع الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الافات والاخطار ثم انها على مراتب ثلث نذكر ما يتعلق بكل واحد منها

المرتبة الاولى الخلافة والامارة والسلطنة والامامة قال عليه السلام يوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة فاعظم بعبادة يوازي منها يوما ستين عاما وقال الرسول صلى الله عليه اول من يدخل الجنة الامام المقسط وقال صلى الله عليه اقرب الناس مجلسا يوم القيمة امام عادل فالامامة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل اهل التقوى يحترزون منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من الخطر لانها تحرك الخواطر وتغير النفوس الباطنة الى الاستيلاء والى محبة الدنيا وفي ذلك الخطر كله وقد روي عن الرسول صلى الله عليه لا تسال الامارة فانها يوم القيمة حسرة وندامة وقال صلى الله عليه لا تسال الامارة فانك ان اعطيتها عن مسالة اعنت عليها وان اعطيتها من مسالة وكلت اليها ولعل ضعيف البصيرة يرى ما ورد في فضل الامارة مع ما ورد من النهي هنا قصنا وليس لامر كما ظنه

والمختار ان يقال ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي لهم ان يمتنعوا عن تقلد الامامة عملا والضعفاء في الدين فالله لا ينبغي لهم الدخول فيها فيهلكون ونعني بالاقوياء الذين لا تميل بهم الدنيا ولا تاخذهم في الله لومة لائم وهم الذين قهروا انفسهم وزهدوا في الدنيا ومن لم يبين هذه الصفة فيحرم عليه الدخول في الامامة وعلى هذا جميع الاحبار وسلم عن المنافسة والله اعلم

المرتبة الثانية اهل الوعظ والفتوى والتدريس وروات الاحاديث وجمع الاسنادات العالية وكل ما يتسع لاجل الجاه فلا باعث له الى ذلك الا الجاه والمنزلة عند الخلق والاكل بالدين في التفاخر والتكاثر فينبغي له الترك وبخالف الهوى الى ان يرتاض نفسه ويقوى في الدين امره ويامن على نفسه الفتنة ومن عرضه في اول الامر وجه الله تعالى وترغيب الخلق ومن في قلوبهم ونفعهم معالم الدين فينبغي ان لا يترك ذلك

المرتبة الثالثة جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار العطا استجلابا للعطاء في اذهان الناس وميل قلوب الخلق لذلك للنفوس فالافات فيه ايضا كثيرة وقد

اختلف العلماء في ذلك فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وتصدق به فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله والاخلاء والاعطاء اشتغال عن ذكر الله وهذا التردد انما هو في حق من يسلم من الافات الباطنة فالترك له افضل من الاشتغال بها وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها ابر وقد نجز غرضنا مما نريده من ذم الرياء وذكر ما يتعلق بذم الجاه وهو القسم الثاني

القسم الثاني في بيان ما يتعلق بذم الجاه والشهرة

وفيه خطر عظيم ويتعلق به مسائل بينه

التنبيه الاول في بيان ذم الجاه وذم الشهرة وقد ذكرنا من قبل ماهية الجاه وحقيقته وهو مذموم قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الى قوله وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه من اعظم لذات الحيوة الدنيا واكثر زينتها وقال صلى الله عليه حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه لعلي عليه السلم انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه بحسب امرئ من الشر الا من عصمه الله من الشر ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقد ذكر الحسن البصري تاولا حسنا لهذا الحديث لما قيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه

قال مولانا الامام بالله امير المؤمنين عليه السلام لقد اصاب فيما ذكره فان الرسول صلى الله عليه واله وسلم كانوا يشار اليهم منه بالاصابع ولكن لما كانوا ائمة الحق وهداة الى الدين وسالكين لطريق الاخرة وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر تعلم واكتم واصمت لتسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن بعض الزهاد انه كان اذا كثرت حلقته قام خيفة من الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اكثر من ثلاثة قام وترك الحلقة وروي انه مشى خلف مالك بن الحارث قوم فقال خلفه عشرة رجال فالتفت وقال ما هذه الخفق من النعال دعوا لي فتنة ووراءكم فانها

التنبيه الثاني في بيان فضيلة الخمول اعلم ان مع الخمول تركي العمل وبلغت الانسان الى صلاح امر الاخرة قال الرسول صلى الله عليه رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وفي حديث اخر رب ذي طمرين لو قال اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل متكبر جواظ وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم

حطبوا النسا لم ينكحوا اذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتحلحل في صدره لو قسم نوره
يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال الرسول صلى الله عليه ان من امتي من لو اتى احدهم يساله دينارا لم
يعطه اياه ولو ساله الدينار درهما لم يعطه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله الجنة
لاعطاها اياه ولو سال الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياها لهوانه عليه بل لكرامته عليه
وروي عن الرسول صلى الله عليه انه قال ان الله يحب الاخفيا الاتقيا الذين اذا غابوا لم
يفقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل فتنة غبرا مظلمة
وقال محمد بن سويد قحط الناس بالمدينة وكان فيهم رجل صالح لازم لمسجد رسول الله صلى
الله عليه فبينما هم في دعائهم اذ جا رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين واوجز فيهما
ثم قال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاه حتى تغشت
السما بالغيم ومطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد
اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب الطمرين حتى عرف منزله ثم بكر اليه فخرج
فقال اني اتيتك في حاجة فقال وما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسالني
ان اخصك بدعوة فقال ما الذي بلغك وما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني وسالت
الله فاعطاني وقال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس
البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في السما وتخفون في اهل
الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه ان اغبط اوليائي عندي عبد مومن
خفيف المونة خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه في
السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع فصبر على ذلك ثم نقر رسول الله
صلى الله عليه بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه لا يقال فاي شهرة اعظم
من شهرة الانبيا والايمة والخلفا الراشدين وفضلا اهل العلم والزهاد فكيف فاتهم
فضيلة الخمول لانا نقول ان المذموم انما هو طلب الشهرة ومحبتها فاما وجودها
من جهة الله تعالى من غير تكلف من العبد ولا عناية فليس بمذموم على حال فهذا ما اردنا ذكره
من فضيلة الخمول **التنبيه الثالث في بيان العلاج في دفع حب**
الجاه اعلم ان كل من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة التودد
الى الخلق مشغولا بالمراياة لهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته
عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر الى التساهل في العبادات وتمام علاجه (النفاق)
يكون من طريقين **الطريق الاول** علمي وحاصله ان يعلم السبب الذي من اجله
احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم [illegible] ان يصلح الانسان قلبه
في حب الجاه [illegible] عن نفسه بالعلم بالافات الكائنة وحصول الاخطار العظيمة
التي تنظروا الى اهل الجاهات فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذا وخائف على نفسه

ومحيرز عن ان يعمر منزله في القلوب فانما اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة
بين الاقبال والادبار والقبول والاعراض فكل ما كان مبنيا على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على الامواج
في البحر فانه لا ثبات له بحال فهذا علاج العقلية الضعيفة مما ذكرناه من معاناة هذه الاهوال
وحصول هذه التغيرات فاما من قويت بصيرته ونفذ ايمانه فانه لا يلتفت الى الدنيا ولا يعرج
على شي منها **الطريق الثاني** عملي فاما يكون العمل في اسقاط الجاه عن قلوب الخلق
بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وحاصل ذلك امران احدهما وهو الاولى
ان يعتزل عن الناس ويهاجرهم الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو فيها
مشهور لا يخلو عن حب المنزلة في الاعتزال [illegible] عن ذلك وثانيهما ان يلابس فعلا لا يليق
بمثله فعلها لتنقطع رغبة الناس في [illegible] والحضور عليه وهذه الطريقة قد اعتمدها
اقوام من الصالحين والسالكين لطريق الخمول والشغل بانفسهم حتى روي عن بعض الزهاد
انه قصده بعض الملوك ليدخل عليه فاستدعى طعاما وبقلا ولحما واخذ ياكله بشره ويعظم
اللقم ويسرع المضغ فلما راه الملك سقط من عينه وانصرف عنه فقال الحمد لله الذي صرفه
عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح جوهر لونه لون الخمر حتى يظن انه شرب الخمر فيسقط
من الاعين قدره [illegible] وربما تناولوا اشيا توهم الفواحش [illegible] والمحظورات
ليسقطوا عن اعين الخلق وهذا غير جائز لمن يقتدى به من المتلبسين واما من لا يقتدى به فلا
يجوز له الاقدام على محظور واما ما كان غير محظور فالامر فيه سهل وقد تم غرضنا من الباب
العاشر في ذم الريا والجاه وبتمامه تم الكلام على المقالة الثانية من المهلكات والله الموفق
للصواب **المقالة الثالثة في بيان الصفات المنجية وجملتها عشرة**
التوبة والصبر والمحبة والشكر والخوف والرجا والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والصدق
والاخلاص والمراقبة والمحاسبة الى غير ذلك من الاوصاف التي بحرزها تحصل النجاة والفوز (والذكر)
في الاخرة وسندرج هذه الامور كلها في عشرة ابواب ونبدا منها بباب التوبة وهي
من مهمات الدين ومما يطهر عنوانها المتطهرين **الباب الاول في بيان
التوبة** وشرح اسرارها واحكامها اعلم ان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار
العيوب والانابة الى علام الغيوب انما هي مبدا السالكين وراس مال الفائزين واول
اقدام المجتهدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفا والاجتبا للمقربين
لابينا ادم صلى الله عليه وعلى سائر الانبيا اجمعين وما اجدر الاولاد بالاقتدا بالابا والاجداد (لا قتدا)
فلا غرو ان اذنب الادمي واجترم فهي شنشنة اعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم
ولما كان للتوبة موقع من الدين هذا الموقع وجب تقديمها على سائر الصفات وتمام
المقصود منها يحصل بالكلام في اركان اربعة هي وافية بالمقصود بمعونة الله تعالى
الركن الاول في بيان معناها وماهيتها وشرح احكامها اما معناها

وها هنا ما علمته فقد تبين ان التوبة حقيقتها حاصلة في معنى واحد وهو الندم لا غير
وهذا هو المختار لانه الاصل في بيان مفهومها ومنهم من يعتبر فيها اوصافا ثلثة
اولها العلم فانه متعلق بالذنوب التي تكون حجابا بين العبد وبين وصوله الى المحبوب وهو
رضوان الله والجنة وثانيها الندم والاسف على ما فرط في جنب الله من الطاعات والتلبس
بمعصيته وثالثها القصد والعزم الى فعل يتعلق بالحال وهو ترك الذنوب وبالاستقبال وهو
العزم على ترك الذنوب في الازمنة المستقبلة وبالماضي فبالندم على ما فات والاسف عليه واعتبار
من اعتبر هذه الامور الثلثة في حقيقة التوبة انما هو على جهة الكمال والا فالاصل هو ما ذكرنا
من الندم لا غير والى هذا اشار صاحب الشريعة صلى الله عليه الى كما قلناه بقوله الندم
توبة فالعلم هو سبب في اثارة الندم والندم هو السبب في تحصيل القصد بالتدارك للماضي والترك
في الحال وفي الاستقبال بالعزم على ترك الذنوب فهذا هو معنى التوبة **واما احكامها**
فهي خمسة **الحكم الاول** في بيان فضلها ووجوبها اما فضلها فقد قال تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال صلى الله عليه افرح بتوبة احدكم وفي حديث
اخر بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه
فنام فذهبت راحلته تطلبها فلم يجدها ثم نام فاستيقظ فاذا هي عند راسه فقال من شدة
الفرح والخجل اللهم انت عبدي وانا ربك والاخبار والاثار في فضلها لا تخفى
واما وجوبها فالعقل والنقل اما العقل فظاهر في ايجابها لما تحصل فيها من دفع الضرر
العظيم وهو العقاب المستحق على مخالفة اوامر الله تعالى والملابسة لمناهيه ولا خلاص
الا بالاعتذار والمبالغة في ذلك بالندم على ما سبق والتحزن عليه والتاسف على فعله وبها
تحصل النجاة من الهلاك واما النقل فالكتاب لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي خالصة عن الشوائب واما السنة
فقوله صلى الله عليه توبوا الى الله قبل ان تموتوا والاجماع منعقد على وجوبها من جهة الامة
الحكم الثاني في بيان وجوبها على الفور واعلم ان وجوبها على جهة الفور مما
لا يستراب فيه ولا يقع فيه شك لان معرفة كون المعاصي مهلكات للنفوس امر ناجز لا محالة
والمزيل لا بد له من كونه على الفور ولان الموت متوقع في كل حالة لا يؤمن هجومه والمعاصي هي
السموم القاتلة والتوبة هي الشفاء من داء المعاصي والمزيلة لعقباها فلا بد من الاسراع بها خوفا
من حلول الموت فيحصل العطب بهلاكه كالعقاب كما ان المريض اذا كان يخشى عليه الهلاك
والزمانة ويعلم ان الدواء نافع له بلا مرية فالعقول مشيرة الى المعاجلة بالدواء بكل حال
فاذا كان هذا الاستعجال حاصلا في العقوبة المنقطعة التي لها حد وغاية فكيف حال العقوبة
السرمدية التي لا اخر لها ولا انفصال فهاهنا المعاجلة في حقها تكون اكثر والفوز اليها يكون
اسرع واكثر ويؤيد هذا قوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم والمغفرة لا تكون الا بالتوبة

والاعتذار والامر بالمسارعة الى المغفرة امر بالمسارعة الى الاستغفار وهذا هو المراد بان التوبة
على الفور **الحكم الثالث** في بيان وجوبها عام في جميع الاشخاص اعلم ان التوبة فرض
عين في حق كل شخص من الاشخاص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن
عنها ادم ابو الخلق فلا يمكن استغناء الاولاد عنها فخلقة الولد لا تتسع لاكثر مما لم تتسع خلقة
الوالد وقد دل ظاهر الكتاب على وجوبها كما قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا فالخطاب عام ونور
البصيرة والعقل يرشدان الى ذلك لان معنى التوبة هو الرجوع عن الطريق المبعدة عن الله
تعالى المقربة الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة
الغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الخلق والشهوات
جنود الشيطان والعقل جنود الملائكة واذا اجتمعا وقعت المصاولة والمقاتلة بين الجندين
اذ لا يقوم احدهما الا حرفا لانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور
والظلمة فمهما غلب احدهما ازعج الاخر واظهره واذا كانت الشهوات تكمل في حال الصبا والشباب
قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان وشغله ووقع للقلب انس
والف لا محالة بمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه وعسر عليه النزوع عنه
ثم يلوح العقل بعد ذلك الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا
فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل فقد انقاد القلب للشيطان اللعين وانجز الخبيث
موعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول شغله
قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على جهة القهر الى
العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دللت بالشهوة الى طريق
الله تعالى وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة على عقله التي هي عدة الشيطان وهي
متقدمة على غريزته التي هي عقله وهو عدة الملائكة فحصل من هذا كله ان من بلغ كافرا جاهلا
فعليه التوبة من جهله وكفره فان بلغ مسلما تابعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه
التوبة عن هذه الغفلة بتفهيم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه ما لم يسلم في
نفسه والله اعلم بالصواب **الحكم الرابع في بيان وجوبها على الدوام**
في كل حال اعلم ان كل بشر لا يخلوا من معصية بجوارحه اذ لم يخل عنها الانبياء كما ورد
في القران والاخبار من خطايا الانبياء عليهم السلام وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم ومعاصيهم فان القهم
فان خلا في بعض الحالات عن معصية الجوارح فلا يخلوا عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا
عن الهم بالقلب فلا يخلوا عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر
الله تعالى فان خلى عنه فلا يخلوا عن غفلة وتقصير في العلم بالله وصفاته وافعاله وكل
ذلك يعد تقصيرا والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا
النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه انه ليغان

على قلبي وانى لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وحكي ان لقمان انه قال لابنه اياك
والغفلة عن ربك بترك التوبة عن نفسك فان كل من ترك التوبة فانه يتعرض لخطرين عظيمين
احدهما ان تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه حتى تصير غالبة فلا تقبل المحو وثانيهما
ان يعاجله المرض والموت فلا يجد مهلة الاشتغال بالمحو والازالة له ولهذا ورد
في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف قال بعض الزهاد ان الله تعالى اسرين
الى عبده سرين احدهما اذا اخرج من بطن امه فيقول له عبدي قد اخرجتك من
بطن امك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف
تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني ه وثانيهما عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت
في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفا او ضيعتها
فتلقاني على الاضاعة فالقاك على المطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون ه

الحكم الخامس

في بيان ان التوبة عند كمالها واجبة اعلم ان المأخوذ على المكلف
الا يواقع المعصية فان واقعها ولم يتب فهو هالك لا محالة فان تاب فهل يجب على
الله قبول توبته ام لا من جهة العقل فيه تردد واكثر المتكلمين على وجوب القبول للتوبة
ومنهم من قال ان القبول لا يجب عقلا والمختار انه غير واجب وقد قررناه في الكتب الكلامية
فاما الوجوب من جهة الشرع فهو ظاهر وقد دل عليه القران والاخبار اما الايات فقوله
تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وقوله تعالى غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ه فاستغفروا ربكم انه كان غفارا الى غير ذلك من الايات
الدالة على وجوب القبول واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة احدكم
الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال رسول الله صلى الله
عليه ان الله تعالى يبسط يده بالتوبة لمسيء النهار الى الليل ولمسيء الليل الى النهار فبسط
اليد استعارة لقبول التوبة وقال صلى الله عليه لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السما
ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به
الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه حتى يكون تائبا فارا حتى
يدخل الجنة فهذا ما اردنا ذكره في بيان ماهية التوبة وما يتفرع عن احكامها وبالله التوفيق

الركن الثاني

في بيان الذنوب التي تجب التوبة عنها اعلم
ان التوبة عبارة عن ترك الذنب ومعنى الذنب هو كل ما خالف امر الله تعالى في
فعل او كف وذلك يستدعي شرح افعال التكاليف وليس من مقصودنا ولكنا نشير الى جملة
اقسام الذنوب ونجعلها على اربع مراتب **المرتبة الاولى** صفات الربوبية
ونريد بكونها ربوبية ان كل ما كان من مقتضياتها فهو ينزع الى المشاركة في الالهية

وهي نحو الكبر والفخر والجبروتية وحب الثنا والمدح والعزة والغنا وحب دوام
البقا وطلب الاستعلا على الخلق حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى فهذه الصفات
كلها تتشعب عنها كباير الذنوب التي غفل الخلق عنها ولم يعدوها ذنوبا وهي
المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي **المرتبة الثانية** الشيطانية
وهي التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمكر وفيها يدخل
الغش والنفاق والدعوة الى الامور الباطلة والمذاهب الرديه والضلالات العظيمة
ومن تكاملت هذه الصفات فهو لا محالة اعظم حبايل الشيطان **المرتبة الثالثة**
الصفات البهيمية ومنها يتشعب الشره والحرص والتكلب على قضا شهوة البطن
والفرج ومنها يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام
لاجل الشهوات لان كل من جمع هذه الصفات فهو مشبه لاخلاق البهايم كالحمار والثور
المرتبة الرابعة الصفات السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على
الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب فهذه هي
امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب عن هذه المنابع على الجوارح فبعضها
يكون في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار الخديعة للناس وبعضها على
العين والسمع بالتطلع على العورات بالغيبة والنميمة وبعضها على البطن باكل
الاموال الحرامية وبعضها على الفرج كالزنا وركوب المحرمات وبعضها على اليدين كالقتل
والظلم والسعي بين الخلق بالباطل وبعضها بالرجلين كالسعي الى كل محظور وبعضها على
جميع البدن وللذنوب تقسيمات كثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها

الركن الثالث

في بيان ما يحمل الناس على ترك الذنوب وجملة ما نشير اليه من ذلك ضروب اربعة
الضرب الاول ذكر ما في القران من الايات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك
ما ورد من الاخبار والاثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم الطابع معلق بقايمة
من قوايم العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع
فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث اخر القلب مثل الكف المفتوح كلما اذنب
ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فينسد على القلب فذلك
هو الطبع **الضرب الثاني** حكايات الانبيا والسلف الصالح وما جرى عليهم
من المصايب من اجل الذنوب فذلك شديد النفع ظاهر الوقع في قلوب الخلق
مثل ادم وحوى في عصيانهما وخروجهما من الجنة ومثل ما جرى لداود من الخطيئة
ومثل ما جرى لسليمان من ذلك الذنب الذي اذنبه فقد قيل انه سلب ملكه
اربعين يوما واخذ خاتمه ثم رد عليه الخاتم فرجع ملكه اليه يخدمه الجن
والانس والطير والوحوش كلها **الضرب الثالث** ان يقرر عندهم
تعجيل العقوبة في الدنيا انه متوقع في الدنيا على مقارفة الذنوب وان
كل ما يصيب العبد من المصايب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل
في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا لفرط جهله فينبغي ان يخوف
بان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شومها في غالب الامر وقد قال صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه **الضرب الرابع** ذكر ما ورد من العقوبات
على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والنميمة والكبر
والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع للشي في غير موضعه

قال له لا تغضب وقال آخر اوصني
فينبغي ان يذكر لكل احد ما يحتمله كما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم لما قال له رجل
اوصني فقال صل صلاة مودع الى غير ذلك من العلم بالاحوال حتى يكون الكلام
نافعاً والموعظة زاجرة **الركن الرابع** فيما ينبغي للتائب ان يبادر اليه والاشتغال بالتكفير
اذا جرا اليه بعض الذنوب اعلم ان الواجب عليه هو الندم وان تعهد النفس على العزم
بكل حسنة تضاد كل ذنب من ذنوبه كما اشرنا اليه فان لم تساعده وهو ان يدرأ
على الترك لغلبة الشهوة فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني
بالحسنة السيئة لتمحوها فالحسنات المكفرات للسيئات امور ثلاثة اولها
القلب فيتكفر بالتضرع الى الله تعالى عز وجل في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل
تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر للعباد وذلك يكون بخضوع كثير
وذل عظيم ويظهر بقلبه فعل الخيرات الى المسلمين وثانيها اللسان بالاعتراف
بالظلم والاستغفار فيقول اني عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي
وكذلك يكثر من ضروب الاستغفارات وثالثها الجوارح بالطاعات والصدقات
وانواع العبادات وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا عملت
سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية وقال
قيل صدقة السر تطفئ ذنوب الليل وصدقة الجهر تطفئ ذنوب النهار
وقد تم ما نريده من كتاب التوبة على جهة الاختصار والايجاز والله اعلم

الباب الثاني من المنجيات

الصبر والشكر وهما ركنان من اركان
الايمان كما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الايمان نصفان نصف صبر
ونصف شكر وكما وردت به الآثار وشهدت به الاخبار وذلك لان المقاصد
التكليفية متعلقها الاوامر والنواهي وهي اصول الايمان فما كان من
جهة الاوامر فهو الشكر لان هذه الطاعات جارية مجرى الشكر لله تعالى
وما كان من جهة المناهي فهو الصبر عن المشتهيات فلنجعل الكلام في شطرين

الشطر الاول

في الصبر وقبل الخوض في مقاصده نذكر ماهيته اعلم
ان الصبر عبارة عن لغة الهوى والميل عن شهوات الدنيا ويقال انه
عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وعلى هذا يكون المراد
بالصبر العمل بمقتضى اليقين لان اليقين يعرف ان المعصية ضارة والطاعة
نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو
استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فاذا عرفت هذا فلنذكر
فضيلة الصبر ثم نذكر اقسامه ثم نردفه بما يستعان به على الصبر
وهنا تنبيهات اربعة **التنبيه الاول** في بيان اقسام
الصبر وله تقسيمات ثلاثة التقسيم الاول باعتبار اليسر والعسر اما ان يكون
شاقاً على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد وما هذه
حاله يسمى تصبراً وتارة يكون متعلقه اما الطاعة مثلاً دائماً او
المعصية في الاكتفاف عنها والى ما يكون وقوع الصبر فيه من غير شدة ولا
مكابدة ويخص ذلك باسم الصبر وان ادامت التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة
من الحسنى تيسر الصبر وسهل ومثال هذا التقسيم المصارعة فان الرجل

القوي يسهل عليه الصراع للضعيف بادنى جهد ولا يحصل صراع الرجل الضعيف
الا بجهد عظيم ومشقة **التقسيم الثاني** باعتبار حكمه الى فرض ونفل
ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكروهات نفل والصبر
على الاذى المحظور محظور كمن تقطع يده او يد ولده او يقتل وهو يصبر على
ذلك فان هذا محظور والصبر المكروه هو الذي يصبر على اذى يناله بجهة
مكروهة في الشرع **التقسيم الثالث** باعتبار قوته وضعفه ويقع
على اوجه ثلاثة الاول ان يكون الصبر قاهراً لدواعي الهوى فلا يبقى للهوى
تصرف وعند هذا يقال من صبر ظفر والمختص بهذه الرتبة هم الاقلون
الناجون وثانيها ان تغلب دواعي الهوى وتسقط دواعي الدين والعقل
بالكلية ويسلم نفسه الى جند الشياطين فلا يجاهد لاياسه عن المجاهدة
وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين حصلوا في رق الشهوات
وغلبت عليهم الشقوة وثالثها ان يكون الحرب سجالاً بين الجندين فتارة
يغلب العقل وتارة يغلب الهوى وهؤلاء هم المجاهدون وهؤلاء هم الذين
خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم **التنبيه الثاني**
في بيان ما يستعان به على تحصيل الصبر اعلم ان الذي انزل الداء انزل
الدواء ووعد بالشفاء فالصبر وان كان شاقاً او متعذراً فتحصيله يكون
بمعجون العلم والعمل فهذين طريقين الطريق الاول الامور العلمية وهي
النافعة وتقريرها هو ان يعلم عظمة الله تعالى وما يستحقه من الجلال والكبريا
وان من هذه حاله فلا ينبغي مبارزته بالمعصية ويعلم ايضاً ما اعد الله
لاعدائه في الآخرة من العقوبة الابدية والعذابات السرمدية التي
ليس لها غاية ولا يكون لها انقضاء ولا نهاية فبهذا العلم يستعين
على الصبر على الانكفاف عن كل معصية **الطريق الثاني** الامور العملية
فلنضرب مثالاً يدل على سائر الامثلة وهو ان نقول اذا افتقر الى
الصبر عن شهوة الوقاع مثلاً وقد غلبت عليه واستقوى امرها بحيث
لا يملك فرجه معها وان ملك فرجه فلا يملك عينه وان ملك عينه فلا
يملك قلبه ونفسه لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوات وتصرفه ذلك
عن المواظبة على الصبر على باعث هذه الشهوة على الذكر والفكر وسائر
الاعمال الصالحة فاذا كان الامر كما قلناه فالاستعانة على الصبر على باعث
هذه الشهوة يكون بامور ثلاثة اما اولاً فبالصوم كما اشار اليه صاحب
الشريعة صلوات الله عليه بقوله ومن لم يستطع منكم الباه فعليه بالصوم
دائماً ثانياً فيترك الاسباب المهيجة للشهوة كالنظر فانه يهيج الشهوة
بتحريك القلب واما ثالثاً فبالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع

ما يحرك الدواعي ويهيج البواعث على ما ذكرناه فهذه الامور كلها مما
يستعان به على الصبر وهكذا الحال في كل علة فان اقسام العلل مختلفة
فتكون اقسام العلاج مختلفة ايضا لانه اذا اختلفت العلل اختلف
العلاج لكل شيء بما يليق به من الادوية والعلاجات

التنبيه الثالث

في بيان فضل الصبر وذلك يكون من جهات ثلاث

الجهة الاولى

الآي القرآنية وقد قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
وقال وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين الذين
صبروا وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وما من قربة الا واجرها بقدر الا الصبر وقال
ان الله مع الصابرين وقد وصف الله الصابرين باوصاف كثيرة وذكر الصبر
في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى
الصبر

الجهة الثانية

الاخبار قال صلى الله عليه وآله وسلم الصبر نصف الايمان
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن
اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار وروى جابر انه
سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال
ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة عن الايمان فقال الصبر وقال
ايضا افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وعن ابن عباس انه دخل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا
فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء
ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وقال
صلى الله عليه وآله وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين

الجهة الثالثة

الآثار قال امير المؤمنين كرم الله وجهه الايمان على اربع دعائم اليقين
والصبر والجهاد والعدل وقال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد
لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان
ونعم العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة
الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الآية وقال ابو الدرداء ذروة الايمان
الصبر للحكم والرضا بالقدر فهذا ما اردنا ذكره في فضيلة الصبر
~~الجهة الثالثة الآثار وقال امير المؤمنين~~

التنبيه الرابع

في بيان الحاجة الى
الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حالة من الحالات اعلم ان جميع

مايلقا

ما يلقا العبد في هذه الحيوة الدنيا لا يخلوا من نوعين احدهما يوافق
هواه والآخر يخالف هواه وهو محتاج الى الصبر فيهما اما النوع الاول
ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة
واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا
ومشتهياتها والعبد محتاج الى الصبر على هذه الامور فان لم يضبط نفسه
على الاسترسال والا خرج الى البطر والطغيان

النوع الثاني

ما لا يوافق هواه وذلك يكون على ثلاثة اقسام

القسم الاول

ما يرتبط باختيار العبد
وهي سائر افعاله التي تكون واقعة على قدرته واختياره وتوصف بكونها طاعة
او معصية فهذان ضربان

الضرب الاول

الطاعات والعبد محتاج الى
الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفوس بطبعها تنفر عن العبودية
وتشتهي العلو والرفعة فيحتاج في الطاعة الى اخلاص النية فيها والى فعلها
[illegible] هل الى تركها والى حراستها بعد الفراغ منها عن الرياء

الضرب الثاني

المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عن المعاصي وقد جمع الله انواع المعاصي
في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله صلى الله عليه وآله وسلم المهاجر من
هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه واشد انواع الصبر هو الصبر عن المعاصي
التي صارت مألوفة بالعادة

القسم الثاني

ما لا يرتبط باختيار العبد وله
اختيار في دفعه كما لو اوذي بقول او بفعل او باحسها وجني عليه في نفسه او ماله
فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض
الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن
على ما آذيتمونا وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا وقال ودع اذاهم وتوكل على الله

القسم الثالث

ما لا يدخل
تحت الاختيار اوله وآخره وهذا نحو المصائب مثل موت الاعزة وهلاك
الاموال وزوال الصحة بالمرض والعمى وفساد الاعضاء وعلى الجملة فسائر
انواع البلاء فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه
الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه صبر على اداء فرائض الله فله ثلاث
مائة درجة وصبر على محارم الله وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة
عند الصدمة الاولى فله تسع مائة درجة فهذا ما اردنا ذكره فيما
يتعلق بالصبر والله الموفق للصواب

الشرط الثاني من المنجيات

في ذكر الشكر واعلم انا قبل الخوض فيما نريده من اسرار الشكر وخواصه نذكر
ماهية الشكر واعلم ان الشكر لا بد فيه من مراعات امور في تمام ماهيته
اما اولا فلا بد من العلم بالنعمة والعلم بقصد المنعم لكي تكون نعمة
والعلم بصفاته التي يتم بها الانعام وتصدر من جوده واما ثانيا
فلا بد من التواضع للمنعم على نعمته والخضوع له واما ثالثا فالعمل بموجب
النعمة وهذا العمل يتعلق بالاعتراف بالقلب وبالاقرار باللسان

وبا لعمل بالجوارح فشكر العينين ان يستر كل عورة على كل مسلم وشكر الأذنين
أن تستر كل عيب تسمعه والشكر باللسان الرضا عن الله تعالى فمهما
حصلت هذه الامور الثلاثة حصل الشكر لامحالة فاذا عرفت هذه فلنذكر
فضيلة الشكر ثم نتكلم بعده بكيفية الشكر في حق الله تعالى فهذه
تنبيهات **التنبيه الاول** في فضيلة الشكر وقد قرن الله الشكر بالذكر
فقال تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر وقال تعالى فاذكروني
اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وآمنتم وقال وسنجزي الشاكرين وقال تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى
وقليل من عبادي الشكور وقد وعد الله بالمزيد مع الشكر فقال تعالى لأن شكرتم
لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم أجر الطاعم الشاكر كأجر الصائم الصابر
وروت عايشة رضي الله عنها ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم توضأ وصلى ثم سجد
وبكى حتى أذنه بلال للصلاه فقال يا رسول الله كيف تبكي وقد غفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً ولم لا أبكي
وقد أنزل الله علي ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
وهذا يدل على ان البكى لاينقطع ابدا وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله
أنه قال ينادي مناد يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب
لهم لوا فيدخلون الجنة فقيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على
كل حال وفي حديث اخر على السرا والضرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم
الحمد ردا الرحمن وقيل اوحى الله الى ايوب عليه السلام اني قد رضيت بالشكر
مكافاة من اوليائي واوحى الله في صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا
دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليتخذ
أحدكم لسانا ذاكرا او قلبا شاكرا فامر باقتنا الشكر بدلا من المال
التنبيه الثاني في كيفية الشكر لله تعالى وربما ظن ظان ان الشكر
في حق الله متعذر لوجهين احدهما ان الشكر انما يكون لما يظهر فيه
من النفع للمنعم وذلك مستحيل في حق الله تعالى لأنه يتعالى عن المنافع
وثانيهما ان جميع ما نتعاطاه من الشكر باختيارنا فانه لايتم الا بنعمة
أخرى من جهة الله تعالى فكيف يشكر نعمته بنعمته وذلك يؤدي الى تعذر
الشكر في حق الله تعالى والجواب ان مثل هذا الوهم قد خطر لداود عليه
ولموسى صلى الله عليه فقال يا رب كيف نشكرك ونحن لانشكرك الا بنعمة
ثانية من نعمك ولا نستطيع ذلك وشكرنا لك نعمة اخرى توجب علينا الشكر
فأوحى الله اليهما اذا عرفتما هذا فقد شكرتماني وفي خبر اخر اذا عرفتما
ان النعم مني فقد رضيت منكما بذلك شكرا فاما قول السايل ان الشكر

انما يكون

انما يكون لجلب النفع فجوابه ان الشكر كما يكون لجلب النفع قد يكون لأمور
غير هذه وهو اختصاصه بصفات الكمال وانه المتعالي بالصفات
الالهية واما قوله ان الشكر لايكون الا بنعمة اخرى فهذا صحيح ولكنه
لايبطل الشكر لانه انما يكون على الوجه الممكن اللايق وقد اشار الشرع الى
ذلك بقوله وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها **قاعدة نختم بها الباب**
في معرفة الافضل من الصبر والشكر وقد اختلف العلما في ذلك فقال
قايلون الصبر افضل من الشكر وقال اخرون الشكر افضل وصار صايرون
الى انهما متساويان لان كل واحد منهما مختص بمزيد فضل مثل الآخر وقال
اخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق منهم بكلام
ينصر به مقالته والمختار ههنا عندنا تفصيل نشير به يكون بالبحث
والتفصيل وهو ان الظواهر الشرعية دالة على تفضيل الصبر على الشكر فانه
قد ورد في الشكر اخبار في فضله فاذا اضيفت الاخبار الواردة في فضل الصبر
كانت فضايل الصبر اكثر بل ربما ورد نص بالتفضيل في الصبر كما روي عنه
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي
الحديث يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزا الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض
فيقال له أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول
الله تعالى كلا انعمت عليه هذه النعم فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن
لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزا الشاكرين وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقوله صلى الله عليه وآله وسلم الصبر نصف الايمان ولم يقل الشكر
نصف الايمان وكقوله الصوم نصف الصبر وفي حديث اخر آخر الانبياء
دخولا سليمن بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا عبد الرحمن بن عوف
وفي لفظ آخر يدخل سليمن الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا وفي حديث
آخر ابواب الجنة مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخل
من اهل البلا ايوب وفي هذا دلالة على فضل الصبر **الباب الثالث**
من مقالة المنجيات في الخوف والرجا **اعلم** ان الخوف والرجا جناحان
يطير بهما المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان يقطع بهما من طرق
الآخرة كل عقبة كؤود فلا سبيل الى الوصول الى قرب الرحمن وروح الجنان مع
كونه بعيد الرجا ثقيل الأعبا محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح
والأعضا الا بأزمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم المقيم
مع كونه محفوفا بلطايف الشهوات وعجايب اللذات الا بسياط التخويف
وسطوات التعنيف فلا بد من شرح حقايقهما وبيان خصايصهما وقد اشتمل
الباب على شطرين **الشطر الاول** في بيان الخوف وقبل الخوض فيما نريده
نذكر حقيقة الخوف واعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه

بسبب توقع مكروه في المستقبل فمن شغل قلبه بالخوف واشتعلت ناره
في فؤاده فانه قامع للشهوات ومكدر لكل لذة فتصير المعاصي المحبوبة
مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما
فعنده الخوف تحترق الشهوات بالخوف وتبادر الجوارح بالاعمال الصالحة
ويحصل في القلب خشوع وذلة واستكانة ويفارقه الكبر والحسد والحقد
وسائر الصفات المهلكة بل يصير مستوعب الهمة بالخوف والنظر في
خطر العاقبة فلا يتفرغ لغيره بحال ولا يكون له هم الا المراقبة والمحاسبة
والمجاهدة للنفس فاذا عرفت هذا فالمقصود يحصل بذكر تنبيهات
خمسة **التنبيه الاول** في بيان فضيلة الخوف وظهوره من جهات
اربع **الجهة الاولى** الآي القرآنية وهي جامعة لجميع فضائل الاخلاق
التي جمعها الله للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان قال تعالى هدى
ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم
بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه
وقال وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان
وكل ما دل على فضيلة العلم فهو بعينه دال على فضيلة الخوف لان الخوف
هو ثمرة العلم **الجهة الثانية** الاخبار فكقوله صلى الله عليه وسلم لا اجمع
على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم
القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم
ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع ولو انها كانت مثل راس الذباب من
خشية الله عز وجل ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال
صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع
وقالت عايشة قلت يا رسول الله يدخل الجنة من امتك احد بغير حساب قال
نعم من ذكر ذنوبه ثم بكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة احب الى الله من
قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اريقت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم
اللهم ارزقني عينين هطالتين تسقيانني بذروف الدموع قبل ان يصير
الدمع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله بظله يوم
القيمة يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه
وعن عايشة قالت قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل
الذي يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه
والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء
على الخوف لان مذمة الشي ثناء لضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن
الجهة الثالثة الاثار قال الفضيل بن عياض من خاف الله خافه كل شي

ومن لم يخف الله خوفه من كل شي وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالس
اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لان تخالط قوما يخوفونك
حتى يدركك الامن خير من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال
بعض الزهاد ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل
النار كل الناس الا رجلا لرجوت ان اكون انا ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس
الا رجلا لخشيت ان اكون انا هو ذلك الرجل وهذه عبارة عن غاية الخوف
والرجا واعتدالهما مع الغلبة والاستيلا لمثل عمر ينبغي ان يتساوى خوفه ورجاؤه
الجهة الرابعة من جهة الاعتبار وتقريره انك تعلم ان فضيلة الشي
بقدر غنايته في الافضا الى سعادة لقاء الله عز وجل اذ لا مقصود سوى السعادة
ولا سعادة للعبد الا في لقاء الله تعالى والقرب منه وكل ما اعان عليه فله فضيلة
وفضيلته بقدر غنايته وقد ذكرنا انه لا وصول الى سعادة لقاء الله عز وجل في
الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة
ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ودوام الفكر لا يحصل الا بدوام الذكر
ولا يحصل الذكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع الا بترك اللذات
والشهوات ولا تنقمع الشهوة الا بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات
ونقتصر على هذا القدر من فضل الخوف **التنبيه الثاني** في بيان
الامور المخوفة اعلم ان الخوف لا يكون متحققا الا بارتباط مكروه وجملة المكروهات
امور عشرة اولها ان يكون مكروها لذاته وهذا كخوف النار فان الله تعالى قد وعد
بها العصاة وهي الحظ المخوف في الآخرة لان سائر الاهوال في الآخرة بالاضافة
اليها قليلة ولولا ان الشرع قد ورد لاهل العذاب من الكفار والفساق بالنار
لكنا نجوز ان الله تعالى يقطع افئدتهم بالجوع ويعذبهم بفقد المشتهيات ويعظم لهم
الشهوات وثانيها المعاصي فانها مكروهة لكونها مؤدية الى المكروه وهو العذاب
في الآخرة وثالثها خوف الموت لما يلاقي فيه من المشاق العظيمة والفجايع
الهايلة ورابعها الخوف من فوات التوبة قبل الموت والخوف من نقيضها
وخامسها الخوف من الانتقاص لحق الله تعالى والوفا بعهده وميثاقه وسادسها
الخوف من قساوة القلوب وتبدلها كما قال الله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله
وسابعها الخوف من الميل عن الاستقامة عن الدين كما قال تعالى فاستقم كما امرت
واقم وجهك للدين القيم وثامنها الخوف من الاغترار بزخارف الدنيا ولذاتها
وشهواتها وتاسعها الخوف من الغفلة واطلاع الله تعالى على قبيح سريرته وعاشرها
الخوف من سوء الخاتمة عند الموت فهذه كلها مخاوف عظيمة ومهالك جسيمة
واغلب هذه المخاوف على اهل التقوى انما هو سوء الخاتمة فان الامر فيه خطر
لان الخاتمة تبع للسابقة وفرع يتفرع عنها فالخوف من المعاصي خوف
الصالحين والمؤمنين والخوف من الله تعالى لاجل اختصاصه بالصفات العالية

هو خوف الموحدين والصديقين **التنبيه الثالث** في بيان
درجات الخوف واعلم ان درجاته ثلاث فربما كان تفريطا وربما كان
افراطا وتارة يكون معتدلا فهذه درجاته **الدرجة الاولى** التفريط
وهي القاصرة وهذا هو الجاري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع
آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وهكذا الحال عند مشاهدة
امر هائل فاذا غاب ذلك السبب الهائل فان القلب يرجع فيصير الى الغفلة
والاعراض وهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع يجري مجرى العود
الضعيف الذي يضرب به الدابة القوية فانه لا يؤلمها ولا تحتفل به فلا
يكون سائقا لها الى المقصد **الدرجة الثانية** وهي المقابلة للاولى وهي
الافراط وهو مذموم وهو المفرط وهذا هو الذي يقوى ويخرج عن حد
الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مانع من العمل والغرض بالخوف
يكون حاثا على العمل وهذا نحو الضرب بالعود على الدابة الذي يؤثر في كسر
عضو من اعضائها وفي اذهاب لحمها وجلدها فانما هذه حاله فانه يبطل
الغرض لا محالة **الدرجة الثالثة** وهي المتوسطة الجارية على جهة
الاعتدال وهذا هو الخوف الذي يكون حاثا على العمل واشتعال ناره
في القلب فحاصل الامر ان الخوف ان لم يكن باعثا على العمل فوجوده كعدمه
مثل السوط الذي لا يؤثر في حث الدابة على السير وان اثر في وجود العمل وهو
فهو المحمود الحاصل على بعث الاعتدال فان زاد حتى غير الحالة فهو مذموم لعدم
به نفي الافراط فهذه درجات الخوف كما فصلناه واشرنا اليه **التنبيه
الرابع** في بيان سوء الخاتمة اعلم انها من جملة المخوفات العظيمة كما مر
بيانه اعلم ان سوء الخاتمة لها حالتان الحالة الاولى وهي اعظم من الثانية
وهي المرتبة الهائلة وهذا هو نحو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور
اهواله اما الشك في الرب واما الجحود فيكون الروح مقبوضا على هذه
الحالة فيكون ما غلب على القلب من عقيدة الجحود والشك حجابا بينه
وبين الله تعالى وهذا يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد الحالة
الثانية وهي دون الاولى وحاصلها ان يغلب على القلب عند الموت
حب امر من امور الدنيا وايثار شهوة من شهواتها ويتمثل ذلك في قلبه
ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه
في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه منكسا راسه الى الدنيا وفي ذلك
حصول الحجاب عن الله تعالى ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله
الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين عن الله تعالى فاما المؤمن السليم قلبه
عن حب الدنيا الصارف همته الى الله فان النار تناديه وتقول جز يا

مومن

مؤمن فان نورك قد اطفى لهبي فهذا هو المراد بسوء الخاتمة **التنبيه
الخامس** في بيان مراتب اهل النجاة في الخوف وهذا نحو الملائكة والانبياء
والصحابة والتابعين ومن بعدهم ونجعلها على مراتب اربع **المرتبة الاولى**
في بيان خوف الملائكة من الله تعالى اعلم ان هذا الصنف من المكونات هو اعظم
خلقا وارفع قدرا عند الله تعالى واعلاهم منزلة واجلهم مكانا ولقد وصفهم
الله تعالى بالخوف فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال
تعالى وهم من خشيته مشفقون وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال ان لله ملكا ما بين جنبيه خفقات الطير المسرع خمسمائة عام
وانه ليتضاءل حتى يصير كالعصفور من خشية الله وفي حديث آخر ان لله
ملكا ما بين شفر عينيه مسيرة مائة عام فانظر ايها المسكين لنفسك فاذا
كان هؤلاء افضل من خلق الله واكرمهم عنده واقربهم مكانا اليه وخوفهم
منه هذا الخوف الشديد فكيف حالنا يا معاشر المساكين ضعفاء الاحوال
وكثيري الذنوب والخطايا كيف لا يكون خوفنا اعظم واشفاقنا من خوف
سوء الخاتمة اتم **المرتبة الثانية** في بيان حال الانبياء في الخوف
وهم اعظم الخلق خوفا لله بعد الملائكة لان خوف الله تعالى يكون على قدر
معرفته ولا شك ان الملائكة اعلم بالله تعالى وبعدهم الانبياء وقد روي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة
يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله
وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة الحاقة فصعق ورأى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم صورة جبريل بالابطح فصعق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب
ابراهيم خليل الرحمن من مسيرة يوم خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود اربعين
يوما ساجدا حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجائع
انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق
من حر جوفه ثم انزل الله تعالى التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي
فصارت خطيئته مكتوبة في كفه فكان لا يبسط يده لطعام ولا لشراب
ولا لغيرهما الا رآها فابكته وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر
خطيئته فما يضعه على شفتيه حتى يفيض من دموعه وروي عنه صلى الله عليه وآله انه قال
ما رفع راسه الى السماء حتى مات حياء من الله تعالى وخرج داود يوما الى الناس
يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات ثلاثون الفا وما رجع الا في عشرة
آلاف وكان عيسى صلوات الله عليه يقول معاشر الحواريين خشية الله وحب
الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من النار وبحق اقول لكم
ان اكل الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل
وقيل كان الخليل اذا ذكر خطيئته يغشى عليه فياتيه جبريل فيقول له

الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول الهي اذا
ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبيا في خوفهم من الله تعالى فدونكم
التأمل لها والتفكر فيما ذهبوا وفيما اكثروا البكا وقلقوا اشد القلق واشفقوا
اعظم الشفق

المرتبة الثالثة في بيان حال الصحابة رضي الله عنهم في الخوف

من الله تعالى روي ان امير المؤمنين كرم الله وجهه قال بعد فراغه من صلاة الفجر وقد
علته كآبة وهو يقلب يديه لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله يصبحون شعثا
غبرا صفرا بين اعينهم امثال ركب المعز قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله
يراوحون بين اقدامهم وجباههم فاذا اصبحوا ذكروا الله ومادوا كما تميد الشجرة
في اليوم العاصف وهطلت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم ثم انه لم ير ضاحكا
بعد ذلك اليوم حتى ضربه ابن ملجم • وقال ابو بكر لطير ليتني مثلك يا طير ولم اخلق
بشرا • وقال عمر من خاف الله لم يشف غيظه • وقال عثمن وددت اني اذا مت لم ابعث
وقال ابو الدردا ليتني شجرة تعضد • وقال طلحة مثل ذلك • وقالت عايشة
ليتني كنت نسيا منسيا • وكان في وجه عمر خطان اسودان من الدموع •
وروي ان عمر كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القران • واخذ يوما
تبنة من الارض وقال يا ليتني كنت تبنة • وقال عمران بن الحصين وددت
اني رماد تنسفني الرياح في يوم عاصف • وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت
اني كبش فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي • وكان علي بن الحسين
اذا توضا اصفر لونه فيقال له ما هذا الذي يعتادك عند الوضو
فقال اتدرون ما هو ابين يدي من اريد ان اقوم •

المرتبة الرابعة في بيان حال التابعين والسلف الصالح في الخوف

وروى موسى بن مسعود قال كنا اذا دخلنا على سفيان الثوري كان
النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه • وقال مالك بن دينار بينا
انا اطوف بالبيت اذا انا بالجويرية المتعبدة وهي متعلقة باستار
الكعبة وهي تقول يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها
يا رب اما كان لك عقوبة دون النار فما زال ذلك مقامها حتى طلع
الفجر • وروي ان الفضيل بن عياض رؤي يوم عرفة والناس يدعون
وهو يبكي بكا الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على
لحيته ثم رفع رأسه الى السما وقال واسوأتاه منك وان غفرت • وكان
حماد اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك
جلسة الآمن وانا غير آمن لاني عصيت الله تعالى • وقال عمر بن عبد العزيز
انما جعل الله هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد لئلا يموتوا من خشية الله
تعالى • وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان امر اهلي ان
يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق العبد الآبق

الى سيده

الى سيده • وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة
فلقي آدم فيها ما لقي • ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول العبادة
لقي ما لقي • ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر
ماذا لقي • ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر من المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم
فانه لم ينتفع به اقاربه واعداؤه • فتأمل يا مسكين مع كلال قريحتك وضعف
بصيرتك وعمى عينيك في احوال هؤلاء الذين كانوا في الدرج الرفيعة والمنازل
العالية عند الله تعالى كيف اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكا فان كان لا
يؤثر في قلبك فلا عجب فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة
فنسأل الله العظيم الرحمة الواسعة والتدارك بالطافه الخفية ويكفي هذا
القدر من اسرار الخوف •

الشطر الثاني في بيان الرجا وشرح حقايقه

وقبل الخوض فيما نريده نذكر ماهيته ومعناه فنقول الرجا هو ارتياح
القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد ان يكون
له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا صادق
عليه وان كان ذلك انتظارا مع انخرامه عن اسبابه كلها فاسم الغرور
والحمق صادق عليه دون اسم الرجا وان لم تكن تلك الاسباب معلومة الوجود
ولا معلومة الانتفا فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير
سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد في وقوعه
وحصوله فلا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها لان ذلك مقطوع
به فلا يدخله الرجا والخوف فاذا تمهدت هذه القاعدة فلنذكر فضيلة الرجا
ثم نذكر الطريق اليه فهذان ايضاحان

الايضاح الاول في بيان فضيلة الرجا والترغيب فيه

روي ان الله تعالى اوحى الى يعقوب اتدري لم فرقت
بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون
فلم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له •
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بالله تعالى • وقال
صلى الله عليه وآله وسلم انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا • ودخل صلى الله عليه وآله
على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو
رحمة ربي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا
وآمنه مما يخاف • وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه لرجل اخرجه الخوف
الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من الله اعظم من ذنوبك • وقال
سفيان الثوري من اذنب ذنبا يعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجاه غفر له
ذنبه لان الله تعالى عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم

فاصبحتم من الخاسرين، وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً، وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذا رايت
المنكرات تنكره فان لقنه الله عز وجل حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس
فيقول الله عز وجل قد غفرت لك، وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين
الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله عز وجل ولم يعمل خيراً قط
فقال الله عز وجل من احق بذلك منا فعفى عنه لحسن ظنه ورجا ان يعفوا
عنه مع افلاسه من الطاعات، ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون
الى ربكم فهبط جبرئيل وقال يقول ربك لم تقنط عبادي فخرج اليهم فرجاهم وشوقهم
وفي الخبر ان الله اوحى الى داود عليه السلام ان احبني واحب من يحبني وحببني
الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر
آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل، وفي الخبر ان
رجلاً من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة
اليوم أويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها، ولنقتصر على هذا
القدر من بيان فضيلة الرجا ففيه كفاية لغرضنا

الايضاح الثاني

في بيان طريق الرجا والوصول اليه، اعلم ان الرجا مقام من مقامات
السالكين لطريق الآخرة وحال من احوال الطالبين لها ويمكن تحصيله بطرق
ثلاث **الطريق الاول** الآيات الواردة وهذه كقوله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً
وفي قراءة ابي ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم، وقال تعالى والملئكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الارض، واخبر تعالى انه اعد النار لاعدائه وانما خوف
الله بها اوليائه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله
به عباده، وقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين، وقال تعالى فانذرتكم ناراً
تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى، وقال تعالى وان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم، ويقال ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يسأل في امته
حتى قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الآية، وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم، وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى، وقال لا يرضى
محمد وواحد من امته في النار، وكان الباقر عليه السلام يقول انتم اهل العراق تقولون
ارجا آية في كتاب الله قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله الآية، ونحن نقول ان ارجا آية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى، **الطريق الثاني** الاخبار فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل

والفتن

والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل
له هذا فداؤك من النار، وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحمى من فيح جهنم وهي
حظ المؤمن من النار، وقيل في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين
آمنوا معه ان الله اوحى الى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان اجعل حساب امتك
اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذاً لا اخزيك فيهم، وروى انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سأل ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم
الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم
بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر في مساويهم لا انت ولا غيرك،
وقال صلى الله عليه وآله وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن
واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسناً حمدت الله
عليه وما رايت منها قبيحاً استغفرت الله لكم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوماً
يا كريم العفو فقال جبرئيل اتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفى عن
السيئات برحمته ثم بدلها بالحسنات بكرمه، وسمع صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يقول
اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول
الجنة فقال العلماء قد اتم الله النعمة علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال واتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً، وفي الحديث اذا اذنب العبد ذنباً فاستغفر
يقول الله عز وجل للملئكة انظروا الى عبدي اذنب ذنباً فعلم ان له رباً يغفر
الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له **الطريق الثالث** من
جهة الاعتبار فهو يكون بالتأمل لجميع اصناف النعم التي اجراها الله تعالى
على الخلق بالاضافة الى انفسهم وبالاضافة الى ما خلق لهم حتى اذا علم
لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمته التي راعاها في فطرة
الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما كان ضروري الوجود في دوام وجود الانسان
كالحيوة والغذا وما هو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينة كتقوس
الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما لا ينثلم
بعدمه غرض مقصود وانما يفوت به مزية الكمال، فالعناية الالهية اذا
لم تكن قاصرة عن عباده في امثال هذه الدقائق فكيف يرضى بسياقهم الى الهلاك
الابدي والعذاب السرمدي بل اذا نظر الانسان نظراً شافياً علم ان كثرة الخلق
قد هيئ لهم اسباب السعادة في الدنيا فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا هو
الغالب السلامة والخير فالغالب ان امر الآخرة هكذا يكون لا محالة لان مدبرهما
واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم، فهذا اذا تؤمل حق
التأمل من اقوى اسباب الرجا لما يظهر من العناية بالخلق والرحمة واللطف،
وقد تم الكلام فيما نريده من الرجا والخوف برحمة الله وحسن توفيقه

الباب الرابع من مقالة المنجيات في الفقر والزهد. اعلم ان الدنيا حبها رأس كل خطيئة كما تقدم شرحه والبغض لها والزهد هو رأس كل النجاة فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا. ولكن مفارقتها اما تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا. واما ان تكون بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا. ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة الأخروية وحظ على الاعانة على الفوز والنجاة وتمام المقصود يحصل بذكر قسمين فيهما ما نريده من ذلك.

القسم الاول من الباب في ذكر الفقر وبيان اسراره وقبل الخوض في ذلك نذكر ماهية الفقر. واعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه. اما فقد ما لا حاجة اليه فانه لا يسمى فقرا. ولهذا فان فقد المسك والعنبر في حق اهل الفلاحة لا يسمى فقرا لما كانوا غير محتاجين اليه. وهم اذا فقدوا القوت والكسوة فهم فقراء الى ذلك. واذا فهمت ذلك لم يقع شك عليك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في كل احواله وليس وجوده مستفادا الا من فضل الله تعالى وجوده. وان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا من جهة واحد غيره فهو الغني المطلق. ولا يتصور ان يكون مثل هذا الوجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليتميز وجودهم بالدوام والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء. ولسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا فقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته غير منحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليها بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه. فهذه هي ماهية الفقر. فاذا تمهدت هذه القاعدة فلنذكر اختلاف احوال الفقر. ثم نردفه بذكر فضيلة الفقر. ثم نذكر آداب الفقير في فقره. ثم نذكر تحريم السؤال. فهذه بيانات اربعة.

البيان الاول في بيان اختلاف احوال الفقر. فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المال محتاجا اليه في حقه. ثم يتصور ان يكون له احوال ستة.

الحالة الاولى الرتبة العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال كرهه وتأذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومتحرزا من شغله وشره. وهذا هو الزهد واسم صاحبه يكون زاهدا لا محالة فصار الزهد درجة كمال الابرار. وصاحب هذه الحالة لا يبعد من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا لان حسنات الابرار سيئات المقربين. وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا وكراهتها كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يصير البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد. وليس حاصلا في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره. وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره فاقطع العلائق تكون فارغا لعبادته.

الحالة الثانية ان يكون بحيث لا يرغب في المال

رغبة

رغبة يفرح بوصوله ولا يكرهه كراهية يتأذى به ويزهد فيه لو اتاه. وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا لانه غير كاره له.

الحالة الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به. وصاحب هذه الحالة يسمى قانعا لانه قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة.

الحالة الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد اليه سبيلا ولو بالتعب العظيم لطلبه او هو مشغول بالطلب. وصاحب هذه الحالة يسمى بالحريص.

الحالة الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية. وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة. فهذه احوال خمسة اعلاها الزهد.

الحالة السادسة وهي اعلا من الزهد وهو ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتأذ وان فقده فهو كذلك فمن هذه حاله وان كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنها لم يضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره. وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة بالمستغني لانه غني عن فقد المال وعن وجوده. فهذا ما اردنا ذكره من هذه الاحوال.

البيان الثاني في ذكر فضيلة الفقر مطلقا وظهوره يكون من جهات ثلاث.

الجهة الاولى الآيات الدالة على فضله كقوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم. وقال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض. ساق الكلام في معرض المدح. ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار مبالغة وتأكيدا في فضل الفقر وفيه دلالات ظاهرة على فضيلة الفقر.

الجهة الثانية الاخبار وهي كثيرة. قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه يوما اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله. فقال نعم الرجل هذا وليس به. قالوا فمن خير الناس يا رسول الله فقال فقير يعطي جهده. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا. وقال صلى الله عليه وآله ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال. وفي حديث يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة عام. وفي خبر آخر باربعين خريفا اي اربعين سنة. وقال صلى الله عليه وآله وسلم خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها. وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما

فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد، وروي ان جبريل نزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله يقرئك السلام ويقول
أتحب ان يجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث كنت فأطرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له، فقال له جبريل ثبتك الله بالقول
الثابت، وعن ابي رافع انه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد
عنده ما يصلحه فأرسلني الى رجل من يهود خيبر، وقال له قل محمد يقول لك أسلفني
أو بعني دقيقا الى هلال رجب فقال لا والله الا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لأمين في السماء وفي الارض ولو باعني او
أسلفني لأديت اليه اذهب بدرعي هذه اليه فارهنها فلما خرجت نزلت هذه
الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم تعزية له عن الدنيا وقال صلى الله
عليه وسلم الفقر أزين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس، وفي حديث آخر ما العذار
المذهب في خد الفرس بأحسن من الفقر في حال المؤمن، وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح
آمنا في سربه معافى في جسده معه قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها،
وقال كعب الأحبار قال الله لموسى يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا
بشعار الصالحين **الجهة الثالثة** الآثار فعقب قال ابو الدرداء ذو الدرهمين
أشد حبسا او قال أشد حسابا من ذي الدرهم، وارسل عمر الى سعيد بن عامر بألف
دينار فجاء الى امرأته كئيبا حزينا فقالت امرأته أحدث أمر؟ قال أشد من ذلك
ثم قال أريني درعك الخلق فشقه ثم جعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى
الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتي الجنة
قبل الأغنياء بخمس مائة عام حتى ان الرجل من الأغنياء ليدخل في غمارهم فيؤخذ
بيده فيخرج، وقال ابو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان
يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب له على مستوقد قدران
ورجل دعى بشراب فلا يقال له ايها تريد، وقيل جاء رجل فقير الى مجلس الثوري
فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الأغنياء من أصحابه يودون انهم
فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الأغنياء، وقال بعضهم ما رأيت الغني
أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري، وقال بعض
الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب
في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه
في الظاهر لسعد في الدارين جميعا، وقال ابن عباس رضي الله عنه ملعون ملعون
من أكرم بالغنى وأهان بالفقر، وقال لقمان لابنه لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه

فان ربك

فان ربك وربه واحد، وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة الاف درهم فأبى عليه

فطلب عليه الرجل فقال ابراهيم تريد ان امحو اسمي عن ديوان الفقراء بعشرة الاف لا افعل ابدا

البيان الثالث

في ذكر آداب الفقير في فقره وجملتها آداب اربعة

الأدب الأول يختص الباطن فينبغي ان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه
الله به من الفقر يعني ان لا يكون كارها لفعل الحجام ولا كارها له في نفسه بل راضيا
يتعلق منه على ذلك وصنيعه، ويؤيد ذلك ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم
انه قال يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا
فلا وأرفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل راضيا به وارفع منه ان يكون
طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله تعالى
واثقا في معتقده ضرورته انه آتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف،

فعل الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر وهذا كالمحجوم فانه يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها لفعله

الأدب الثاني ان يظهر من جهته التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر
بل يستر فقره ويستر انه يستر فقره، وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال، وقال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف
وقال سفيان أفضل الأعمال التجمل عند المحنة، وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز
البر، وقال امير المؤمنين كرم الله وجهه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر
فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو
حاله ويشكر الله على فقره، ومن علاماته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي
ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء، وهذا يدل على ان كل فقر فليس بمحمود بل
المحمود الذي لا يتسخط او يرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من
الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة أثلاث شغل وهم وطول حساب

الأدب الثالث في أعماله وهي ان لا يتواضع لغني لأجل غناه بل يتكبر عليه، قال امير المؤمنين
كرم الله وجهه ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله وأحسن منه تيه
الفقير على الغني ثقة بالله فهذه رتبة عالية وأقل منها ان لا يخالط الأغنياء
ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادي الطمع، قال الثوري اذا خالط الفقير
الأغنياء فاعلم انه مرائي واذا خالط السلطان فاعلم انه لص، وقال بعض
العارفين اذا خالط الفقير الأغنياء انحلت عروته، فاذا طمع فيهم انقطعت
عصمته، فاذا سكن اليهم ضل، فينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء
وطمعا في العطاء منهم **الأدب الرابع** في أفعاله فان الفقير لا يفتر بسبب
الفقر عن عبادته ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله
أفضل من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى وروى زيد بن أسلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك

يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما بطيبة من نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف ° وينبغي الا يدخر الا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي فهذه هي آداب الفقير في فقره °

البيان الرابع في ذكر خطر السؤال من غير ضرورة

اعلم ان النهي وارد في السؤال وتشديدات كثيرة وورد ما يدل على الرخصة كقوله صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاء على ظهر فرس ° وفي حديث لا تردوا السائل ولو بظلف محرق ° ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المتعدي على عدوانه ° ولا شك ان الاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه ان نقول ان السؤال محرم في الاصل وانما يباح لضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنه بد فهو حرام ° وانما قلنا ان الاصل هو المنع والتحريم لانه لا ينفك من امور ثلاثة ° اولها اظهار الشكوى من الله تعالى لان السؤال اظهار للفقر واظهار القصور نعمة الله تعالى وهو عين الشكوى فكما ان العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذلك سؤال العباد فيه تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما تحل الميتة ° وثانيها ان فيه اذلالا للسائل نفسه لغير الله وليس للمؤمن ان يذل نفسه بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العز كله ° فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال اذلال للسائل بالاضافة الى المسؤول ° وثالثها انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلب فان بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ ° وان منع ربما استحيا وتأذى بالمنع في نفسه اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ° ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في هذا الايذاء ° والايذاء حرام الا للضرورة ° واذا فهمت هذه الامور الثلاث فهمت قول الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها ° فانظر كيف سماها فاحشة ° ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها ° وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ° ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ما فيه لحم ° وقال صلى الله عليه وسلم المسألة كدوح وخدوش ° وقال صلى الله عليه وسلم من سأل وله ما يكفيه فانما يستكثر من جمر جهنم ° وفي حديث آخر وما الذي يكفيه مرة قال يغديه ويعشيه ومرة قال خمسون درهما ° فهذه الالفاظ

كلها مزعجة

كلها مزعجة في التحريم والتشديد ° وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة والا يسألوا الناس شيئا ° وكان يأمر كثيرا بالتعفف ويقول من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ° قال ومن لم يسألنا فهو احب الينا ° وقال استغنوا عن الناس ° وما قل عن السؤال فهو خير ° قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني ° وسمع عمر سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ° ثم سمعه ثانيا يسأل فقال الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته ° فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال له لا تعد ° ولولا ان سؤاله حراما ما ضربه ولا اخذ مخلاته °

فائدة اعلم ان الادخار له ثلاث درجات ° الاولى منها وهي افضلها درجة الصديقين وهي الا يدخر الا ليوم وليلة من غير زيادة ° الثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد على ذلك داخل في طول الامل وهذه هي درجة المتقين وقد نبه الله على ذلك بمواعدة موسى اربعين ليلة ففيه رخصة ° الثالثة ان يدخر لسنته وهي اقصى المراتب وهي مرتبة الصالحين ° ومن زاد على ذلك فانما هو على جهة الرخصة لاغراض تخالف الورع والحزم

القسم الثاني في الزهد

اعلم ان الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه او مثله او دونه شرعا وصنعة وبيع وغيرهما فانما عدل عن شيء الى ما هو لرغبته عنه وانما عدل اليه لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فالزهد لا محالة يستدعي مرغوبا عنه ومرغوبا فيه فكل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الآخرة الا ان العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بكل من زهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بكل من مال الى الباطل من الاعتقادات وان كان هو الميل في وضع اللسان ° فحصل من مجموع ما ذكرناه ان الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الآخرة ومن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة العليا ولهذا قيل

لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا
راغمة فتركها واما انا ففيماذا ازهد، فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة
الزهد ثم نذكر درجات الزهد ثم نردفه بذكر علامات الزهد، وفيه
ايضاحات كلائد، **الايضاح الاول** في بيان فضيلة الزهد وتظهر
من ثلاث جهات **الجهة الاولى** الآي القرآنية قال الله تعالى فخرج على
قومه في زينته الى قوله ثواب الله خير، نسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم
وهو غاية الثناء، وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير
على الزهد في الدنيا، وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم
احسن عملا، قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه احسن الاعمال،
وقال من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الاخرة من نصيب، وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا، وقال تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة
فيه وصف الكفار، فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو
ان يستحب الآخرة على الدنيا **الجهة الثانية** الاخبار فيما ورد فيها من
من ذم الدنيا كثير، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله
عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا
ما كتب له، ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل
غناه في قلبه فاتته الدنيا وهي راغمة، وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم
العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة، وقد
قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا، ولهذا قيل من زهد في الدنيا
اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه وانطق بها لسانه، وعن بعض
الصحابة رضي الله عنهم قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير، قال كل مخموم القلب
صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا
غل فيه ولا غش ولا غل ولا حسد ولا بخل فقلنا يا رسول الله فمن على اثره، قال الذي
يشنا الدنيا ويحب الآخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال ان
اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد في الدنيا سببا للمحبة فمن
احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد اعلى المقامات عند الله
تعالى ومفهومه ان محب الدنيا متعرض لبغض الله، وفي خبر من طريق
اهل البيت عليهم السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم الزهد والورع يجولان
في القلب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحيا اقاما فيه والا
ارتحلا، ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا مؤمن حقا قال وما

قال

ربي صرفت

قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها
وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله
عليه وآله عرفت فالزم عبد نور الايمان قلبه، ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله
عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
قيل ما هذا الشرح، قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح
قيل يا رسول الله فهل لذلك من علامة، قال نعم التجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب للموت
قبل نزوله، فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار
الغرور، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استحيوا من الله حق الحيا
قالوا انا نستحيي، قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون
فبين ان ذلك ينافي الحيا من الله عز وجل، وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه
وعرفه داء الدنيا ودواها واخرجه منها سالما الى دار السلام والله اعلم
بالصواب **الجهة الثالثة** الآثار، قال بعض الصحابة رضي الله عنهم
تابعت الاعمال كلها فلم ار في الآخرة وامرها ابلغ من زهد الدنيا، وقال
بعض الصحابة لبعض التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا
من اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وهم كانوا خيرا منكم، قيل ولم ذلك قال
كانوا ازهد منكم في الدنيا، وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة
القلب والجسد، وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا عند الله ان الله عز وجل
يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها، وقال رجل لسفيان الثوري
اشتهي ان ارى عالما زاهدا، فقال ويحك تلك ضالة لا توجد،
وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب، فاذا صار اهل الجنة
اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخل الجنة احد قبل
الزاهدين في الدنيا، والعاشقين للجنة، وقال يوسف بن اسباط اني
اشتهي من الله ثلاث خصال، ان اموت حين اموت وليس في ملكي
درهم، ولا دين، ولا على عظمي لحم، فاعطي ذلك كله

ولا يكون علي درهم

الايضاح الثاني في بيان علامات الزهد اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد
وليس الامر كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من
احب الثنا والمدح فكم من الرهبان ردوا انفسهم كل يوم الى
قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما سرورهم

معرفة الناس بحالهم ونظرهم اليهم ومدحهم لهم فذلك لا يدل على الزهد
دلالة قاطعة بل لابد للزاهد من ترك المال والجاه حتى يكمل الزهد في جميع
حظوظ النفس في الدنيا ولهذا انه قد ادعى جماعة الزهد ولبسوا
الاصواف الفاخرة والاثواب الرفيعة كما قال بعض الزهاد في وصف
المدعين للزهد حيث قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس
يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم وهم اكلة الدنيا
بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم
فظهرت عليهم صفاتهم بل ينبغي ان يعول في الزهد على ثلاث علامات
العلامة الاولى الا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال
تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغي ان يكون
بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده فهذه
علامة الزهد في المال **العلامة الثانية** ان يستوي عنده
مادحه وذامه وهذه العلامة امارة للزهد في الجاه ولهذا قال
بعض الزهاد من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين
ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد
لابد له من احراز احد المقامين ليكون زاهدا **العلامة
الثالثة** ان يكون انسه بالله والغالب على قلبه حلاوة
الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما
محبة الله تعالى وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فاذا دخل الماء
خرج الهواء وهما لا يجتمعان ابدا وكل من انس بالله اشتغل به ولم
يشتغل بغيره ولهذا قيل لبعضهم الى ماذا افضى بالزهاد الزهد
قال الى الانس بالله فتحصل من مجموع ما ذكرناه ان علامة الزهد استواء
الغنى والفقر والعز والذل والمدح والذم لاجل الانس بالله تعالى
ولنورد على اثر هذه العلامات اقاويل الزهاد في
علامات الزهد **القول الاول** ان تترك الدنيا ولا تبالي من اخذها
القول الثاني ان علامة الزهد السخا بالموجود **القول الثالث**
ان تترك الدنيا لاهلها كما هي من غير تغيير بزيادة ولا انتقاص
فلا تقول ابني مسجدا ولا احدث رباطا **القول الرابع**
علامة الزهد عزوف النفس عن الدنيا من غير تكلف **القول
الخامس** الزهد علامته قصر الامل **القول السادس**

امارة الزهد امور ثلاثة عمل بلا رياء وقول بلا طمع وعز
بلا رياسة **القول السابع** جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه
حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد وقال
بعضهم الدنيا كالعروس والذي يطلبها مثل الماشطة لها
والزاهد فيها يدنس وجهها وينتف شعرها ويخرق اثوابها
فنسأل الله تعالى ان يرزقنا من مبادي الزهد نصيبا وان قل فان
امثالنا لا تتجرى على الوصول الى غاياته فان رجانا في الله غير
منقطع واذا لاحظنا عجايب نعم الله تعالى علينا وهو اصل كرمه
لدينا فلا يبعد ان نعظم عليه السؤال اعتمادا منا على ما تحقق
من الجود المجاوز لكل كمال **الايضاح الثالث** في بيان
درجات الزهد اعلم ان الزهد منقسم الى ما يكون بالاضافة
اليه في نفسه والى ما يكون بالاضافة الى المرغوب عنه والى
ما يكون بالاضافة الى المرغوب فيه فهذه انواع ثلاثة نذكر
ما يختص بكل واحد منها بمعونة الله تعالى **النوع الاول** بالاضافة
اليه في نفسه وله درجات ثلاث **الدرجة الاولى** منها ان يزهد
في الدنيا وهو في غاية الشهوة لها وقلبه اليها مائل ونفسه
الى لذاتها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها ويستعين بالله تعالى
على دفعها من هذه حالة فانه يسمى متزهدا لا زاهدا وهو
مبدأ الزهد في حق من يريد الوصول الى درجة الزهد فالزاهد
يذيب نفسه اولا في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه لانه قد ينثني
عن الرجوع اليه والمتزهد هو الذي يذيب نفسه على الصبر
على ما فارقه ولا يأمن العود اليه **الدرجة الثانية** الذي
يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما هو طامع
فيه كالذي يترك درهما لاجل حصول درهمين فانه لا يشق عليه ذلك
وان كان لا يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة
زهده ويلتفت اليه كما يرى البايع المبيع ويعجب بزهده
وينظر بنفسه انه يترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه
وهذا ايضا نقصان **الدرجة الثالثة** ان يزهد طوعا
ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى في نفسه انه ترك شيئا
اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة
او درة فلا يرى ذلك حاصلا على نعت المعاوضة ولا يرى نفسه

تاركا شيئًا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى والى نعيم الاخره انزل خطرًا
واخسّ من خنفسا بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد
ومثل هذا الزاهد آمن خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخنفسا
آمن من طلب الاقالة في البيع **النوع الثاني** بالاضافة الى
المرغوب فيه وهو ايضا على درجات ثلاث **الدرجة الاولى**
وهي السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر الآلام
نحو عذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر المرور على الصراط وسائر
~~مالو وردت مائه بعير عطاشا~~ ما بين يدي العبد من الاهوال الاخرويه
مما ورد في الاخبار ان الرجل ليوقف في الحساب مالو وردت مائه بعير
عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين **الدرجة
الثانية** ان يزهد في الدنيا رغبة في ثواب الله ونعيمه وتحصيل
اللذات الموعوده في جنته من الحور والقصور وغيره وهذا هو زهد
الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا الا من اجل وجود دائم على نعيم قائم
لا آخر له **الدرجة الثالثة** وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا
في الله عز وجل ولقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص
منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهمة
بالله تعالى وهذا هو زهد المحبين العارفين لانه لا يحب الله خاصة
الا من عرفه **النوع الثالث** بالاضافة الى المرغوب عنه واعلم
ان كل ما يرغب عنه من شهوات الدنيا ولذاتها فهو خارج عن الحصر
وقد حصره الله تعالى في كتابه الكريم وجعله على مراتب اربع **المرتبة
الاولى** جعلها سبعة في آية واحدة فقال زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا
المرتبة الثانية ان الله تعالى ردها في آية اخرى الى
خمسة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد **المرتبة الثالثة** ان الله تعالى
ردها في آية اخرى الى امرين وقال تعالى وما الحيوة الدنيا الا لهو ولعب
المرتبة الرابعة ان الله تعالى رده في موضع اخر الى واحد فقال
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون
الزهد حاصلا فيه فهذا كله اشارة الى الزهد في المرغوب عنه على جهة
الاجمال **واما الاشاره** اليه على جهة التفصيل فاعلم انه ينقسم

فيه

فيه الناس ينقسم الى ما يكون فضولا والى المهم فاما الفضول فنحو
الخيل المسومة فهذا من الفضلات التي يستغني عنها اكثر الخلق
واما المهم فنحو اصناف خمسة المطعم والملبس والمسكن والمنكح
والمال **الصنف الاول** المطعم فاما جنسه فاقله الخبز من
النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر من غير نخيل
فاما اذا نخل فهو من الترفه واما مقداره فاقله في اليوم والليلة
نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واما الادام فاقله
البقل او الخل او الملح واوسطه الزيت وسائر الادهان واعلاه اللحم
واما وقته فاقله في اليوم والليلة اكلة واوسطه الغداء او العشاء
اكلتان واعلاه ان يطوي ثلاثة ايام على خبز الامكان **الصنف
الثاني** الملبس فالزهد فيه ادناه كساء غليظ يستر العورة واوسطه
قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه قميص وسراويل وملحفة وما زاد
على هذا فليس من الزهد في شي **الصنف الثالث**
المسكن فاعلاه الا يطلب موضعا يقعد فيه ويكفيه ن والمساجد
والخانكات كاصحاب الصفة واوسطه ان يطلب لنفسه موضعا
خاصا من سعف او خوص وادناه ان يتخذ حجره مبنيه وما
زاد على ذلك فليس من الزهد في شي **الصنف الرابع** النكاح
فان كانت شاغلة اعني المراه عن ذكر الله تعالى فتركها يكون زهدا
وان كانت غير شاغلة فالنكاح لا بأس به للزاهد لما فيه من
قطع النظر وازالة الشبق وميل القلب ولقد كان رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم سيد الزهاد وكان له تسع نسوة وامير المومنين
كان ازهد الصحابه فمات عن اربع نسوه وبضع عشره سريه
الصنف الخامس اثاث البيت فالزهد فيها فاقلها الا
يستعمل الآلة لانه عنده ويكن من الخزف ولا يبالي كيف كان
مكسورا او مثلوما اذا كان فيه قضاء الحاجه ويكون الاناء مما
يصلح لحوايج كثيره يستغني به عن غيره واوسطها ان يكون له اثاث
بقدر الحاجه صحيح في نفسه واعلاها ان يكون له آلة بقدر كل
حاجه من النازل الخفيف في المحل القليل في القيمه ليكون جائزا
لفضل الزهد فلينظر الى سيره رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وسيرة الصحابة
بعده ولقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ينام على حبال السرير
ما فوقه شي حتى يؤثر الحبال في جسمه الشريف وكانت له وساده
من ادم حشوها الليف فهذا ما اوردنا ذكره من اسرار الزهد وشرح احكامه

على جهة الإيجاز والاختصار **الباب الخامس** من مقالة
المنجيات في المراقبة والمحاسبة وهما حالان من أحوال المقربين
ومنزلتان من منازل المتقين وقد قال تعالى ونضع الموازين القسط
ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وقال يوم يبعثهم الله جميعا
فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه وقال تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال يوم تجد كل
نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها
وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال واعلموا ان الله
يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا فلنذكر المراقبة ثم نردفها
بالمحاسبة فهذان مقامان **المقام الاول** في المراقبة
اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمة
اليه فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال انه يراقبه
ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب تثمرها المعرفة بالله تعالى
وتلك الحالة تثمر أعمالا في الجوارح بالطاعة والانكفاف عن المعصية
فحاصل معنى المراقبة اشتغال القلوب بالله تعالى وانه مطلع
على السرائر عالم بالضمائر محيط بحقائق الاعمال فالى هذا ترجع
حقيقة المراقبة ومعناها فاذا عرفت هذا فلنذكر فضل المراقبة
ثم نذكر درجتها وكيفيتها فهذه تنبيهات ثلاثة
التنبيه الاول في بيان فضلها وقد قال تعالى أفمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت وقال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى وقال تعالى ان
الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال تعالى يعلم خائنة الأعين وما
تخفي الصدور وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اعبد الله كأنك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل يوصيه
اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان يكن رشدا فامضه وان
كان غيا فانته وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان
تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وكتب عمر الى بعض عماله حاسب
نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لقمان ان المؤمن يبصر العاقبة
فأمن الندامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها
وتمنى على الله ودان نفسه أي حاسبها ويوم الدين هو يوم الحساب

وقوله تعالى أإنا لمدينون أي محاسبون وسئل ذو النون بم ينال
العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد
ليس معه سهو ومراقبة الله في السر والعلانية وانتظار الموت
بالتأهب له ومحاسبة النفس قبل ان تحاسب وقال بعض الحكماء
لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده
حيث كان وسئل بعضهم عن قول الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب الله وحاسب نفسه
وتزود لمعاده وقال بعض الزهاد لمن يعظه لئن كنت عصيت الله
خاليا فظننت انه يراك فقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن
انه لا يراك فقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا
تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن
يملك المعاقبة ويحكى ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظواهر
وانا رقيب على البواطن كلها والله اعلم **التنبيه الثاني**
في بيان درجاتها وهي منقسمة بالاضافة الى أهلها الى درجات ثلاث
الدرجة الاولى درجة المقربين من أهل الصدق وهي مراقبة التعظيم
والاجلال لخالقهم وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال
الأكبر ومنكسرا تحت الهيبة والكبرياء فلا يبقى هناك متسع الى غيره
وهذه مراقبة عظيمة لا ينتقل بها الا الآحاد والأفراد فانها مقصورة
على القلوب اما الجوارح فانها تتعطل عن الالتفات الى المباحات
فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالآلات المستعمل
بها فلا تحتاج الى تدبير في حفظها على سنن السداد فاذا صار القلب
مستغرقا بالعبودية صارت الجوارح جارية على جهة الطاعة والانقياد
الدرجة الثانية مراقبة الصديقين وهؤلاء هم الذين غلب عليهم
يقين الاطلاع من الله تعالى على بواطنهم وظواهرهم ولكن لم تدهشهم
ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للالتفات
الى الاحوال والأعمال الا انها لا تخلو مع ممارسة الاعمال عن المراقبة
فلانهم قد غلبهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت
ويمتنعون عما يفتضح فيه في القيامة عند الله تعالى **الدرجة الثالثة**
مراقبة اهل الصلاح وهؤلاء لا يخلون نفوسهم عن المراقبة لكنها تكون
تارة بعد تارة ووقتا بعد وقت فالأغلب على احوالهم ملابسة
الاعمال الظاهرة لكنهم لا يخلون قلوبهم عن الالتفات الى الله تعالى
والمراقبة له فهكذا تختلف مراتب الخلق في مراقبة الله تعالى ومن كان

في هذه الحالة فانه محتاج الى مراقبة الله تعالى في جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته

التنبيه الثالث في كيفية المراقبة

فتارة يكون قبل العمل وتارة في حال العمل فهاتان حالتان

الحالة الاولى

ما يكون قبل العمل فلينظر العاقل ما ظهر له وتحرك من اجله خاطره ووقع في نفسه أهو لله تعالى خاصة او هو في هوى متابعة للنفس وموافقة للشيطان فان كان لله تعالى امضاه وعاجل في فعله وان كان لغير الله استحيا من الله تعالى وانكف عنه ولام نفسه على رغبته فيه وهمه له وميله اليه، وعرف نفسه سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها وهذا انما يكون في بداية الامر، وفي الحديث انه ينشر للعبد في كل حركة ثلاثة دواوين، فالديوان الاول لم، والثاني كيف، والثالث لمن، فقوله لم، اراد ما الداعي لك الى فعله، وقوله كيف، اراد هل بعلم او جهل، وقوله لمن، اراد لله او لغيره، وهو سؤال الاخلاص،

(او هو في متابعة هوى النفس)

الحالة الثانية

ما يكون في حال العمل، وذلك يكون بتفقد احوال العمل، ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه واكمال صورته، وخلوص القصد حتى يكون مرضيا لله تعالى في كل احواله فان افعال العبد لا يخلو حالها اما ان يكون طاعة او معصية او مباحة، فان كان في معصية راقب الله في الانكفاف عنها، وان كان في طاعة راقب الله تعالى في الاخلاص والاكمال لها، وان كان مباحا فمراقبته بمراعات الادب، وتأدية الشكر لله تعالى،

المقام الثاني في المحاسبة

اعلم ان المحاسبة هي مطالعة القلب واعمال اللسان واعمال الجوارح، فلو رمى العبد في كل معصية يجدها حجرا في داره في مدة قريبة من عمره لامتلأت الدار ولكنه تساهل في حفظ ذلك والملكان يحفظانه، كما قال تعالى احصاه الله ونسوه، وحكي عن بعض الحكماء المراقبين لاحوالهم انه حسب عمره فاذا هو ابن ستين سنة وقال يا ويلتاه ألقى الله تعالى باحدى وعشرين الف ذنب، كيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب، ثم غشي عليه فاذا هو ميت فسمعوا هاتفا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى، فهكذا يكون محاسبة اهل الحزم لانفسهم، فاذا عرفت هذا، فلنذكر فضل المحاسبة، ثم نذكر معاقبة النفس على تقصيرها ثم نذكر توبيخ النفس وعتابها فهذه ايضاحات ثلاثة نفصلها بمعونة الله تعالى

(فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وستمائة يوم)

الايضاح الاول في بيان فضيلة المحاسبة

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، فهذه

اشاره

اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال، وقال تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله، قال الامام المؤيد بالله امير المؤمنين عليلم، واخوات هذه الآية اعظم آية في المؤاخذة، ولما نزلت الآية بكى عبد الله بن عمر، فقال له ابن عباس يرحم الله ابا عبد الرحمن، ان الله تعالى يقول لا يكلف الله نفسا الا وسعها، وفي الخبر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ينبغي ان يكون للعبد ثلاث ساعات، ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو بأهله، وساعة يلهو بقوسه وفرسه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم اني لأتوب الى الله في اليوم مائة مرة، وانما تكون التوبة لاجل محاسبة النفس على الذنوب، وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون، وعن عمر انه كان يضرب قدميه بالدرة ويقول ماذا عملت اليوم، وعن بعض الزهاد انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه، والشريكان يتحاسبان بعد العمل، وفي حديث ابي طلحة انه لما شغله الطير في صلاته فتدبر شغله فجعل حائطه صدقة لله ندما ورجاء للعوض مما فاته، وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفيك، فقال اردت ان اجرب قلبي هل ينكره ام لا، وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله، وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة، وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد خرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب امير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك، وقال مالك بن دينار رحمه الله رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله تعالى وهذا من معاتبة النفس كما ترى والله اعلم

الايضاح الثاني في بيان معاتبة النفس على التقصير

اذا حاسب الانسان نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه ملابسة المعاصي وانست بها وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فان اكل لقمة فيها شبهة لشهوة نفس فينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بالنظر وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعها عن شهواتها، هكذا كانت عادة السالكين لطريق الآخرة فقد روي عن بعض العباد انه كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فوضع يده في النار حتى نشبت وروي انه كان رجل من بني اسرائيل

يتعبد في صومعته فمكث زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فاذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فأخرج رجليه لينزل اليها فأدركه الله تعالى بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما أراد ان يعيد رجليه الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك فتركها معلقة في الصومعة يصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت وسقطت فشكر الله له ذلك وانزل في الكتب ذكره وروي عن بعض الزهاد انه انكشفت له جارية فنظر اليها فرفع يده فلطم عينه حتى خرجت وقال انك للحاظة الى ما يضرك فهكذا كانت عادتهم في الحزم على انفسهم والعجب انا نعاقب الاماء والعبيد والاهل والاولاد على ما يفعلون ويصدر منهم من سوء الخلق ونخاف ان تجاوزنا عنهم بغوا وطغوا ثم انا نهمل انفسنا وهي اعظم الاعداء لنا واشد طغيانا ومنا بالمعاقبة اولى واحق

الايضاح الثالث في بيان توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى اعدائك هي نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء امارة بالشر فرارة من الخير فانك مامور بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل الصبر الى عبادة ربها وخالقها وتمنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة فلا تغفل عنها ساعة واحدة عن تذكيرها وعتابها ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك فقد اوحى الله الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفها واستنكافها اذا انسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانت صائرة الى احدهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وانه لا يأتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار

دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في الصبا دون الشيخ ولا في الشيخ دون الصبا بل كل نفس يمكن ان يأتيها الموت بغتة فان لم يكن الموت فجاءة فالمرض لا محالة فجاءة ثم ان المرض يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب من حبل الوريد فهكذا معاملة اهل الزهد والعبادة في عتاب انفسهم وتوبيخها فان مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا فنسأل الله معرفة محققة باحوال النفس وغرورها

الباب السادس في بيان التوكل من مقالة المنجيات

وهو مقام عظيم من مقامات الابرار وقبل الخوض فيما نريده من بيان مقاصده واحكامه نذكر مقالة الشيوخ في حقيقة التوكل قال ذو النون التوكل يقال هو خلع الارباب وقطع الاسباب فقوله خلع الارباب اشارة الى التوحيد وقوله قطع الاسباب اشارة الى الاعمال وتعليقها بالله تعالى وقال بعض الزهاد التوكل هو التعلق بالله تعالى في كل الاحوال وقال آخرون التوكل اضطراب بغير سكون وسكون بغير اضطراب واراد بقوله سكون بغير اضطراب اراد سكون النفس القلب الى الله تعالى وقوله اضطراب من غير سكون اشارة الى فزعه الى الله تعالى وابتهاله وتضرعه وحكي عن ابي بكر الدقاق انه قال التوكل ثلاث درجات التفويض ثم التسليم ثم الصبر والمختار في حقيقة التوكل انه القاء الامور الى الله تعالى في كل الاحوال فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة التوكل ثم نذكر حالة الادخار ثم نردفه بذكر آداب المتوكلين في امتعتهم فهذه تنبيهات ثلاثة

التنبيه الاول في بيان فضيلة التوكل

وظهوره من جهات ثلاث

الجهة الاولى

الآيات القرآنية وهذا كقوله تعالى وعلى الله فتوكلوا وقوله تعالى على الله توكلنا وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله تعالى ان الله يحب المتوكلين وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم اراد ان كل ما سوى الله فهو عبد مسخر فكيف تطلب حاجتك منه وتتوكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون

لكم رزقًا فابتغوا عند الله الرزق ، وكل ما ذكره من التوحيد في القرآن فهو تنبيه على قطع الملاحظة من الأغيار ، والتوكل على الواحد القهار .

الجهة الثانية الأخبار

فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الأمم بالموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل ، فأعجبني كثرتهم وهيئتهم وقيل لي أرضيت فقلت نعم ، قال ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ، قيل ومن هم يا رسول الله ، قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم ، قال أنت منهم ، فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم ، قال سبقك بها عكاشة ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها ، وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ، ويقول هكذا أمرني ربي حيث قال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لم يتوكل من اكتوى أو استرقى ،

الجهة الثالثة الآثار

قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فأقسمت علي أمي لترقيني فناولت يدي الراقي التي لم تلدغ ، وقال بعض العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل ، وقرأ بعض الزهاد وتوكل على الحي الذي لا يموت إلى آخرها ، فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله ، وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد ، وقال إبراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال ليس العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني ، وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلًا وجدت إلى كل خير سبيلًا ، وقال أويس القرني أي لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنتفع بالموعظة .

التنبيه الثاني في بيان حكم الادخار

اعلم

اعلم أن النفوس خلقت مطبوعة على الحرص ، ومطيعة له ، ويكاد أن تكون منا قضًا للتوكل ، فمن حصل له مال بإرث أو كسب أو بسبب من الأسباب فله في ادخاره ثلاثة أحوال .

الحالة الأولى أن يأخذ قدر حاجته منه في الوقت فيأكل إن كان جائعًا ، ويلبس إن كان عاريًا ، ويشتري مسكنًا إن كان محتاجًا إليه ، ويفرق الباقي في الحال ، ولا يأخذه ولا يدخره إلا القدر الذي يستحقه ويحتاج إليه ، فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقًا وهي الدرجة العليا .

الحالة الثانية المقابلة لهذه وهي المخرجة عن حدود التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها ، فهذا ليس من التوكل في ورد ولا صدر ، وقد قيل إنه لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة الفأرة والنملة وابن آدم .

الحالة الثالثة أن يدخر لأربعين يومًا فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين فيه تردد ، فذهب بعض الزهاد إلى أنه يخرجه عن حد التوكل ، وذهب آخرون إلى أنه لا يخرج بهذا القدر عن حد التوكل ، وقال آخرون لا يخرج إلا بالزيادة على الأربعين عن حد التوكل ، والمختار أن التوكل بترك الادخار لا يتحقق إلا بقصر الأمل والشأن كله في تقصير الأمل ، فمن طال أمله كثر حرصه ، ومن قصر أمله قل حرصه وحسن عمله وزكي ،

التنبيه الثالث في بيان آداب المتوكلين

في تصرفاتهم وأحوالهم ، اعلم أن للمتوكلين آدابًا نذكرها

الأدب الأول أن يغلق بابه ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتماسه الجيران بالحفظ لمتاعه ، وتوثيقه بمغاليق كثيرة ، فلقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشد بابه بخيط ، ويقول لولا الكلاب ما شددته .

الأدب الثاني أن لا يترك في البيت متاعًا يحرص عليه من السراق فيكون سببًا في سرقتهم ، وإقدامهم عليه ، لأن إمساكه يكون داعيًا لهيجان رغبتهم فيه .

الأدب الثالث أن كل ما يضطر إلى تركه في البيت ينوي عند خروجه الرضا بما يقضيه الله تعالى من تسليط سارق عليه ويقول من نفسه ما أخذه السارق فهو منه في حل وسعة أو هو في سبيل الله فإن كان فقيرًا فهو عليه صدقة ، وإن لم يشترط فهو أولى .

الأدب الرابع إذا وجد المال قد سرق فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ذلك ويقول لولا أن الخيرة كانت في ذلك لما سلبه الله تعالى

ولا في اساءة الظن به انه اذا لم يجعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه، فانه قد قعد بالمسلمين، وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه، فالاولى الا يقبله بعد جعله في ذخيرة لنفسه للآخرة فان رد عليه، وان قبله فهو ملكه في ظاهر الشرع لان الملك لا يزول بالنية سبيل الله، ولكنه غير محبوب عند المتوكلين،

الادب الخامس

وهو اجل الدرجات الا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته، وتاسفه على ما فات، وبطل زهده وان بالغ في الدعاء بطل اجره فيما اصيب به ففي الخبر من دعا على ظالم فقد انتصر، وحكي عن الربيع بن خيثم انه سرق له فرس، وكان ثمنه عشرين الفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه، فجاء قوم يعرفونه فقال اما قد كنت رايته وهو يحله، قيل فما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلاة، ثم جعلوا يدعون على السارق، فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا، فاني قد جعلته صدقة عليه،

الادب السادس

ان يكون مغتما لاجل السارق في عصيانه وتعرضه لعقاب الله ويشكر الله اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا في دنياه لا في دينه، فقد شكا بعض الناس على عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله، فقال ان لم يكن غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بما نقص من مالك فما نصحت المسلمين، وسرق من بعض اهل الزهادة دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكي ويحزن، فقال اعلى الدنانير تبكي، فقال لا والله ولكن على المسكين فانه يسال يوم القيمة، ولا يكون له حجة، وقد نجز غرضنا مما اردنا من معاني التوكل واحكامه، ونشرع الآن في النية التي بها صلاح الاعمال بعون الله

الباب السابع

من علوم الكتاب في المنجيات النية وهي عبارة عن الارادة والقصد فالارادة تطلق على العزم والقصد والنية، فالعزم ما كان سابقا على الفعل ليكون سببا في تحقيق فعله، والقصد عبارة عما كان مقارنا للفعل والنية لابد فيها من المقارنة بالفعل، لكنها تختص بالعبادات والذي يقال نية الصلاة ولا يقال قصد الصلاة، والعزم لا يجوز اطلاقه على الله تعالى لما فيه من ايهام الخطا في حقه تعالى والنية لا يجوز اطلاقها على الله من اجل ايهام الخطا ايضا فكل حركة او سكون او فعل اختياري فانه لا يتم الا بامور ثلاثة القدرة والعلم والارادة، فالقدرة تراد لايجاد الفعل وتحصيله لانها هي المؤثرة في وجود الفعل

واما العلم فيراد لاحكام الافعال كلها فلابد من العلم لحقيقة الحركة ليتاتى من العبد ايجادها التي من المحال ان توجد بالقدرة فلا يعلم حقيقته، واما الارادة فيحتاج اليها من اجل تحصيل وجود الافعال عند الايجاد فهذه الامور الثلاثة لابد منها في وجود الفعل وهل تكون الداعية مشروطة في وجود الفعل ام لا فيه تردد بين المتكلمين والمختار عندنا انه لابد للفعل من الداعية في حق القادر بالقدرة دون الباري، وقد يكون حصول الفعل باعث واحد كما لو راى سبعا فقام من موضعه فانه لا باعث له على القيام الا رؤية الاسد لا غير وقد يكون باعثين، ويكون على اوجه ثلثة اولها ان يكون الباعثان بحيث لو انفرد كل واحد منهما لكان كافيا كما لو سأله فقير قريب له حاجة فان كل واحد من القرابة والفقر كاف لو انفرد في قضاء الحاجة، وثانيها ان يكون لكل واحد منهما قاصرا عن البعث لكن حصل التاثير بالاجتماع، ومثاله ان يساله فقير فلا يعطيه ويساله قريب فلا يعطيه ويجيء من اجتمع فيه الامران فيعطيه فيكون الباعث على الاعطاء هو المجموع لا غير، وثالثها ان يكون كل واحد منهما كافيا دون الآخر لكن احدهما يصير عاضدا ومعينا لا غير، فهكذا يكون تاثير الباعث على الفعل والداعية في حق الله تعالى ليس الا العلم، والداعي في حق الواحد منا هو العلم والظن والاعتقاد وهذا القدر كاف في مقدار غرضنا، ولنذكر فضل النية ثم نذكر اقسام الافعال بالاضافة اليها، ثم نردفه بمعنى قوله صلى الله عليه نية المؤمن خير من عمله فهذه ايضاحات ثلثة،

الايضاح الاول

في بيان فضيلة النية وبيانها من جهات ثلاث

الجهة الاولى من الكتاب الكريم

وهذا كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وقال تعالى يريدون وجهه فالارادة من جهة الله تعالى على جهة الامتنان والتفضل بالنعم العامة لانها لا تكون نعما الا بالقصد للافضال والانعام والارادة من جهتنا ورد الثناء عليها من جهة الله تعالى في هذا دلالة على فضيلة النية وكونها من اعظم الاعمال وافضلها منها،

الجهة الثانية الاخبار

وقد قال صلى الله عليه الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى امراة ينكحها او دنيا يصيبها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين والله اعلم بنيته، وقال صلى الله عليه ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية ومحلها وقال صلى الله عليه ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختومة تلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بها وجهي ثم ينادي الملائكة

اكتبوا له كذا اكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا فيقول انه نواه انه نواه
وقال صلى الله عليه وسلم انما الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله
فيقول رجل لو اتاني الله ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله
مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه
عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه
وفي حديث انس بن مالك ان رسول الله لما خرج الى غزوة تبوك قال ان في المدينة
اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا
مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا كيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا
قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا
فهو له فهاجر رجل منا فتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وفي الحديث
ان رجلا قتل في سبيل الله فكان يسمى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره
فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه من غزا وهو لا
ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي
جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للرسول صلى الله عليه فقال ليس له من دنياه ولا من اخرته الا
ما جعلت له وفي حديث ابن عمر من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها
ارغب ما يكون اليها ومن تكن الاخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته
وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه ذكر جيشا
يخسف بهم في البيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على قدر
نياتهم وقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول انما يقتتل المقتتلون على
النيات **الجهة الثالثة الاثار** فقد قال عمر رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض
الله والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله وكتب سالم الى عمر بن عبد العزيز
اعلم ان عون الله للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان
نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير
تصغره النية وحكي عن داود الطائي انه قال البر همه التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه
بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وعن سفيان
الثوري كانوا يتعلمون النية كما يتعلمون العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وقال
بعض الصالحين ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصى وان ذنوبكم اخفى من ان تعلم ولكن اصبحوا
تائبين وامسوا تائبين يغفر الله لكم ما بين ذلك وكان بعض الزهاد يطوف على العلماء
يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل او

لا ازال فيه

نهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا
فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بالخير كعامله هذه غاية ما نورد في فضل النية
والله اعلم

الايضاح الثاني في بيان انقسام الافعال بالاضافة الى النية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من قول وفعل وحركة وسكون
وجلب نفع ودفع ضر وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يمكن احصاؤه فانما يرجع الى
ثلثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات فهذه ثلثة اقسام نذكرها بمعونة الله

القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية فلا
ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام الاعمال بالنيات ويظن
ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره
او يطعم فقيرا من مال غيره ظلما وعدوانا او يبني مدرسة او خانكاه او رباطا بمال حرام
ظلمه على غيره فهذا كله جهل والنية لا تاثير لها في ذلك فانها لا تخرج الفعل عن
كونه ظلما وحراما بل اذا قصد الخير على خلاف مقتضى الشرع كان ذلك شرا اخر فان عرفه
فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم
والخيرات انما عرف كونها خيرات بالشرع فكيف يكون الشر خيرا هيهات
ذلك وقد قال صلى الله عليه لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت
على جهله ولا يحل للعالم ان يسكت عن علمه وحكي عن احمد بن حنبل رحمه الله ان بعض
اصحابه كان يتردد اليه سنين كثيرة فاعرض عنه وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله
عن تغيره وهو يذكره حتى قال له بلغني انك طينت حائط داركم من جانب الشارع
فقد اخذت سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم

القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنية في اصل صحتها
وفي تضاعيف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان
نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان
الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية حسنة
ثواب اذ كل واحد منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما وردت
به الاية ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات
كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين وجملتها
امور ثمانية اما اولا فتعظيم بيت الله واما ثانيا فينتظر الصلوة واما ثالثا فكف
السمع والبصر عن المعصية واما رابعا فالخلاص عن شواغل الدنيوية في حوزة
المسجد واما خامسا فالتجرد لذكر الله واما سادسا فافادة علم وامر بمعروف ونهي
عن منكر واما سابعا فان يستفيد اخا في الله تعالى واما ثامنا فان يترك الذنوب
حياء من الله تعالى فهذه طرق تكثير النيات وقس عليه سائر الطاعات اذ ما من

تحصيل

طاعة الا وهي محتملة للنيات الكثيرة ✽ والما تحضر في قلب العبد بقدر جدّه وجهده في اكتساب الخيرات وارادة لتضاعف الحسنات والله اعلم ✽✽

القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل خروجه عن كونه مباحاً بالنية ✽ وما من شيء من فعل يشبهها الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم من خسرة من يغفل عنها ويتعاطى تعاطي البهايم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي للعبد ان يستحقر الخطرات ويتهاون بالخطوات ✽ واللحظات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيمة لم فعلها وما قصد بها ✽ هذا كله في مباح محض لا يشوبه كراهة ✽ ولهذا قال صلى الله عليه في صفة الدنيا حرامها عقاب وحلالها حساب وفي حديث معاذ بن جبل ان الرجل ليسأل يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين بيده وعن لمس ثوب اخيه بيده ✽ وفي حديث اخر من تطيب لله جا يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ✽ ومن تطيب لغير الله جا يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة ✽ ولا شك ان استعمال الطيب مباح لكن لابد فيه من نية ✽✽

سؤال فاذا كان الطيب مباحاً فكيف يكون مثاباً عليه ✽ وكيف يجري العقاب ✽ وجوابه انه اذا قصد الريا والسمعة ✽ والتفاخر والتكاثر والتنعم بلذات الدنيا ويقصد به الريا الى غير ذلك فهو حرام لا يجوز استعماله ✽ وان قصد به وجه الله تعالى واتباع السنة واقتفا اثر الرسول صلى الله عليه في ذلك فانه يستحق عليه الثواب لا محالة لانه قصد به وجه الله تعالى وطلب حسن ثوابه

الايضاح الثالث في بيان مراد رسول الله صلى الله عليه بقوله نية المومن خير من عمله ونية الفاسق شر من عمله وفيه معان ثلثة ✽ الاول ان يكون مراده بذلك ان النية لما كان لا اثر للعمل الا بالنية وهي التي تصلحه وبكون مقبولاً معها فلا جرم كانت النية افضل من العمل المعنى الثاني ان يكون المراد ان النية نية المومن خير ✽ وهي من جملة عمله ونية الفاسق شر وهي من جملة عمله وعلى هذا الوجه لا فضلية على هذا التاويل واما الغرض ان نية المومن مع عمله خير وان نية الفاسق مع عمله شر ✽ المعنى الثالث ان يكون المراد ان نية المومن خير وهي من جملة عمله ونية الفاسق شر وهي من جملة عمله من غير تفصيل في هذا المعنى كما ترى ✽ والمختار عندنا تفصيل يشير اليه فيكون معنى رابعاً ✽ وحاصله ان المراد ان كل طاعة فانها تنتظم من نية وعمل والعمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود ✽ وان النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المومن من جملة طاعته

حسن عمله

خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختياراً في النية وفي العمل وهما عملان والنية من جملة ما فضلهما فهذا معناه كما ترى ✽ **الباب الثامن في الصدق وهو من جملة المنجيات اعلم ان الصدق على معان** ✽ ومن المحال تحديد ماهيته واحدة لبن مفهومها فانها متغايرة فلا يعقل اندراجها تحت ماهية واحدة وهو يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية وصدق في العزم وصدق في الوفا وصدق في العمل فاذا عرفت هذا فلنذكر فضيلة الصدق ثم نذكر مراتبه فهذان تنبيهان ✽ **التنبيه الاول في بيان فضيلة الصدق** قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ✽ وقال تعالى فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ✽ وقال تعالى وكونوا مع الصادقين ✽ وقال تعالى اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ✽ وقال الرسول صلى الله عليه ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة ✽ وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ✽ وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ✽ ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديقية مشتقة منه وان الله تعالى وصف الانبيا في معرض المدح والثنا ✽ فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً ✽ وقال واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً ✽ وعن ابن عباس رضي الله عنه اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحيا وحسن الخلق والشكر ✽ وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس ✽ وقال بعض الحكما اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية مطلبك ✽ وقال رجل لحكيم ما رايت صادقاً فقال له لو كنت صادقاً لعرفت الصادقين ✽ وقال بعض الصادقين وقال بعض الزهاد وحد نادر الله مبنياً على ثلثة اركان على الحق والصدق والعدل ✽ فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول ✽ واوحى الله الى داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته فقال بعضهم اجمع الفقها والعلما على ثلث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله في الاعمال وطيب المطعم ✽ وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التورية اثنين وعشرين حرفاً كان صلحا بني اسرائيل يجمعون فيقرونها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ✽ ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دوا الين من الرفق ولا دا اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر

اذل من الطمع ولا غنى اشفى من الجمع ولا صحة اطيب من الصحة ولا معيشة
اهنى من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا
حارس احفظ من الصمت ولا غائب اقرب من الموت

المبحث الثاني في مراتب الصدق وجملتها خمسة

المرتبة الاولى صدق اللسان وذلك انما يكون في الاخبار والخبر اما يكون متعلقا بالماضي او
بالمستقبل وفيه يدخل الوفا بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه
فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه
عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ويتعلق بهذه المرتبة
فايدتان الاولى منهما جواز المعاريض عند الحاجة اليها وتقتضيه المصلحة في بعض
الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن
الظلمة ومن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما ياذن
الحق به وتقتضيه الدين الفائدة الثانية ان يراعي معنى الصدق في الفاظه
التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه
ان كان منصرفا الى غير الله تعالى مشغولا باماني الدنيا وشهواتها فهو كاذب
وكقوله اياك نعبد واياك نستعين فان لم يكن صادقا في ذلك قاصدا
وجه الله تعالى فانه يكون كاذبا. **المرتبة الثانية** الصدق في النية
والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو الا يكون له باعث في الحركات والسكنات
الا الله تعالى فان مازجه شيء من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز
ان يسمى كاذبا. **المرتبة الثالثة** صدق العزيمة فان الانسان قد يقدم العزم
على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت به او بشطره او لقيت
عدوا في سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت
فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من
نفسه جازمة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد فيكون مضادا للعزيمة
وكان الصدق هاهنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة
ويقال للمريض شهوة كاذبة وقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى
المرتبة الرابعة الوفا بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في
الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم فان المؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق
وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق
الوفا بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولهذا قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه على مصعب بن عمير وقد سقط على

بظلم

وجهه يوم

وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه فقال صلى الله عليه
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر [illegible] **المرتبة
الخامسة** الصدق في الاعمال حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف
هو به لا ان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا غير ما
ذكرناه من قبل في المراتب السابقة فهذه الاعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا
هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك فان الانسان قد يمشي على
هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق
في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا ينجو من هذا الا بان يستوي السريرة والعلانية
وان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تسوية
الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في
دلالة الظاهر على الباطن فهذا ما اوردنا ذكره من حقايق الصدق واسراره والله
الموفق للصواب

وهو انه تجديد

الخبر

الباب التاسع في الاخلاص من المنجيات

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره
فاذا صفى عن شوبه وخلص منه كان خالصا ويسمى الفعل المخلص المصفى
اخلاصا قال تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وخلوص
اللبن بان لا يكون فيه شوب من الفرث والدم ومن كل ما يمكن ان يمتزج به
والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك فاذا تمهدت هذه القاعدة
فلنذكر اقاويل العلماء في حقيقة الاخلاص ثم نذكر فضل الاخلاص ثم نذكر حكم
العمل المشوب هذه بيانات ثلاثة نفصلها ونذكر ما فيها بمعونة الله تعالى

البيان الاول في ذكر اقاويل العلماء في ماهية الاخلاص وانما
اوردناه ليطلع الناظر على ان الاخلاص بحر عميق دقيق غامض لا يعلمه الا من وفقه
الله ولطف به بالالطاف الخفية فليكن العبد على ثقة من منه وصنيع
رحمته فقال الاول الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان كل من شاهد
في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وحاصل هذه المقالة الاشارة
الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب
والعجب من جملة الافات والخالص ما صفى من جميع الافات فهذا القائل قد تعرض لافة
واحدة وقال الثاني الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركته كلها
لله وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض المقصود وقال الثالث الاخلاص
صدق النية مع الله تعالى وهذا قريب من الذي قبله فان كل واحد منهما
قد جعل الاعمال كلها لله وهذا كله هو الغرض المقصود فانها متى كانت لله

فقد قرع الامر كله ❊ وقال الرابع الاخلاص ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين
جميعا وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس وايثار مرادها افة الاخلاص عاجلا
واجلا والعامل لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل
الا وجه الله ❊ ولهذا قيل لبعضهم اي شي اشد على النفس قال الاخلاص اذ ليس لها
فيه نصيب ❊ وقال الخامس الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق
وهذه اشارة الى افة الريا وهي مهلكة للاعمال كما مر تقريره ❊ وقال السادس
الاخلاص هو ان لا يطلع على العمل شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه وهذه اشارة
الى مجرد الاخفا وانه هو الاخلاص عند هذا القايل لان كل ما ظهر للخلق
خرج من الاخلاص ❊ القول السابع الاخلاص ما استتر عن الخلايق وصفا
عن العلايق وهذا اجمع المقاصد لانه بينا ولا مورا هي الاصل في الاخلاص
القول الثامن الاخلاص هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا ايضا منه اشارة
الى اخراجه اعني العمل عن الريا وحظ الله تعالى لا يشوبه شايب ❊ القول
التاسع الاخلاص الذي يعمل لله لا يحب ان يحمد عليه وهذا ايضا فيه تعريض
لبرايته عن الريا وانما خصه بذكر الحمد لانه من اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص
وهذا يحكى عن عيسى صلوات الله عليه لما ساله الحواريون ❊ عن الاخلاص ❊
وحكي عن الجنيد انه قال الاخلاص تصفية الاعمال عن الكدورات ❊ وقال الفضيل
ترك العمل من اجل الناس ريا والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما
وقال بعضهم الاخلاص في دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان
الشافي والغرض الكامل ❊ واكثر الاقوال واحسنها الخاطة بالغرض المقصود
ما ارشد صاحب الشريعة صلوات الله عليه اذ كان معلم الخير ومحيط الاسرار
الدينية والمستولي على معرفة الحقايق الالهية حيث سئل عن الاخلاص ❊
فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت فقد اشار بهذه المقالة الى اخراج
التوحيد اذ هو الاصل في الاخلاص والى الاستقامة على الامر ❊ وهو الاصل
في اخلاص العمل عن كل ما يشوبه فهذه هي الغاية في معرفة حقيقة الاخلاص ❊

البيان الثاني في ذكر درجات

الشوايب والافات المكدرة للاخلاص ❊ اعلم ان الافات المشوشة
للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجلا
وبعضها قوية مع الخفا وجملتها ما نشير اليه من ذلك درجات اربع ❊ **الدرجة**
الاولى الريا وهي اظهر مشوشات الاخلاص فيقول الشيطان يدخل هذه
الافة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل
اليه

بان يقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا
يزدريك ولا يغتابك فيخشع جوارحه ويسكن اطرافه ويحسن صلاته وهذا هو الريا
الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدين ❊ **الدرجة الثانية** ان يكون السالك
لطريق الاخرة قد فهم هذه الافة واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان
فيها ولا يلتفت ويستمر في صلاته كما كان فياتيه في معرض الخير فيقول انت
متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يوثر عنك ويتاسى بك فيكون لك
ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن صلاتك بين يديه
فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد يخدع
به من لا ينخدع بالاول ❊ **الدرجة الثالثة** وهي ادق مما قبلها ان يجرب
الانسان نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان فيعلم ان مخالفته بين الخلوة
والمشاهدة للغير هو محض الريا ويعرف ان الاخلاص ان تكون صلاته في الخلوة
مثل صلاته في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه
تخشعا زايدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه
الذي يرتضيها في الملا ❊ ويصلي ايضا في الملا كذلك فهذا ايضا من الريا الغامض لانه
حسن صلاته في الخلوة ليحسن صلاته في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته
في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان يكون مشاهدة البهايم لصلوته
ومشاهدة الخلق واحدا فكان هذا ليس تسمح نفسه باساءة الصلوة بين اظهر
الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين فحاصل الامر الخطر في هذا
انه حسن صلاته في الخلا ليحسنها في الملا وهذا من المكايد الخفية للشيطان
الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى وحاصلها ان ينظر اليه الناس
وهو في صلاته فيعجز الشيطان ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف
انه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن
انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله الى قلبك وهو غافل
عنه فيحضر بذلك قلبك وتخشع جوارحك ❊ ويظن ان ذلك عين الاخلاص
وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلال الله لكانت هذه
الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص خطورها بحالة حضور غيره
وعلامة الامن من هذه الافة ان يكون هذا الخاطر ممن يالفه في الخلوة
كما يالفه في الملا ❊ فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة
بهيمة فهو خارج عن صفو الاخلاص غير سالم من خفي الريا وهو
اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصخرة الصما

ولا يكاد يسلم من كيد الشيطان الا من دق نظره وشغل بعصمة الله تعالى وتوفيقه
وحسن هدايته لان الشيطان مسخر للاغوا للخلق والاستدلال لهم عن طريق
الجنة في كل حركة من الحركات فنستعيذ بالله من كيده

الباب الاول في ذكر فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله الدين الخالص وقال الا
الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان
يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت هذه الاية
فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال صلى الله عليه يقول الله تعالى
الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببته من عبادي وقال امير
المؤمنين كرم الله وجهه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان الرسول صلى الله
عليه قال لمعاذ بن جبل اخلص العمل يجزك منه القليل وقال صلى الله عليه
ما من عبد اخلص لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه وقال صلى الله عليه يسال يوم القيمة ثلاثة رجل اتاه الله العلم
فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيما علمت قال يا رب كنت اقوم اناء الليل والنهار
فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملئكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم
الا فقد قيل ذلك ورجل اتاه الله مالا فيقول الله تعالى قد انعمت عليك
فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق اناء الليل والنهار فيقول الله سبحانه كذبت
وتقول الملئكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك
ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب امرت
بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملئكة كذبت بل اردت
ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك وقال ابو هريرة ثم خط بيده رسول
الله صلى الله عليه على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم
يوم القيمة فدخل راوي الحديث على معاوية وروى فبكى حتى كادت تخرج نفسه
ثم قال صدق الله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وكان
معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي وقال بعض الزهاد
المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال بعضهم طوبى لمن صحت له خطوة واحدة
لا يريد بها الا وجه الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري
من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له فقال
اخلص النية في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب تخليص النيات على
العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وحكي ان رجلا كان يخرج في زي النساء ويحضر

موضعا

موضعا فيه عرس او ماتم يجتمع فيه النساء فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع
للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة
واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امراة فدعا الى الله تعالى مخلصا وقال
ان نجوت من هذه الفضيحة فاني لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك
المراة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعضهم اخلاص ساعة
فيه نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز وقال بعض الحكماء اعبدوا الله تعالى من عمل الخلق
كلها الاخلاص فقط وقد تم غرضنا من الاخلاص وفضيلته

الباب العاشر من المنجيات في التفكر

وهو الذي وقع به الاختتام من المقالة الثالثة من ذكر الصفات المنجية
التي يكون بحصولها الفوز بجوار الله تعالى في دار كرامته والنجاة من عقابه وسخطه
وقبل الخوض فيما نريده من حقائقه واسراره نذكر ماهيته اعلم
ان الفكر هو مبدأ الخيرات ومفتاح لها كل النظر والفكر والتامل والتدبر والروية
كلها الفاظ متقاربة خلا ان النظر والفكر انما يطلقان على حركة ان فيهما
معرفة ثالثة ممن لم يحصل هذه المعرفة لا يسمى ناظرا ولا متفكرا وما في الاسما
في الفكر مترادفة والفكر ما اخرج علوما خمسة اولها العلم بالمقدمات
الحاصلة في العقل فانها اصل في تحصيل العلوم بالفكر وثانيها اجرا العلم
لترتيبها اعني ان يكون بعضها عقيب بعض ليحصل الغرض المطلوب من الانتاج
للفكر وثالثها العلم بلزوم المطلوب عن تلك المقدمات فانه لا يتعدى عنها
بحال ورابعها العلم بصحة ذلك الترتيب فانه ما لم يحصل العلم بصحة
الترتيب على النظام فلا ثمرة هنالك للتفكر وخامسها العلم بان كل ما لزم عن
المطلوب الصحيح فهو صحيح ومتى حصل هذه العلوم الخمسة في كل فكر
ونظر فانه يوصل الى العلم لا محالة فاذا كانت المقدمات كلها يقينية
فالنتيجة يقينية لا محالة وان كانت المقدمات ظنية او بعضها كانت النتيجة
ظنية فالعلم والظن حاصلان مهما حصلت هذه المقدمات لا محالة فاذا عرفت
هذا فلنذكر فضيلة الفكر ثم نذكر مجاريه فهذان مقصودان

التقرير الاول في بيان فضيلة الفكر

اعلم ان التفكر هو مفتاح انوار الهداية ومبدأ الاستبصار في اسرار المعارف والمدنية
وهو شبكة العلوم ومقتنص الحقائق وقد ورد الشرع بالثناء عليه
كما قيل تفكر ساعة افضل من عبادة سنة وقد امر الله بالتفكر في كتابه
الكريم فقال في معرض المدح والثناء ويتفكرون في خلق السموات والارض

ربنا ما خلقت هذا باطلا. وقال ابن عباس رضي الله عنه ان قوما تفكروا
في الله عز وجل فقال الرسول صلى الله عليه تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا
في ذاته فانكم لن تقدروا قدره. وعن الرسول صلى الله عليه انه خرج صلى الله
عليه على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر
في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان
بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس اربعين
يوما بها خلق من خلق الله سبحانه لم يعصوا الله طرفة عين. قالوا يا رسول الله
فاين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا. وعن عطا انطلقت انا
وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها فقلنا اخبرينا باعجب شيء رايته من
رسول الله صلى الله عليه قال فبكت وقالت كل امر رسول الله كان عجبا اتاني في ليلتي
حتى مس جلده جلدي قال ذريني اتعبد لربي فقام الى القربة فتوضأ منها ثم
قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتى
بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد
انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب. ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وقيل
للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال تقرؤهن وتعقلهن. وعن ام ابي ذر
بعد موت ابي ذر سئلت عن حال ابيها فقالت كان نهاره اجمع في ناحية
يتفكر. وعن الحسن البصري قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل
بن عياض قال التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. وقيل لابراهيم بن ادهم
انك تطيل التفكر فقال الفكر مخ العقل وعن طاوس قال الحواريون لعيسى
بن مريم يا روح الله هل على الارض مثلك قال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته
فكرا ونظره عبرا فانه مثلي. وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو
ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو
وقال صلى الله عليه اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول
الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار
عند عجائبه. وقال بعض الحكماء لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها
الى ما قد ذخر في حجب الغيوب من خير الاخرة لم يصف لهم في الدنيا
عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين. وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في
نعم الله عز وجل من افضل العبادة. وعن ابن عباس رضي الله عنه ركعتان

مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب. وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة
الله ما عصوا الله تعالى. وقال بعض الحكماء عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر.
وقال التفكر في الدنيا حجاب عن الاخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الاخرة يورث
الحكمة ويحيي القلوب.

الفصل الثاني في بيان مجاري التفكر

اعلم ان مجاري التفكر كثيرة وليس يخلو الحال اما ان يكون جاريا في امر الدين او
في غير ذلك فاما ما يتعلق بغير الدين فلا حاجة بنا الى ذكره والذي نتعرض لذكره
انما هو ما يتعلق بامر الدين ثم اما ان يكون متعلقا بالنظر في جلال الله او يكون متعلقا
بافعال العبد فهذان قسمان يكونان متعلقان للتفكر نذكر ما يتعلق بكل واحد
منهما [illegible] بما يتعلق بالله.

القسم الاول

في التفكر في جلال الله تعالى
وعظمته وكبريائه. اعلم ان عقول العقلاء وافهام الفضلاء لا تقدر على الغوص في
بحار الجلال والكبرياء وهي عاجزة عن الوصول والاحاطة بكنه حقائق الصفات
الحسنى وكيف تقوى القوى البشرية على مثل هذا التفتيش وانى تطيق نور الشمس
ابصار الخفافيش. ولنا فيه مقامان **المقام الاول** من التفكر في ذات الله تعالى
ومعاني صفاته واسمائه وهذا مما منع منه العقل والشرع فاما الشرع فقوله تفكروا
في خلق الله ولا تفكروا في ذاته واما العقول فلانها تتحير فلا تطيق مد النظر اليه بل
سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله وكبريائه كحال بصر الخفاش
بالاضافة الى نور الشمس فانها لا تطيقه البتة بل تختفي نهارا وتنتشر ليلا. فهكذا
حال الانسان بالاضافة الى ذاته وكنه عظمته كالتحديق الى قرص الشمس فانه
يورث التغير في العين ويكسب العمش فيها فهكذا النظر في ذات الله تعالى يورث
الحيرة والدهشة واضطراب العقل فالصواب الا يتعرض لمجاري الفكر في
ذات الله تعالى وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به
العلماء وهو ان الله تعالى مختص بالصفات الالهية كالقادرية والعالمية والحيية
وسائر الصفات الذاتية وانه تعالى مقدس عن المكان والجهة ومنزه عن الحلول
في الاحياز والاماكن وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا
منفصل عنه. وقد اغتاض فهم هذا على كثير حتى ظنوا من سوء نظرهم واعتقادهم
انه لا يعقل الا ما كان مختصا بالاعضاء والجوارح لما لم يشاهدوا سوى ذلك في
العالم فظنوا لحمقهم وجهلهم ان الجلال والعظمة والكبرياء في هذه الاعضاء
فالوهم يتقاضى منهم ذلك وخلقت الطباع مطبعة للاوهام وبنوا هذا على ما يشاهدون
من احوالهم وما شعروا ان الجلال والكبرياء غير ما توهموا بظنونهم وان
البرهان العقلي قد قام على ذلك. ولما كان النظر في ذات الله خطرا من

الوجه الذي ذكرناه اقصى ادب العقل والشرع الا ستعلق بمجاري النظر فيه وبعد
الى المقام الثاني لما فيه من السلامة عن هذا الخطر العظيم ۞

المقام الثاني وهو النظر في افعاله وعجائب صنعه وبدائع خلقه

فانها دالة على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه
وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفوذ قدرته ومشيئته ۞ وكل ما في الوجود
مما سوى الله تعالى مما لا يقدر عليه غيره فهو فعل من افعاله وخلقه فكل ذرة من
الذرات من جوهر وعرض وغير ذلك مما تركب منها ففيه عجائب وغرائب تظهر
حكمة الله تعالى وقدرته ۞ وجلاله وعظمته ۞ واحصاء ذلك غير ممكن
لانه لو كان البحر مدادا لنفد البحر قبل ان ينفد عشر عشير من ذلك ولكنا نشير الى
جمل ليكون ذلك لما عداه كالمثال فنقول الموجودات المخلوقة الى ما لا نعرف اصلها
فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال تعالى سبحان الذي
خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ۞ والى ما نعرف
اصلها وجملتها ولا نعرف تفاصيلها فلا يمكن ان نتفكر في تفاصيلها ثم انها منقسمة
الى ما ندركه بحس البصر والى ما لا يدرك بالبصر اما الذي لا يدرك بالبصر
فنحو الملائكة والجن والشياطين ۞ والعرش والكرسي ومجال الفكر فيها مما يضيق فلنعدل
الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر فهذا نحو السموات والارض
وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها
وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها
وحيوانها ونباتها وما بين السما والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها
وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه
هي الاجناس المدركة في السموات والارض وما بينهما ۞ ثم انها تنقسم الى اقسام وتشتمل
على عجائب جمة لا يحيط بحصرها الا الله تعالى ۞ ومن اعجبها في الحكمة [illegible]
وادخلها في الصنعة خلقة الانسان فانه مخلوق من النطفة واقرب شي اليك
نفسك فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرها وقد امرك
الله بالتدبر لكتابه الكريم فانظر الان الى هذه النطفة وهي قطرة من الما قذرة
مهينة لو تركت ساعة ليضربها الهوى لفسدت وانتنت كيف اخرجها الله تعالى
من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى بينهما الالفة والمحبة
في قلوبهم ۞ وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج
الحيض من اعماق العروق وجمعها في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة
وسقاه بدم الحيض وغذاه به حتى نما وربى وكبر وكيف جعل النطفة

البيض

ليضا مشرقة علقة حمراء ثم صيرها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة
متساوية الى العظام والاعصاب والعروق ۞ والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحم
والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف
والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وشرخ رؤوسها بالاصابع ثم قسم الاصابع
بالانامل ۞ ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والطحال والرية والرحم
والمثانة والمعي كل واحد منها على شكل مخصوص ومقدار معلوم ۞ ثم كيف قسم
كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف
مخصوص ۞ وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها
تعطلت العين عن الابصار ولو ذهبنا نصف ما في احاد هذه الاعضاء من العجائب
والايات لانقضت فيه الاعمار ۞ ثم انظر الان الى العظام وهي اجسام قوية صلبة
كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن ۞ وعمادا له ثم
قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير
ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ۞ ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة
بجملة بدنه وببعض اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل
عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق
الحركة المطلوبة ۞ ثم وصل مفاصلها وربط بعضها الى بعض باوتار فهذه نبذة
من عجائب خلقتك التي لا يمكن استقصاؤها وموضعها كتب التشريح ۞ ثم انظر الى
الارض كيف جعلها فراشا وقرارا ثم انظر الى السما كيف سواها سبع سموات فوقها ۞
وهكذا سائر العجائب المخلوقة من النبات والحيوانات والجبال وغير ذلك من المخلوقات
والمصنوعات سبحان من انشاها بحكمته ودبرها بقدرته ۞ ولنقتصر هاهنا على
الكلام في هذا النمط فانه بحر لا ساحل له وحق لا غاية لمنتهاه ۞ ونسال الله ان
يرزقنا حسن البصيرة للتفكر في عجائب الحكمة

القسم الثاني ۞ في التفكر في صفات نفسه

وافعاله ليكون على ثقة من امره
وحقيقة من حاله واحراز النجاة لنفسه فيعرف الطاعة ليكون اتيانها ويعرف
المعصية ليكون مجتنبا لها ويعرف الامور المهلكة ليحذر من التلبس بها ويحيط بالصفات
المنجية ليكون محرزا لها ۞ فاذا جملة ما يشتمل عليه هذا القسم انواع اربعة نفصلها
بعون الله ۞

النوع الاول في المعاصي ۞

وانما بدانا بها
لما فيها من الخطر فينبغي للانسان ان يكون مكثرا للتفكر في احوال نفسه
فينظر في حاله على الجملة ثم في جوارحه هل هو في الحال ملابس للمعصية فيتركها
او لابسها بالامس فيتداركها بالندم والتوبة ۞ او هو متعرض لها في نهاره

يستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان وما فيه من التعرض للكذب والغيبة والنميمة وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض في الامور الباطلة الى غير ذلك من المكاره ويتفكر في ان الله لا يصغي الى الكذب واللهو والكلام ويتفكر في غيبته انه لا يطلع على عورات المسلمين ولا يرى شيئا من المحرمات ثم ينظر في بطنه انه لا يدخله الا الحلال ولا يملأه من اكل السحت والحرام فان ذلك كله معصية عند الله وهو يقوي الشهوة التي هي سلاح الشيطان ثم يتفكر في مطعمه وملبسه ومسكنه وما يكتسبه ويتفكر في طرق الحرام ومداخله ويحترز منها غاية الاحتراز وان اكل الحلال هو اساس العبادات فهكذا يكون تفكره في احواله فمهما حصل التفكر في هذه الامور والمحاسبة للمحذورات منها فقد حفظها عما ذكرناه **النوع الثاني** في الطاعات فينظر اولا في الفرايض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير وكيف يجبر نقصانها اذا حصل بكثرة النوافل ثم يرجع بعد ذلك الى اعضائه فيتفقدها عضوا عضوا ويتفكر في الافعال المتعلقة بها فيقول في نفسه العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض وعبرة ويستعملها في طاعة الله تعالى وينظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وانا قادر على ان اشغل العين بطاعة الله في مطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر عليه وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين التحقير فازجره عن معصية الله تعالى فلم لا افعله ويقول في سمعه انا قادر على استماع كلام كل ملهوف او استماع كل حكمة واستماع كل قراءة وذكر وموعظة مما في غفلته واهمله وهكذا يتفكر في لسانه ويقول انا قادر على ان اتقرب الى الله بالتعلم والوعظ والتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب كل صالح ويتفكر فيما في يده من المال فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فيستغرق اعضائه وجملة بدنه واحواله وعلمائه واولاده فيطيع الله تعالى في ذلك كله وقس على هذا ساير الطاعات

النوع الثالث وهي الصفات المهلكة التي محلها

القلب فيعرفها بما ذكرناه من قبل وهي استيلاء الشهوة والغضب في البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والحقد والجزع والهلع وغير ذلك من الصفات ويتفقد قلبه عن هذه الامور فان غلب على ظنه ان قلبه منزه عنها فانه يتفكر في كيفية امتحانه عنها ويستشهد بالعلامات عليها فان

بتفكر

النفس

النفس ابدا تعد بالجزم نفسها وتكذب فاذا كانت مدعية للتواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجرب نفسه بحمل حزمة من حطب في السوق كما كان الاولون يجربون انفسهم به واذا ادعت الحلم فليتعرض للغضب بما له من غير تعرفها في كظم الغيظ وكذلك ساير الصفات فاذا راها زايلة عن نفسه حمد الله تعالى على روالها عنه وان وجد نفسه حاصلة عليها اجتهد في الازالة ومحوها عن نفسه بكل ممكن يجد اليه سبيلا ثم اذا وجد في نفسه شره الطعام وكثرة الاكل يتفكر في ان هذه الصفة هي صفة البهايم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الملائكة كالعلم والقدرة ولكنه صفة البهايم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وهكذا يكون تجريده من الصفات المهلكة للدين كما ذكرناه والله اعلم **النوع الرابع** وهي الصفات المنجية وهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع لعظمته في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات كلها ومحبة الله تعالى وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع لعظمته والتواضع لجلاله فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يستفيد من هذه الصفات التي هي مقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا العلوم وان العلوم لا يثمرها الا التفكرات فاذا اراد ان يكتسب لنفسه التوبة فليفتش عن ذنوبه اولا وليجردها وليعظمها في قلبه ثم لينظر الى ما ورد عليها من الوعيد الشديد وليحقق في نفسه انه متعرض لسخط الله تعالى وغضبه ومقته ملا يستهاجن ينبعث له الندم والاسف فهذه مجاري افكار العلماء والصالحين فاذا فرغوا منها ارجعوا الى النظر في جلال الله وعظمته وهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند الله وبتمامه يتم الكلام على المقالة الثالثة في بيان الصفات المحمودة المنجية بحمد الله

المقالة الرابعة من علوم الكتاب

في بيان الامور العادات وهو الادب في الاكل والشرب والنكاح واحكام الكسب وطلب الحلال وغير ذلك مما يكون معتادا للخلق ولا بد لهم منه بحكم الضرورة فان فيه قوام الاجساد وبه يحصل الاستعانة على العبادة ولهذا قال بعض السلف لا كل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وتشتمل على ابواب عشرة نفصلها بمعونة الله تعالى

الباب الاول في بيان اداب الاكل

وتشتمل على تنبيهات اربعة التنبيه

الطعام

الطعام

الأول

في بيان ما لا بد للمنفرد منه من الآداب مما يكون قبل الأكل وما يكون بعده وما يكون مع الأكل وهي أحوال ثلثة

الحالة الأولى

في الآداب قبل الأكل وجملتها آداب سبعة أولها أن يكون الطعام حلالا طيبة مكاسبه وثانيها غسل اليد وثالثها السفرة الموضوعة على الأرض ورابعها الجلوس إما على ظهور قدميه وإما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وخامسها أن ينوي بأكله تقوى الله والتقوى على طاعته ولا يقصد التنعم بالأكل وسادسها الرضا بكل موجود من الرزق من غير كراهة وسابعها كثرة الأيدي على الطعام.

الحالة الثانية في أدب حالة الأكل

يبتدئ بالتسمية ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها ولا يذم مأكولا قط ويأكل مما يليه إلا الفاكهة فإنه يجيل يده ولا يأكل من ذروة القصعة ولا يقطع اللحم بالسكين ولا يمسح يده بالخبز ويأكل ما تساقط ولا ينفخ في الطعام الحار ولا يجمع بين التمر ونواه في الطبق ولا يكثر الشرب في حال الأكل إلا إذا غص بلقمة ويأخذ الكوز بيمينه ويسمي عند الشرب ويمص الماء ولا يشرب قائما ولا يتنفس في الكوز ويحمد الله بعد الفراغ من الشرب.

الحالة الثالثة

ما يستحب بعد الطعام فيمسك قبل الشبع ويلعق أصابعه ويمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام بعد الفراغ من الأكل ويخلل أسنانه ويلفظ ما خرج من أسنانه ويرمي به ويتمضمض بعد الخلال ويقرأ بعد الطعام سورة الإخلاص وسورة قريش ويكثر الحمد والشكر بعد الفراغ ويغسل يديه وأصابعه ينقيها بالدلك وينقي فمه والحنك واللسان بالماء واليد والشفة بالأشنان.

التنبيه الثاني

في بيان ما يستحب من الآداب بسبب الاشتراك والاجتماع في الأكل وهي سبعة أولها ما يستحب أن لا يبتدئ بالأكل ومعه من هو أحق بالتقدم قبله من سن وفضل وثانيها أن لا يكون السكوت ويتحدث الكلام بالحمد والشكر وسير الصالحين وثالثها أن يرفق برفيقه في الأكل فلا يترك (؟) بيتا (؟) إذا كثر منه ورابعها أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل وخامسها الغسل في الطست لهم جميعا وسادسها أن لا ينظر إلى أصحابه ولا إلى أكلهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك يده قبل تمام أصحابه وسابعها أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم رأسه عند أكل اللقمة وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا يغمس ما فضل من اللقمة

التنبيه الثالث في آداب الزائرين

في تقديم الطعام وجملتها ستة أولها لا يدخل إلا بإذن ولا يقصد وقت

الطعام وثانيها أن لا يتكلف لهم ويقدم ما حضر ويكره أن يستقرض إذا لم يملك شيئا وثالثها أن الزائر لا يقترح شيئا ولا يتحكم بشيء بعينه لأنه ربما يشق عليه ورابعها يستحب أن يشتهي المزور أخاه (؟) بما فيه إكرام له وخامسها الاستئذان في تقديم الطعام بل يقدم إن كان عنده شيء من غير مؤامرة (؟)

التنبيه الرابع

في آداب الضيافة وجملتها ستة أولها الدعوة فيستحب أن يقصد بالدعوة الأبرار ولا يقصد الفساق وثانيها الإجابة ولا يفرق بين الفقير والغني ولا يمتنع من الإجابة إلا لعذر شرعي ويحضر إن كان صائما ويقصد وجه الله في الإجابة وثالثها الحضور فإذا دخل المجلس لم يتصدر وإن رأى منكرا غيره كاستعمال أواني الفضة والمذهبة واستعمال الديباج والحرير ونقش صورة الحيوانات ورابعها إحضار الطعام فيستحب تعجيله ولا ينتظر الأقل من المدعوين ويستحب ترتيب الأطعمة فيقدم الفاكهة أولا ثم اللحم ثم الثريد ثم الحلوى بعد ذلك وخامسها الابتدار برفع المائدة قبل الاستيفاء حتى يرفع الأيدي ويقدم من الطعام قدر الكفاية فإن ما دون ذلك لوم وتقصير وسادسها الانصراف فيخرج مع الضيف إلى باب الدار وينصرف الضيف وهو طيب النفس ولا يخرج الضيف إلا برضا صاحب الدار

تكملة للباب

الأكل على أربعة أنحاء بإصبع واحدة من المقت وبإصبعين من الكبر وبثلث من السنة وبأربع وخمس من الشره وأربع تقوي البدن اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وشرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة وأربع تقوي البصر استقبال القبلة والكحل عند النوم والنظر إلى الخضرة والنظافة في اللباس وأربع تضعف البصر النظر إلى القذر والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة واستدبار القبلة وأربعة تزيد في الجماع أكل العصافير وأكل الأطريفل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير والنوم على أربعة أنحاء على القفا نوم الأنبياء وعلى اليمين نوم العلماء وعلى اليسار نوم الملوك وعلى الوجه نوم الشياطين وأربع تزيد في العقل ترك فضول الكلام والسواك ومجالسة العلماء والعمل بالعلم وأربع من العبادة الوضوء في كل حال وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن

الباب الثاني في ذكر آداب النكاح

وهو معين على الدين وحصن من الزلل والخطأ حصين وهو سنة سيد المرسلين وبه تفتخر المباهاة للأمة على أمم جميع النبيين ونحصر آدابه في بيانات ثلثة

ترجمتها ونفصلها بمعونة الله البيان الاول في بيان فضيلته
والترغيب فيه وقد اختلف العلما في حكمه فقال قايلون الافضل فعله وقال اخرون
الافضل تركه والمختار ما عليه الاكثر من العلما في فضل فعله قال تعالى وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم وقال تعالى ولا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن وقال في مدح الرسل وجعلنا لهم ازواجا وذرية وتعالى ان الله تعالى
لم يذكر في كتابه الكريم من الانبيا عليهم السلام الا المتاهلين بالنكاح وقد قيل
ان يحيى عليه السلام تزوج ولم يجامع واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الارض ويولد
له واما الاخبار فقوله صلى الله عليه النكاح سنتي فمن احب فطرتي
فليستن بسنتي وقال تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة وقال من
رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه من ترك النكاح مخافة العيلة فليس
منا وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج ومن استطاع منكم الباه
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج وقال اذا جاكم من ترضون خلقه
ودينه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير وقال صلى الله
عليه من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله واما الاثار فقد قال عمر
لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج
وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج
ولا القى الله عزبا وكان عمر يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وقال
سفيان الثوري في كثرة النسا ليس من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان من ازهد
الصحابة وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية وقيل لابراهيم بن ادهم طوبى
لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع
ما انا فيه وقال ما الذي منعك من النكاح فقال ما لي حاجة في امراة وما اريد ان اغر
امراة بنفسي وقيل فضل المتاهل على المتعزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من
متاهل افضل من سبعين ركعة من اعزب

النبيه الثاني في بيان فوايد النكاح وافاته وفيه خمس فوايد الاولى
الولد وهو الاصل لوله وضع النكاح والمقصود بقا النسل والا يخلو العالم
عن جنس الانس الثانية التحصن عن الشيطان وكسر توقان النفس ودفع
غوايل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج الثالثة ترويح النفس وايناسها
بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية على العبادة الرابعة تفريغ
القلب عن تدبير المنزل والتكفل بمعالجة المعيشة من الطبخ والفرش والكنس
وغسل الانية فان الانسان لو لم يكن له شهوة في الوقاع فانه يتعذر عليه

معيشة وحده

معيشته وحده الخامسة مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والقيام بحقوق
الزوجات والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشا
دهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن واما الافات
فثلاث الاولى العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما في هذه
الاوقات مع اضطراب المعايش وصعوبتها والنكاح سبب للتوسع في الطلب
والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك الاهل الثانية القصور عن القيام بحقوقهن
والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن الثالثة ان يكون الاهل والولد شاغلين
له عن الله تعالى وجاذبا له الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة
جمع المال وادخاره لهم وطلب التكاثر والتفاخر وكل ما شغل عن الله من اهل وولد
فهو مشوم على صاحبه ولا شك انه يثور من النكاح انواع من الشواغل من هذا
الجنس يستغرق القلب والفؤاد فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ القلب للتفكر
في الاخرة واعمالها فهذه مجامع الافات والفوايد

البيان الثالث في ذكر ما يراعى حالة العقد ويراعى في صحة العقد امور اربعة الاول منها اذن الولي فان
لم يكن فالامام او حاكمه الثاني رضا المراة اذا كانت بالغة بكرا كانت او ثيبا الا اذا
كانت صغيرة وزوجها غير الاب والجد الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة
الرابع الايجاب والقبول في المجلس واما ادابه فهي ستة اولها الخطبة الى الولي
بعد انقضاء العدة وان لا يكون خاطب اخر وثانيها الخطبة قبل العقد والتحميد
قبل الايجاب والقبول فيقول الولي الحمد لله والصلاة على محمد زوجتك ويقول الزوج
الحمد لله والصلاة على محمد قبلت نكاحها منك وثالثها استحباب النظر اليها قبل
النكاح ورابعها احضار جمع من اهل الصلاح وخامسها ان ينوي بنكاحه تحصين الفرج
وغض النظر وطلب الولد وسادسها يستحب العقد في المساجد واما الخصال
المطيبة للمعيشة فهي ثمان الاولى الدين والصلاح فان الدين من اهم المقاصد
واجلها ولهذا قال صلى الله عليه عليك بذات الدين تربت يداك الثانية حسن
الوجه فذلك ايضا مطلوب لان به يحصل التحصين الثالثة حسن الخلق وذلك
اصل مهم فان سوء الخلق وبذاءة اللسان يكدر المعيشة ويعظم الضرر بها
الرابعة ان تكون خفيفة المهر وقد نهي عن المغالات في المهور الخامسة

ان تكون ولودًا ويكره نكاح العقيم السادسة ان تكون بكرًا فان في البكارة فوايد كثيرة السابعة ان تكون نجيبة من اصل كريم لقوله صلى الله عليه واله وسلم اياكم وخضرا الدمن وهي المراة الحسنى في المنبت السوء الثامنة ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال صلى الله عليه واله لا تنكحوا القرابة القريبة

البيان الرابع في ذكر الموانع

من النكاح وجملتها احدى عشرة اولها ان تكون منكوحة للغير او معتدة عن الغير وثانيها ان تكون كافرة اما مرتدة او مجوسية او وثنية او زنديقة لا تنتسب الى كتاب ولا الى نبي فان كانت كتابية يهودية او نصرانية ففيه تردد بين العلماء والفتوى جواز نكاحها لظاهر الاية ٥ وثالثها ان تكون مملوكة والزوج حر قادر على طول الحرة غير خايف عنتًا وخامسها ان تكون مملوكة للناكح فانه لا يجوز وطؤها بالنكاح ويجوز بملك اليمين وسادسها ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فروعه او فروع اول اصوله او من اول فرع من كل اصل بعده اصل ونعني بالاصول الامهات والجدات وبالفروع البنات وبنات البنين وبفروع اول اصوله الاخوات وبنات الاخوة وباول فرع من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن وسابعها ان تكون محرمة بالرضاع فانه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفروع كما سبق وثامنها تحريم المصاهرة والربيبة لا تحرم الا بالدخول بالام وهل تحرم الام بالعقد على البنت او بالدخول بها فيه تردد والفتوى انها لا تحرم الا بالدخول بالبنت وتاسعها ان تكون المنكوحة خامسة وعاشرها ان تكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها وحادي عشرها ان تكون محرمة بحج او عمرة والزوج كذلك فهذه كلها محرمات للنكاح

البيان الخامس في ذكر اداب المعاشرة في النكاح

وفيه نظرات النظر الاول في بيان ما على الزوج وعليه مراعاة وظايف عشر الاولى منها الوليمة وهي مستحبة قال الرسول صلى الله عليه واله لعبد الرحمن اولم ولو بشاة الثانية حسن الخلق معهن واحتمال الاذى ترحما عليهن لقصور عقولهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف الثالثة ان يزيد على الاحتمال بالمداعبة واظهار المزاح فانه يجلب قلوب النسا الرابعة الا يبسط في المداعبة وحسن الخلق لها بالموافقة

لها بالموافقة لها باتباع هواها الى حد يفسد خلقها عليه ويسقط هيبته بالكلية بل يراعي في ذلك الاعتدال فلا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرًا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض الخامسة الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوايلها ولا يبالغ في اساة الظن والتعنت السادسة الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد في الامر كله السابعة ان يتعلم الزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلوة والعبادات وما يقضى منها في حال الحيض وما لا يقضى الثامنة اذا كان له زوجات فينبغي ان يعدل بينهن في القسمة ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن تطييبًا للنفوس التاسعة اداب الجماع فيستحب التسمية عند الابتدا ويقرا قل هو الله احد ويكبر ويهلل وينحرف عن القبلة وليستترا ولا ياتيها في الحيض وان انقضى الحيض فلا ياتيها حتى تغتسل الى غير ذلك من الاداب المستقصاة في علم الفقه العاشر اداب الولادة بكره فرحه بالذكر وحزنه بالانثى ويؤذن في اذن المولود ويسميه ويعق عنه بشاتين عن الغلام وشاة عن الجارية النظر الثاني في بيان ما على الزوجة من حقوق الزوج والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق وهي رقيقة فعليها طاعة الزوج مطلقًا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وعليها القعود في بيتها لا تخرج الا باذنه ولا تكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها ولا تفتخر على الزوج بجمالها ومالها ولا تزدري زوجها لقبحه او فقره وعليها ملازمة الصلاح في الغيبة لزوجها والرجوع الى اللعب والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال

الباب الثالث في ذكر اداب الكسب

والمعاش وطلب

اعلم ان الله تعالى قد جعل الاخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمير والاكتساب والدنيا مزرعة الاخرة ومدرجة اليها والاقتصاد محمود والاسراف مذموم ولن تنال رتبة الاقتصاد ما لم يلازم في المعيشة مسلك الرشاد واعلم ان الكلام في انواع الكسب ووجوه المكاسب والكلام في عقد البيع وانواع التجارات وعقود المعاوضة نحو بيع المرابحة والصرف والسلم وغير ذلك من انواع المعاوضات طويل ولكنا نقتصر ههنا على ما يتعلق بامور الاخرة من ذلك فنذكر فضل الكسب وما ينبغي للمكلف فعله مما يتعلق

باجراء الدين فهذه ان تقريرات **التقرير الاول في بيان فضل الكسب** قال الله تعالى وجعلنا
النهار معاشا ذكره في معرض الامتنان على الخلق قال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش وقال
تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون
من فضل الله وقال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله **واما** الاخبار
فقوله صلى الله عليه وآله ان من الذنوب ما لا يكفره الا الهم بنفقة العيال وفي
حديث آخر الا طلب المعيشة وقال التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع
الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وآله من طلب الدنيا حلالا تعففا
عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة
البدر وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها
عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي حديث آخر ان الله يحب
العبد المحترف وقال صلى الله عليه وآله احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور
وقال صلى الله عليه وآله عليكم بالتجارة فانها تسعة اعشار الرزق وروي ان عيسى
عليه السلام قال لرجل ما تصنع قال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك
واما الآثار فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه
ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب
مروته واعظم من هذه الخصال الثلاث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه
لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني قد علمتم ان السماء لا تمطر
ذهبا ولا فضة وكان زيد بن اسلم يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن
عن الناس يكون اصون لدينك واكرم لك عليهم وقال ابن مسعود اني لاكره ان ارى
الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق أهو
احب اليك او المتفرغ للعبادة فقال التاجر احب الي لانه في جهاد وقال عمر رضي الله عنه
ما من موضع يأتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري
التقرير الثاني فيما يجب على التاجر في احراز دينه **اعلم** انه لا ينبغي للتاجر ان يشغله
معاشه عن صلاح معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح
من الآخرة لا يفي به ما يناله من الدنيا بل ينبغي ان يشفق على دينه وعلى نفسه بحفظ
رأس ماله ورأس ماله دينه فيراعي في ذلك امورا سبعة الاول منها حسن النية
والعقد في ابتداء التجارة فينوي بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس

الثاني ان يقصد بالقيام في صنعته وتجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات
والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل
فريق بعمل ولو اقبلوا كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي **الثالث** ان لا يمنعه سوق
الدنيا عن سوق الآخرة واسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة **الرابع** ان لا يقتصر على هذا بل يلازم
ذكر الله تعالى في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل وذكر الله تعالى في السوق بين
الغافلين **الخامس** ان لا يكون الحرص على السوق غالبا عليه ولا يشتد حرصه على ذلك
بان يكون اول داخل وآخر خارج وان يركب البحر في التجارة فانه يقال من ركب البحر
فقد استقصى في طلب الرزق **السادس** ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواضع
الشبه ومظان الريبة ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي نفسه فما وجد فيه حزازة
تركه وما طابت به نفسه فعله **السابع** انه ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته
مع كل احد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب
في كل فعله وقوله فقد قيل ان التاجر يوقف يوم القيمة مع كل رجل كان باعه شيئا
وقفة ويحاسب عن كل واحد ممن عامله فهذا ما اردنا ذكره من المعاملة والعدل
والاحسان والشفقة على الدين من التجار والله اعلم

الباب الرابع في الحلال والحرام وبيان مواقعهما

اعلم ان طلب الحلال فريضة على كل مسلم وهذه
الفريضة من بين سائر الفرائض اعصاها على النفوس فهما وعملا واثقلها على الجوارح
تحملا وفعلا وادقها بيانا واخفاها جريانا ومن اجل ذلك اندرست بالكلية عملا
وعلما وصار بغموض علمها سببا لاندراس عملها اذ ظن بعض الجهال ان الحلال قد صار
مفقودا وان السبيل دون الوصول اليه لا يزال مسدودا وانه لم يبق من الطيبات الا
الماء الفرات والحشيش والنبات في الارض الموات وما عدا ذلك فقد اخبثته
الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة وهيهات هيهات بل الحلال
بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات ولا تزال هذه المراتب الثلاث مقترنات كيفما
تقلبت الاحوال فلا جرم عظمت العناية في تقرير هذا الباب وذكر ما يليق بالكتب
الوعظية وما عدا ذلك فهو محال على الكتب الفقهية والذي نذكرها هنا ايضاحات
اربعة **الايضاح الاول** في بيان فضيلة الحلال ومذمة الحرام قال الله تعالى كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا امر بأكل الطيبات قبل العمل وهو المراد بالحلال وقال
تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما

«إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا»، وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، ثم قال تعالى فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، والآيات الواردة في الحلال والحرام كثيرة لا تحصى **وأما** الأخبار فقد روى ابن مسعود عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سعى على عياله من حلّه فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالًا في عفاف كان في درجة الشهداء، وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أكل حلالًا أربعين يومًا نوّر الله قلبه، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه، وفي رواية أخرى زهّده الله في الدنيا وروي أن سعدًا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يسأل الله له أن يجعله مجاب الدعوة فقال أطب طعمتك تستجاب دعوتك، ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحريص في الدنيا قال رب أشعث أغبر مشردًا في الدنيا بالأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فأنى يستجاب له، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه أن لله ملكًا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حرامًا لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به **وأما** الآثار فروي أن عمر شرب لبنًا من إبل الصدقة فأدخل إصبعه وتقيّأه، وقالت عائشة إنكم تغفلون عن أصل العبادة الورع، وقال عبد الله بن عمر لو صلّيتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ما تقبّل الله ذلك منكم إلا بورع حاجز، وقال الفضيل بن عياض من عرف ما يدخل بطنه كتبه الله صدّيقًا فانظر عند من تفطر يا مسكين، وقيل لإبراهيم بن أدهم لم لا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت، وقال سفيان الثوري من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهّر الثوب بالبول والثوب لا يطهّره إلا الماء والذنب لا يكفّره إلا الحلال، وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء وأسنانها لقم الحلال، وقال ابن عباس لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام، وقال بعض الحكماء من أكل الشبهة أربعين يومًا أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، وقال بعض الزهاد من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى ومن كانت طعمته حلالًا أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات، وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن أقام نفسه مقام ذلة في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق الشجر، وعن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه لم يأكل طعامًا بعد قتل عثمان ونهب الدار إلا مختومًا عليه حذرًا من الشبهة، وعن بعض الزهاد من لم يسأل عما أكله لم يسأل الله من أي باب إلى النار أدخله

الإيضاح الثاني

في بيان مداخل الحلال والحرام وأصنافهما اعلم أن تفصيل الحلال والحرام إنما يليق بكتب الفقه، والذي نذكره هاهنا هو ما يحتاج طالب الآخرة وما ينبغي من التلبّس بدوام استعماله وطلبه، ونحن الآن نشير إلى مجامعه في تقسيم حاصر وهو أن المال إنما يحرم إما لمعنى في عينه أو لمعنى في وجه اكتسابه فهذان قسمان

القسم الأول ما يحرم لصفة في عينه كالخمر والخنزير والكلب وتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض تكون على أوجه ثلاثة، أولها المعادن كالملح والطين وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث المضرة بالأكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان يضر لحرم أكله والطين الذي يعتاد أكله لا يحرم إلا من جهة المضرة فإلا يضر يجوز أكله، وثانيها النباتات فإنه لا يحرم منها إلا ما كان مزيلًا للعقل كالبنج والخمر وسائر المسكرات أو مزيلًا للحياة نحو السموميات كلها، أو مزيلًا للصحة كالأدوية في غير وقتها، وثالثها الحيوانات فأما حيوانات البحر فكلها مأكول، وأما حيوانات البر فما كان منها لا يذكى كالذي ذكاته صيده كالجراد والشطوى، وما كان منها يذكى فإنما يحل إذا ذكي ذكاة شرعية، وروعي فيه شروط الذابح والآلة، وما لم يذبح ذبحًا شرعيًا فهو حرام كما هو مذكور في كتاب الصيد، ولا يحل لنا إلا ميتتان السمك والجراد

القسم الثاني ما يحرم لخلل يعرض فيه وذلك يكون على نوعين

فالنوع الأول تحريمه يعرض من جهات ثلاث، الأولى أن يكون أخذه على جهة الإكراه من صاحبه كالأموال المأخوذة على جهة الظلم والمصادرة فما هذه حاله حرام، كما أشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه، الثانية المال المأخوذ على جهة الرضا لكنه على جهة محظورة، ومنفعة مكروهة كأجرة البغي وحلوان الكاهن والأجرة على الغناء، الثالثة أن تكون هذه المنفعة واجبة كالأجرة على الجهاد في سبيل الله تعالى فما هذه حاله من هذه الأموال فهو حرام لا يجوز تناوله

النوع الثاني تحليله وذلك يكون من جهات، الأولى منها ما لا مالك له كالمعادن وإحياء الموات والاحتطاب والاحتشاش، الثانية المأخوذ قهرًا مما لا حرمة له كالغنيمة والفيء فإنها حلال للمسلمين بشرط جريها على قانون الشرع من صحة القسمة وإخراج خمسها، الثالثة ما يؤخذ قهرًا من مالكه باستحقاق من غير رضاه إما بإذن الإمام أو بإذن الحاكم كسائر الأمور المحكوم بها على من أنكرها بالبينة، الرابعة ما يؤخذ على جهة التراضي بمعاوضة وهذه نحو البيع والشرى والإجارة والحوالة والقراض والشركة وغيرها، الخامسة ما يؤخذ بالتراضي من غير عوض وهو حلال إذا روعي شرط المعقود عليه وهذه نحو الهبة والصدقة والوصية، السادسة ما يحصل من غير اختيار كالميراث

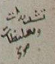
اذا كان الموروث قد اخذه فهذه جميع مداخل الاموال في التحريم والتحليل قد اشرنا الى جملتها ليكون السالك لطريق الآخرة على حقيقة من امره وبصيرة في حاله

الايضاح الثالث في بيان درجات الورع في الحلال والحرام

اعلم ان الحلال كله طيب وبعضه اطيب من بعض والحرام كله خبيث وبعضه اخبث من بعض فنقول الورع يكون على درجات اربع نفصلها بمعونة الله تعالى • الدرجة الاولى ورع العدالة وهذه الذي يجب الفسق باقتحامه • وتسقط عدالة آخذه ويلحق اسم الظلم ويتعرض للوعيد بالنار وهذه هي مداخل الاموال الظلمية • الدرجة الثانية ورع الصالحين وهذه هو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في تناوله بناء على الظاهر • الدرجة الثالثة ورع المتقين وهو الذي لا يحرمه فتوى ولا شبهة في حله لكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس • الدرجة الرابعة ما لا بأس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤديه الى ما به البأس ولكنه يتناول لغير الله ولغير التقوى وهذه هو ورع الصديقين فهذه درجات للورع تكون كما اشرنا اليه والله اعلم

الايضاح الرابع في بيان ما يحل من مخالطة امراء الظلم والجور والسلاطين

واعلم ان لصاحب الدين معهم ثلاثة احوال • الحالة الاولى وهي حالة النجاة ان تعتزلهم فلا تراهم ولا يرونك وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليك ان تعتقد بغضهم على ظلمهم وطردهم وابعادهم واستحقاق البراءة واللعن لما هم فيه من الظلم للخلق والجور ولا تأسف على مفارقتهم ولا تتخبر عن احوالهم • الحالة الثانية ان يدخل عليك الظالم الزائر فهذه دون الاولى لكن فيها تعرض للمعصية ايضا وجواب السلام لا بد منه اذا سلم عليك واما القيام في وجهه للاكرام فلا يحرم لانه مقابلة الاكرام بالدخول عليك ولانه اكرام للعلم والدين فلا بأس به ولكن يتوجه عليك امور ثلاثة التعريف له بجهله لاقدامه على الظلم والجور والتخويف له فيما هو مستجر عليه من ظلم الخلق والارشاد له الى ما هو غافل عنه من معصية الله تعالى في خلقه فهذه الامور كلها لازمة لمن دخل عليه الظالم لا محالة • الحالة الثالثة وهي اخطرها في الدين وهي



مذمومة من جهة الشرع وقد ورد فيها تشديدات وتغليظات تواردت بها الاخبار والآثار وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ابغض القراء الى الله تعالى الذين يزورون الامراء وفي حديث آخر خير الامراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الامراء وفي حديث آخر العلماء امناء الرسول

على علماء ام

على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك الفعل فاحذروهم واعتزلوهم وعلى الجملة فالداخل على السلطان متعرض لمعصية الله اما بفعله بالدخول عليهم واما بقوله فيدعو للظالم ويثني عليه واما بسكوته عن النكير عليهم واما باعتقاده فيكاد لا يسلم اذا رأى ما هو عليه من النعمة من اعتقاد ذي وفي اعتزالهم سلامة عن هذه الاخطار كلها فلا جرم كان واجبا

الباب الخامس في بيان آداب الصحبة

والمعاشرة مع اصناف الخلق اعلم ان الاخوة في الله تعالى وفي الدين من افضل القربات والطف ما يستعان به على الطاعات في مجاري العادات ولها شروط يلحق المتصاحبون بها المتحابين في الله ومنها حقوق بمراعاتها تصفو الموبة ونظم المحبة وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العالية عند الله تعالى ولنذكر فضيلة الصحبة والاخوة ثم نردفه بالكلام في بيان حقوقها ثم نذكر الصفات المعتبرة فيمن يختار صحبته فهذه تقريرات ثلاثة

التقرير الاول في بيان فضيلة الاخوة والصحبة • اعلم ان الالفة والصحبة من حسن الخلق والتفرق من سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحابب والتآلف وسوء الخلق يوجب التباغض والتنابذ • وقد مضى فيه ما فيه كفاية • وقد قال تعالى مظهرا نعمته على الخلق بنعمة الالفة لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم • وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون • وقال صلى الله عليه ان اقربكم مني مجالس يوم القيامة الذين يألفون ويؤلفون • وقال في الثناء على الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه • وقال صلى الله عليه المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف • وقال صلى الله عليه مثل الاخوين اذا التقيا كمثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا • وقال في الترغيب في الاخوة في الله تعالى من آخى اخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله • وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ بن جبل اني احبك في الله فقال ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش ومنابر من نور يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله • وروى ابو هريرة عن

الرسول صلى الله عليه قال ان حول العرش منابر من نور عليها قوم
لباسهم نور و وجوههم نور ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون
والشهدا فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله المتجالسون في
الله المتزاورون في الله و قال صلى الله عليه ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما
الى الله اشدهما حبا لصاحبه ❁ و يقال ان الاخوين في الله ان كان احدهما
اعلى مقاما من الاخر رفعه الله معه الى مقامه وانه يلحق به كما تلحق الذرية
بالابوين ❁ و قال صلى الله عليه ان الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون
من اجلي و وجبت محبتي للذين يتحابون من اجلي و وجبت محبتي للذين يتباذلون
من اجلي و وجبت محبتي للذين يتناصرون من اجلي ❁ و قال ان الله تعالى يقول
يوم القيمة اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي ❁ و قال
صلى الله عليه المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمرا في راس كل عمود
سبعون الف غرفة يشرقون على اهل الجنة يضي حسنهم لاهل الجنة كما تضي الشمس
لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر المتحابين في الله فيضي حسنهم
لاهل الجنة كما تضي الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون
في الله ❁ و قال صلى الله عليه اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
و قال صلى الله عليه ان لله ملكا نصفه من النار و نصفه من الثلج يقول
اللهم كما الفت بين الثلج والنار الف بين عبادك الصالحين ❁ و قال صلى الله عليه
ما احدث احد اخا في الله الا احدث الله له درجة في الجنة ❁ و قال صلى الله
عليه ما زار رجل رجلا في الله شوقا و رغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه
طبت وطاب ممشاك و طابت لك الجنة ❁ و في اخبار داود عليه السلام قال
رب كيف لي ان يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس
باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك ❁ و في حديث اخر خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا اهل
الدنيا وخالق اهل الاخرة باخلاق الاخرة ❁ و اما الاثار فقال
امير المومنين علي كرم الله وجهه عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والاخرة
الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ❁ و قال عبد الله
بن عمر والله لو صمت النهار لا افطر و قمت الليل لا انام و ليس في قلبي حب
لاهل طاعة الله تعالى و بغض لاهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا ❁ و قال
بعض السلف عند موته اللهم انك تعلم اني اذ كنت اعصيك كنت احب من يطيعك
فاجعل لي ذلك قربة اليك ❁ و قال الحسن علي يا ابن ادم لا يغرنك قول
من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق بالابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى

يحبون انبياهم وليسوا معهم ❁ و قال الفضيل بن عياض في بعض كلامه
هاه تريد ان تسكن الفردوس و تجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين باي عمل عملته باي شهوة تركتها باي غيظ كظمته
باي رحم قاطع وصلتها باي زلة لاخيك غفرتها باي قريب باعدته في الله باي
بعيد قربته في الله ❁ و يروى ان الله اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت
لي عملا قط قال الهي صليت لك وصمت و تصدقت و زكيت فقال ان الصلوة لك
برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكوة نور فاي عمل عملت لي قال
موسى الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا و عاديت لي عدوا
قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله ❁ الفرع

الثاني ❁ في بيان حقوق الصحبة والاخوة ❁ اعلم ان عقد الاخوة رابطة
بين الشخصين كعقد النكاح الرابط بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا
يجب الوفا بها قياما بحق النكاح كما سبق تقريره فكذا عقد الاخوة ❁ فلاخيك
فلاخيك عليك حقوق هي من شان الاخوة وكمالها وجملتها ثمانية ❁

الحق الاول في المال ومتى كانت الاخوة صادقة فله في المال
مراتب اربع ان تؤثره على نفسك وهذه هي النهاية وان تنزله منزلة نفسك وهذه
بعدها وان تنزله منزلة ولدك في مالك وان تنزله منزلة عبدك ولهذه المراتب احكام
شرحها يطول ❁ الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضا الحاجات والقيام
بها قبل السؤال ❁ قال جعفر بن محمد اني لاسارع في قضا حوائج اعدائي مخافة ان
اردهم فيستغنوا عني فهذا في حال الاعداء فكيف حال الاصدقاء ❁
وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجاه بهدية فقال ما هذه
فقال لما اسديته الي ❁ فقال خذ مالك عافاك الله اذا سالت اخاك حاجة
فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضى للصلوة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في
الموتى واقرا هذه الاية والموتى يبعثهم الله ❁ الحق الثالث
اللسان بالنطق و النطق في حقه يكون بالدعاء له باحب اسمائه اليه في
غيبته وحضوره وثنى عليه بمحاسن احواله وان تشكره على صنيعه في حقك
وان تذب عنه في حال غيبته عنك ❁ قال عمر ثلث يصفين لك ود اخيك ان
تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن
صفو المحبة ان تخبره بمحبتك له و قد قال الرسول صلى الله عليه اذا احب احدكم
اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لانه يوجب زيادة محبة فانه اذا عرف انك
تحبه احبك بالطبع لا محالة ❁ و اذا عرفت انه يحبك زاد حبك له الحق الرابع

السكوت عنه وذلك ان تسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته فتسكت عن
كل امر تكرهه جملة وتفصيلا وتسكت عن الرد عليه فيما يتكلم فلا تماريه
ولا تناقشه ولا تتجسس عن اخباره وعيوبه وان تسكت عن اسراره التي يلقيها
اليك واذا رايته في طريق او حاجة لم تفاتحه بذكر غرضه او مصدره ومورده
فان ذلك مما يثقل عليه وان تسكت عن ذكر اهله واولاده بما يسوءهم وان تسكت
عن قدح غيره فيه وقال انس كان مما رسول الله صلى الله عليه لا
يواجه احدا بما يكرهه وقال صلى الله عليه ان الله يكره لكم البيان كل
البيان يعني التصريح بالمساوي كلها وقال بعض الزهاد المومن يطلب المعاذير والمنافق
يطلب العثرات والله اعلم. **الحق الخامس** العفو عن
الزلات والهفوات والصديق اذا هفا فليس يخلو اما ان تكون هفوته
في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصير في الاخوة فاذا كانت الهفوة
في الدين فعليك التلطف له في نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيده
الى الصلاح والاستقامة فان اصر على الخطيئة وكان ان يرعوي فهل يقطع
او يواصل فيه تردد بين العلماء والعوى المصارمة في الله تعالى واما ان تكون
زلته في حقك مما يوجب الوحشة فالاولى العفو والاحتمال في كل ما يحتمل
تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق
الاخوة. **الحق السادس** الدعاء للاخ في حياته وبعد وفاته بكل ما يحبه
لنفسه واهله وكل من يتعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك
وبينه فان دعاك له دعاء لنفسك على التحقيق وقال صلى الله عليه اذا دعا الرجل
لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي خبر اخر يستجاب للرجل
في اخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي حديث اخر دعوة الاخ لاخيه في
الغيب لا ترد. **الحق السابع** الوفا والاخلاص ومعنى الوفا الثبات
على الحب والادامة له الى الموت وبعده مع اولاده واصدقائه
فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي
ولهذا قال صلى الله عليه في السبعة الذين يظلهم الله في ظله رجلان تحابا
في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا وقال بعضهم قليل الوفا بعد الوفاة خير من كثير
في الحياة وروي انه صلى الله عليه اكرم عجوزا لما دخلت عليه فقيل له في
ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين. **الحق الثامن**
التخفيف وترك التكلف ومعنى ذلك ان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح على نفسه
من مهماته وحاجاته ويرفهه من ان يحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد

من جاه

منه من جاه ولا من مال ولا يكلفه التواضع له ولا التفقد لاحواله والقيام
بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه
واستعانة على دينه وتقربا الى الله بحقوقه وقال بعضهم من اقتضى من اخوانه
ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم
يقتض منهم فهو المتفضل عليهم فهذا ما اردنا ذكره من جملة حقوق الصحبة على
جهة الاختصار والايجاز. **الباب الثالث في بيان الصفات
المعتبرة فيمن تختار صحبته** اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان
قال صلى الله عليه المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلا بد من خصال يتميز
بها وخصال ترغب في صحبته من اجلها وجملة ما ذكر من ذلك خمس خصال **الخصلة الاولى**
العقل فانه راس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق والى الحمق يرجع
والوحشة ترجع والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واغاثتك من حيث لا يدري
ولهذا قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله تعالى وقال الشعبي النظر الى وجه الاحمق
معصية مكتوبة ونريد بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليه اما بنفسه
اذا فهم فهم. **الخصلة الثانية** حسن الخلق فلا بد منه اذ
رب عاقل يدرك الاشيا على ما هي عليه ولكنه اذا غلبه غضب او شهوة او بخل
او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر ما هو مجبول عليه
فلا خير في صحبته. **الخصلة الثالثة** الدين فلا خير في صحبة الفاسق المصر
على فسقه لان من يخاف الله فانه لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله فلا تؤمن
غوائله ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقد قال تعالى ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى واتبع سبيل من اناب الي
وقال فاعرض عن من تولى عن ذكرنا وفي مفهوم ذلك زجر عن صحبة الفاسق
الخصلة الرابعة البذل فلا ينبغي صحبة البخيل فان صحبته [illegible]
لم يكن نافعا لنفسه فيكون نافعا لغيره قال بعض الزهاد النظر الى البخيل يقسي القلب
ولقاء البخيل كرب على قلوب المومنين وقال الرسول صلى الله عليه ان الله خلق
البخل من مقته وجعل اصله في اصل شجرة الزقوم وقال رسول الله صلى الله عليه اي داء
ادوى من البخل وقال الرسول صلى الله عليه شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع
الخصلة الخامسة الحرص على الدنيا [illegible] الطباع مجبولة
على التشبه والاقتدا بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة
الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهدك في الدنيا فمن اجل ذلك تكره صحبة
طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغب في الاخرة وقال امير المومنين كرم الله

احيوا الطاعات بمجالسته من يستحيا منه ٥ وقال لقمن لابنه يا بني جالس العلما وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيى بالحكمة كما تحيا الارض الميتة بوابل المطر ٭ فاما اهل البدع والضلالات من اصحاب الاهوا ففي صحبتهم خطر عظيم ٥ هو خوف السراية للبدعة اليك وتعدى شومها الى نفسك والمبتدع يستحق المقاطعة ٥ والمهاجرة فكيف تومن صحبته ٥ وقال عمر رضي الله عنه لا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله في كل امورهم ٥

الباب السادس في بيان الحب في الله والبغض فيه

اعلم ان ما هذا حاله فهو غامض دقيق فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشي الملتذ به فان تاكد الميل فقوى سمي عشقا وهو المحبة المفرطة والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن الشي المولم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فلنذكر ما يتعلق بالمحبة ثم نذكر ما يتعلق بالبغض فهاتان مرتبتان ٥ ما يتعلق بالمحبة ويقع على اوجه اربعة الاول الوجه الحب للشي لذاته وما هذا حاله فهو ممكن وهو ان يكون في ذاته محبوبا لك على معنى انك تلتذ برويته ومعرفته ومشاهدته والتفكه باخلاقه لاجل استحسانه فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ فهو محبوب ٭ ثم ان ذلك المستحسن اما ان يكون هو الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة وتمام القد وجمال الهيئة ٭ واما ان يكون هو الصورة الباطنة اعني حسن الاخلاق ٭ ونحو غزارة العلم وفصاحة اللسان وحسن النطق وكل ذلك مستحسن عند كل طبع سليم وعقل مستقيم ٭

وتليته ويكون معناه الوجه الثاني ان يكون يحبك لغير ذاته والمحبوب غير ذاته ولا سكان الوسيلة الى المحبوب محبوبة وما يحب لغيره كان ذلك هو المحبوب بالحقيقة ولهذا فان الناس يحبون الذهب والفضة ولا غرض لهم فيهما اذ هما لا يطعمان ولا يشربان ولكنهما وسيلة الى كل محبوب وغرض مطلوب من الناس من يحب غيره كما يحب الذهب والفضة من جهة انهما وسيلتان الى الغرض فيحبه لانه يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او جاهه الوجه الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الاخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك ان يحب استاذه وشيخه لانه يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العمل والعلم الفوز في الاخرة واحراز السعادة الاخروية فما هذه الحالة يكون من جملة المحبين في الله ٥ وهكذا فانه يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى الى درجة التعظيم في ملكوت السما كما قال عيسى صلى الله عليه من علم وعمل وعلم فذلك يدعى في ملكوت السما عظيما والله اعلم الوجه

الرابع ان يحب لله تعالى وفي الله لا لينال منه علما ولا عملا وما هذا حاله فهو اعلى الدرجات وادقها واغمضها وهذا القسم ممكن فان من اثار الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق به ولو بعد من احب الله تعالى وغلب على قلبه حبه واستولى عليه حتى انتهى الى كل حالة في الاستهتار فانه يتعدى الى كل موجود سواه من اثار قدرته ٭ ومن احب انسانا احب صنعته وخطه وجميع افعاله ٭ ولهذا فان رسول الله صلى الله عليه كان اذا وقع المطر استمطر وانا له جسمه وقال هذا قريب العهد بربه واذا حصل من الفواكه بالبواكير مسح بها وجهه واكرمها وقال انها حديثة بربها

المرتبة الثانية في بيان ما يتعلق بالبغض ٭

فاعلم ان كل من احب في الله فانه لابد ان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله تعالى ومحبوب عنده فان عصاه فلا بد من ان تبغضه لانه عاص لله ممقوت عنده فهما متلازمان كما ترى ٥ ثم ان اهل البغض هم اهل العداوة من الكفار والفساق وهم على صفات مختلفة واحوال متباينة لبيان المخالفين من الله لا يخلو اما حالة اما ان يكون مخالفا في عقيدته او في عمله فهاتان حالتان ٭

الحالة الاولى

ان يكون مخالفا في عقيدته ويقع على اوجه ثلثة ٭ الوجه الاول منها ان يكون كافرا فان كان محاربا فهو مستحق للقتل والاسترقاق وليس بعد هذين اهانة ٭ وان كان مرتدا او حب قتله ٭ وان كان ذميا فلا يجوز ايذاوه الا بالاعراض والتحقير له والاهانة الى غير ذلك من الاذايات ٭ الوجه الثاني المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من امر الذمي لانه لا يقر بجزيته ولا يسامح بعقد ذمة وان كانت بدعته بحيث لا يكفر بها فامره احف من حكم الكافر ولكن النكير عليه اشد لان شر الكافر مقصور عليه وشر هذا يتعدى ٭ الوجه الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعا ولا يخاف الاقتدا به وامره اهون فالاولى لا يبالغ بالتغليظ والاهانة بل يلطف له في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فيعرض عنه لبين في الاعراض زجر له عن بدعته

الحالة الثانية

ان يكون مخالفا في عمله ثم يقع ذلك على اوجه ثلثة ٥ الوجه الاول وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهولاء الاولى هو الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عنهم وطردهم واغاظتهم من جهة ان معصيتهم شديدة لما فيها من ايذا الخلق ٭ الوجه الثاني الذي يفسق بشرب المسكر واتيان فاحشة الزنا وترك الصلوة

من هذه حالة فانه يضرب الحد على ارتكابه للمعصية فان صودف على هذه
المعصية وجب منعه بالضرب والحبس وغير ذلك وان انزع عن ذلك وعلم
ان ذلك له عادة فالواجب وعظه وان تحقق ان نصحه ينفع من العود فالواجب
نصحه الوجه الثالث الذي يكون غايته في الدعا الى الفسق والفجور وسائر
المعاصي من الغناء وشرب المسكر والزنا باحضار الالات وتسهيلها وتهيئة
القضايا لاحضار الات اللهو والغيبان فان من هذه حاله يفسد على الناس اديانهم
ويجتاحها فان هذه معصية عظيمة فالواجب هو الاهانة له والاعراض والمقاطعة
له حتى ينزع عما هو فيه من الدعا الى المعاصي وقد تم غرضنا مما نريده من
المحبة والبغض في الله تعالى **الباب السابع في بيان الحقوق**
اللازمة للمسلمين بعضهم على بعض لاجل الاسلام والدين اعلم ان الانسان اما
ان يكون وحده او يكون معه غيره فاذا تعذر عيش الانسان الا بالمخالطة من هو
من جنسه لم يكن بد من ادراك الاداب المخالطة والمخالطة لا بد لها من رابطة واعظم
الروابط رابطة الاسلام فانها من اقوى الروابط وقد عظم الله حرمتها ورفع
شانها وهي الاخوة في الدين وقد اخى صلى الله عليه امير المومنين كرم
الله وجهه اخا له حيث قال علي ابن ابي طالب اخي ووزيري وقاضي ديني وقال
له انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فاما الخلة فهي فوق
الصحبة والاخوة ولم يكن له اتخذ خليلا وقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا
بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله لان الخليل هو الذي تتخلل المحبة جميع اجزا
قلبه ظاهرا وباطنا وتستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه صلى الله عليه سوى
حب الله تعالى فكان صلى الله عليه حبيب الله وخليله وقد روي انه صعد
المنبر فرحا مستبشرا فقال ان الله قد اتخذني خليلا فانا حبيب الله وانا خليل
الله فاما الايثار فهو الالقاء بالنفس والوقاية بها كما كان من ابي بكر في الغار
من وقايته بنفسه عن نهش الحية وكما كان من ابي طلحة اذ جعل شخصه وقاية لشخصه
الكريم صلوات الله عليه ونحن الان نبدا بذكر حقوق الاسلام لانها العامة
والنافعة وجملة ما نذكره من ذلك اداب ثلاثون اولها ان يسلم عليه اذا لقيه
ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا
مات ويبر قسمه اذا اقسم وثانيها ان يحب لكافة المسلمين ما يحب لنفسه
ويكره لهم ما يكره لنفسه وثالثها الا يؤذي احدا من المسلمين بفعل ولا

بقول

بقول ورابعها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله تعالى لا يحب كل
مختال فخور وخامسها الا يسمع فيه كلام متكلم ولا يسعى الى بلاغات الناس
في بعضهم بعض ولا يبلغ بعضهم ما سمع من بعض وسادسها الا يزيد في
هجر من يهجره على ثلث في ترك رد السلام وسابعها ان يحسن الى من قدر عليه
منهم ما استطاع ولا يميز بين الاهل وغيرهم وثامنها الا يدخل على احد الا باذنه
ويستاذن ثلثا فان لم يوذن له انصرف وتاسعها ان يخالق الجميع بخلق حسن
ويعاملهم بحسب طرايقهم وعاشرها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان
والنسوان وحادي عشرها ان يكون مع كافة الخلق منطلق الوجه كثير البشر
وثاني عشرها الا يعد مسلما وعدا الا ويفي به ولا يخلفه وثالث عشرها ان
ينصف الناس من نفسه ويزيد على غيره وينزل الناس منازلهم ورابع
عشرها ان يصلح ذات بين المسلمين مهما وجد الى ذلك سبيلا وسادس عشرها
ان يستر عورات المسلمين كلهم كما وردت به السنة وسابع عشرها ان
يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن التهم ولالسنتهم عن الغيبة
وثامن عشرها ان يكون شافعا لكل من له حاجة من المسلمين الى من له
منزلة فيسعى في قضا حوايجهم ما يقدر عليه وتاسع عشرها ان يبدأ كل من وجد
من المسلمين عند السلام عليه والعشرون ان يصون عرض اخيه المسلم
ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر عليه ويرد عنه ويناضل الحادي
والعشرون ان الله اذا ابلى بذي خلق سيء فينبغي ان يحامله ويتقيه الثالث والعشرون
ان يجتنب مخالطة الاغنيا ويختلط بالمساكين الرابع والعشرون النصيحة
لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه الخامس والعشرون ان يعود
مرضاهم والدعا لهم واظهار الرافة والرحمة لهم السادس والعشرون
ان يشيع جنايزهم وان يقف حتى يدفن الميت لما ورد في الخبر السابع والعشرون
ان يزور قبورهم والمقصود هو الدعا والاعتبار وترقيق القلوب الثامن
والعشرون خفض الجناح ولين العريكة والتواضع للمسلمين التاسع والعشرون
الا يستصغر احدا من المسلمين حيا كان او ميتا الثلاثون ان تكون غايتهم
كل منفعة ودافعا لكل مضرة مهما كان قادرا على ذلك ممكنا منه فهذه جملة
كافية تشتمل على اداب المعاشرة مع عموم الخلق. **والجملة**
الجامعة لمحاسن الاداب مع عموم الخلق الا يحتقر احدا ولا
ينظر الى اهل الدنيا بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة
عند الله تعالى صغير ما فيها ومهما عظمت حال اهل الدنيا في عينك فتسقط
من عينه فقد عظمت الدنيا

دنياهم فتنال من دنياهم وتضيع اخرتهم ثم تحرم
من عون الله ولا يبذل لهم دينك لتنال من دنياهم ... الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعاديهم
دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعاديهم
بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك
فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رأيت منكرا في الدين فتعادي الافعال
لذلك وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وسخطه وعقوبته
بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير ولا تعتمد عليهم ولا تسكن
اليهم في مودتهم وثنائهم في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت
حقيقة ذلك لم تجد الا في المائة واحدا وربما لا تجد ولا تشك اليهم احوالك
فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في السر كما هم في العلانية
فذلك طمع كاذب واني تظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل
ولا تنال الغرض ولا تتعال عليهم لكن استغنائك عنهم فان الله يلجيك
اليهم عقوبة لك على التكبر عليهم باظهار الاستغناء واذا سألت
منهم احدا حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقضها فلا تعاتبه
فانه يصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه
مخايل القبول فانه لا يسمع منك ويعاديك ولتكن وعظك تعريضا وارسالا
من غير تنصيص على شخص بعينه ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا
فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم فان بلغك
منهم غيبة او رأيت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله
تعالى واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافأة لهم فيزيد الضرر
ويضيع العمر ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعلم بانك لو استحققت ذلك لجعل
لك في قلوبهم موضعا فان الله هو المحبب المبغض الى القلوب وكن فيهم
سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن مساويهم واحذر
صحبة اكثر الناس فانهم لا يقبلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون
عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير
ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون
يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم
رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون
في حنقهم ولا يرجعون في كذب الملق فبعضهم ظاهرهم ثياب وباطنهم
ذئاب يقطعون بالظنون ما يظنون ويتغامزون وراءك بالعيون
ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات

في حضيضهم

في صحبتهم ليعيبوك بها في غضبهم ووحشتهم فلا تعول على مودة من
لم تختبر حق الخبرة منهم فان تصحبه مدة في داره او موضع واحد فتجربه
في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدنانير والدراهم
او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان
كبيرا وابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلا ومصداق ذلك كله قوله
صلى الله عليه وجدت الناس اخبر تقله وقوله صلى الله عليه كلكم طف
الصاع وقوله صلى الله عليه الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة فليكن همك
حفظ هذه الاداب والصبر على التخلق بها واسأل الله في كل الاحوال حسن
لك الخير في عاقبة امرك لتظفر بالسعادة الاخروية والاخرة الحسنى بحسن الخير
والتوفيق

الباب الثامن في بيان الحقوق

للوالدين والاولاد وذوي الارحام والاقارب اعلم ان لكل واحد من هؤلاء
حقا على الاخر لكن اخص الارحام واكدها وامسها واقربها هو حق الوالدين
فلا محالة ان الحق متضاعف فيها فنذكر حقوق الوالدين على الاولاد ثم نردفه
بذكر حقوق الاولاد على الوالدين ثم نذكر حقوق سائر الاقارب وهو حق
الله واصناف

الضرب الاول حق الوالدين على اولادهما قال الله
تعالى لا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة الى اخر الاية فالله تعالى قد جمع في هذه الاية بين اداب كثيرة
نهى عن التأفيف ونهى عن نهرهما وامر بالقول الكريم لهما وامر بخفض الجناح
لهما وامر بالدعاء لهما بالرحمة وقال تعالى وبالوالدين احسانا وقال
صلى الله عليه لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال صلى الله
عليه بر الوالدين افضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله
وقال صلى الله عليه من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة
ومن امسى مثل ذلك ومن اصبح مسخطا لهما اصبح له بابان مفتوحان الى النار
ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلماه وقال
صلى الله عليه الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا
قاطع رحم وانه قال بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك وروي
ان الله تعالى قال لموسى من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه
كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليه السلام لم يقم له فاوحى
الله اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال
صلى الله عليه ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها عن ابويه

اذا كانا مسلمين فيكون للوالد به اجرهما يكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص
من اجورهما شيء وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله
عليه اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي شيء من بر والدي
ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما
واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه ان
من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال صلى الله عليه بر الوالدة على الوالد
ضعفان وقال صلى الله عليه دعوة الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك
قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وساله رجل فقال يا رسول الله من
ابر قال بر والديك قال ليس لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا
فلولدك عليك حقا وقال صلى الله عليه رحم الله والدا اعان ولده
على بره اي لم يحمله بسوء العقوق على سوء عمله وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا
وخادمك سبعا ثم هو عدو او شريكك وقال انس بن مالك الغلام يعق
عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ
تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلث عشرة سنة ضرب على الصلوة فاذا
بلغ ست عشرة زوجه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك
واعوذ بالله من فتنتك في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه من حق
الولد على والده ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال صلى الله عليه كل غلام
مرتهن بعقيقته او جاريه

الصنف الثاني وهو حق

الولد على والده فقد روي ان الاقرع بن حابس راى الرسول صلى الله عليه
يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال له من
لا يرحم لا يرحم وقال رسول الله صلى الله عليه يوما لعائشة اغسلي وجه
اسامة فجعلت اغسله وانا انفه ثم اخذ وغسل وجهه ثم قبله وقال قد احسن
بنا اذ لم يكن جارية ونظر يوما الى الحسن وهو يعثر في ثيابه وهو على منبره فنزل
وحمله وقرا قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد
بينا رسول الله صلى الله عليه يصلي بالناس اذ جاء الحسن فركب عنقه وهو ساجد
فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه حدث امر فلما قضى صلوته قالوا
قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني هذا قد ارحلني فكرهت
ان اعجله حتى يقضي حاجته وقال عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة وحكي
عن معوية انه دخل عليه الاحنف بن قيس فلما دخل عليه قال يا ابا الحر ما تقول
في الولد فقال انهم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة

وبهم نصول

وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم
ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك
فقال له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي واني مملوء غيظا على يزيد فلما
خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب
فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فاسمه على الشطر وهذه الاحاديث
كلها دالة على تاكيد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما

الصنف الثالث

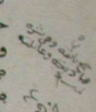
في بيان حقوق الاقارب والارحام قال رسول الله صلى الله عليه يقول الله انا
الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال
صلى الله عليه من سره ان ينسا له في اثره ويوسع له في رزقه فليصل رحمه وفي
رواية اخرى من سره ان يمد له في عمره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه
وقيل لرسول الله صلى الله عليه اي الناس افضل قال اتقاهم واوصلهم للرحم
وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله
عليه بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال
صلى الله عليه ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا
انقطعت رحمه وصلها وقال صلى الله عليه ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم
حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمو اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم
وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه الى مكة عرض له رجل فقال ان كنت
تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال صلى الله عليه ان الله
قد منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسماء بنت ابي بكر قدمت علي امي فقلت
يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال نعم وفي رواية اخرى
افاعطيها قال نعم صليها وقال صلى الله عليه الصدقة على المساكين صدقة وعلى
ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هي في الفقراء والمساكين
فقال صلى الله عليه وجب اجرك اقسمها في اقاربك وقال صلى الله عليه افضل
الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي عن عمر رضي الله عنه كتب الى
عماله ان مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب
التزاحم على الحقوق وربما اورث الوحشة وقطيعة الرحم

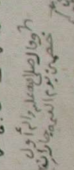
الباب الثالث

في بيان حق الجوار

اعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه
اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحق كل مسلم وزيادة بالجوار فقال صلى

الله عليه الجيران ثلثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق
فالجار الذي له ثلثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق
الاسلام وحق الرحم واما الجار الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجيرة
والاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك
حقا بحق الجوار وقد قال صلى الله عليه احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما
وقال صلى الله عليه ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال
صلى الله عليه من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال
صلى الله عليه لا يومن عبد حتى يامن اخوه بوايقه وجاره بوادره وقال
صلى الله عليه اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته وروي ان رجلا جا
الى ابن مسعود فقال ان لي جارا يوذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب
فان هو عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه ان
فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها توذي جيرانها فقال صلى الله عليه
هي في النار وروى الزهري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه يشكو جاره
فامر النبي صلى الله عليه ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جوار
قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون
هكذا الى اربع جهات وقال صلى الله عليه اليمن والشوم في المراه والمسكن
والفرس فيمن المراه خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلا مهرها
وعسر نكاحها وسو خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه
ضيقه وسو جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته
واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا
قد كف اذاه فليس في ذلك قضا حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق
وابتدا الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة
ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع
ان جارا له يريد ان يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره
فقال ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار
وقال لا تبعها وشكى بعضهم كثرة الفار في بيته فقيل له لو اقتنيت
هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فاكون
قد احببت لنفسي ما لا احبه لهم وجملة حق الجار ان يبداه بالسلام ولا
يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السوال ويعوده في المرض ويعزيه في
المصيبة ويقوم معه في العزا ويهنيه في الفرح ويظهر الشركة في السرور







معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح على عوراته ولا يضايقه
في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الما في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه
ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف
له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة
داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر
الى خادمته ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه
وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استنصرك نصرته وان
استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت
جنازته وان اصابه خير هنيته وان اصابته مصيبة عزيته ولا
تستطيل عليه بالبنا فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له
فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا توذيه
بقتار قدرك الا ان تغرف له منها ثم قال اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده
لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله وعن عبد الله بن عمر انه امر غلاما له يسلخ له شاة
فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتى قال له مرارا فقال له كم
تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار
حتى خشينا انه سيورثه وكان الحسن البصري لا يرى باسا ان تطعم اليهودي
والنصراني من اضحيتك وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم فقال اذا طبخت
قدرا فاكثر ماها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها وقالت عائشة
رضي الله عنها خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد
ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن احب صدق الحديث وصدق البأس واعطا
السائل والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم
للصاحب وقرى الضيف وراسهن الحيا وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء
المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف
لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون احسنت فقد
احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسات فقد اسات وقال جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان له جار في حايط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبته في حائطه

وكان ابو هريرة يقول مالي اراكم عنها معرضين والله لارمينّ بها بين اكتافكم
وقد ذهب بعض العلماء الى ذلك وقال من اراد الله به خيرا اعسله قيل وما عسله قال
حببه الى جيرانه وقد فرغنا مما نريده من ذكر ما ورد في حق الجار والله الموفق للصواب

الباب العاشر في بيان حقوق المماليك

اعلم ان ملك النكاح قد سبق بيان حقوقه في آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو يقتضي حقوقا
في المعاشرة ولا بد من مراعاتها ولقد كان آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله
ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا
خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم للمملوك
طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وقال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى
العوالي كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه وروي عن
ابي هريرة انه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله
فانما هو اخوك وروحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله
بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك
فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك فقال اذهبي فانت حرة لوجه الله
وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت
الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينا هو جالس في داره اذ اتته خادمة
له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية
فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق فقال انت حرة لا بأس عليك وكان
عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه
وانت تعصي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر
وكان عند ميمون بن مهران ضيف نزل به فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت
مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت واراقتها على رأس سيدها ميمون فقال
يا جارية احرقتيني فقالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى

قال وما قال قالت قال والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن
الناس قال قد عفوت عنك قالت والله يحب المحسنين قال لها اذهبي انت حرة لوجه الله
تعالى وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب عبدا له
فجعل العبد يقول اسألك بالله اسألك بالله فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
صياح العبد فانطلق اليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امسك يده فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم سألك بالله فلم تعف فلما رأيتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله
قال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن
لعبادة ربه فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب
واحد وقال صلى الله عليه وآله وسلم عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون
النار فاما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح
لسيده وعفيف متعفف ذو عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة
لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن ابي مسعود الانصاري قال بينا اضرب غلاما لي اذ
سمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله فالقيت السوط
فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ابتاع
احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ بن جبل
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اتى احدكم غلامه بطعامه فليجلسه معه فان لم يفعل
فليناوله اللقمة في يده ويقول كل هذه ودخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله
ما هذا فقال بعثنا الخادم في عمل فكرهنا ان نجمع له بين عملين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كانت
عنده جارية فعلمها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له اجران وقال صلى الله عليه وآله وسلم
كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وجملة حق المماليك ان يشركه في طعمته وكسوته ولا
يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر
عند غضبه عليه لهفوته او جنايته في معصيته وجنايته على حق الله وتقصيره في
طاعته مع ان قدرة الله تعالى عليك فوق قدرتك عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لا
يسأل الله عنهم رجل فارق الجماعة او عصى امامه فمات عاصيا فلا يسأل عنه وامرأة
غاب زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسأل عنها ورجل ينازع الله رداءه
ورداؤه الكبرياء وبتمامه يتم الكلام على المقالة الرابعة من مقالة العادات

المقالة الخامسة

في بيان اخلاق النبوة وذكر المعجزات الباهرة اعلم ان الغرض بهذه المقالة هو
الاشارة الى آداب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واخلاقه المأثورة عنه فيحصل في ذلك
غرضان الغرض الاول الافصاح بما خصه الله من الاخلاق الزكية والشمائل المرضية

التي لم تختص باحد قبله والغرض الثاني تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه
الكريمة التي تشهد احادها على القطع انه اكرم خلق الله واعلاهم عنده رتبة واجلهم
قدرا فكيف اذا حصل مجموعها فيكون ادخل في الدلالة واظهر في الكشف والابانة فنذكر
اولا ما خصه الله به من الخلائق الشريفة ثم نذكر ثانيا خلقته وصورته وما خصه الله به
من الكمال ثم نذكر ثالثا ما ايده الله من المعجزات الظاهرة والايات الباهرة فهذه ثلاثة
اقسام نفصلها بعون الله تعالى

القسم الاول في بيان خلائقه وشمائله التي اكرمه الله تعالى بها وقد اشتمل على عشرة انواع

النوع الاول في بيان تاديب الله اياه بالقران

كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كثير الضراعة والابتهال الى الله تعالى ان يزينه
بمحاسن الاخلاق فكان يقول اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي اللهم جنبني منكرات
الاخلاق فاستجاب الله دعاءه فانزل عليه القران وكان خلقه القران قال بعض
الصحابة دخلت على عائشة فقلت لها اخبريني عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت
ما تقرأ القران قال بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله القران وقد ادبه الله تعالى
بمثل قوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون
وقال تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان
ذلك لمن عزم الامور وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين وقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا
تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما انكسرت رباعيته يوم احد فجعل الدم
يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم
وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء الى اخر الاية وامثال هذه
التاديبات كثيرة في القران غير منحصرة وهو صلى الله عليه وآله هو المقصود الاول بالتاديب
والتهذيب ثم منه تشرق الانوار على كافة الخلائق فانه صلى الله عليه وآله وسلم ادب بالقران
ولهذا قال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم ان الله تعالى لما اكمل له
خلقه اثنى عليه بقوله وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واجل امتنانه
فانظر الى عظيم فضله كيف اعطى ثم من بعده حمد واثنى ثم انه صلى الله عليه وآله وسلم
اخبر ان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها فقد خصه الله تعالى بالصفات
العالية بحسن المعاشرة ولين العريكة وكرم الطبيعة وبذل المعروف واطعام الطعام

وافشاء السلام

وافشاء السلام وعيادة المريض الى غير ذلك من الصفات المحمودة والخلائق المعدودة
في غيره من سائر الخلق فهذه جملة ما اشار اليه القران من تاديباته

النوع الثاني في بيان جملة من محاسن اخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخصوصا
بكرم الخصال وشريف الشمائل وحسن المعاشرة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام
الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض وحسن الجوار مسلما كان او كافرا واجابة
الطعام والعفو والاصلاح والجود والكرم والتسامح وكظم الغيظ واجتناب ما حرمه
الاسلام من اللهو والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر والكذب والنميمة والغيبة
والبخل والشح والجفاء والمنكر والخديعة وسوء الظن وقطيعة الارحام وسوء الخلق
والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفاحش والحقد والحسد
والطيرة والبغي والعداوة والظلم ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم احلم الناس واشجعهم
واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده امراة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون
ذات محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من
يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه ولا ياخذ مما اتاه الله
الا قوت عامه من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسأل
شيئا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام
ان لم يأته شيء من فضل الله وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله
ويقطع اللحم معهن وكان اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة
الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها ويأكلها
ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب
لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بضرر عليه وعلى اصحابه وعرض عليه الانتصار
بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد من معه
فأبى وقال انا لا انتصر بالمشركين ووجد من فضلاء صحابته قتيلا بين اليهود فلم يكن
من جهته حيف عليهم ولا زاد على مر الحق عليه بل وداه بمائة ناقة من عنده وان اصحابه
لمحتاجون الى بعير واحد يتقوون به على امورهم وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع
ومرة يأكل ما حضر لا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا من دون خبز
اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا
او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا
اكله ولا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه ولم يشبع من خبز بر ثلاثة
ايام متوالية حتى لقي الله ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يحب الوليمة اشد الناس
تواضعا واسكتهم من غير تكبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء

من امور الدنيا يلبس ما وجد فمرة شملة ومرة بردة حبرة يمانيا والحبرة ما ليس
مخيطا وسطلا من شقتين ومرة جبة صوف يتختم بالورق مرة يلبسه في خنصره الايمن
وهو الاكثر ومرة في خنصره الايسر يركب ما وجد وامكنه مرة فرسا ومرة بعيرا وتارة
بغلة ومرة حمارا وتارة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يحب الطيب
ويكره الرائحة الخبيثة ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم
ويتالف اهل الشرف بالبر لهم فهذه جملة من اخلاقه الطيبة على جهة الاجمال
ونرد عقد ما يكون منها على جهة التفصيل بعونه الله تعالى **النوع الثالث**
في بيان كلامه وضحكه كان صلى الله عليه وسلم افصح الناس منطقا واحلاهم
كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون بلغة الرسول صلى الله عليه وسلم
وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم
قالت عائشة لا يسرد سردكم هذا كان كلامه قليلا وانتم تنثرون الكلام نثرا
وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الايجاز يبلغ حيث اراد
وينتهي الى كل غاية من مقصوده وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير
كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت
احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول
في الرضا والغضب الا الحق ويعرض عمن يتكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه
مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده الحديث ويعظ بالجد والنصيحة
ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه واراد انكم لا تجعلوه
متناقضا فانه يمكن حمله على وجوه غير متناقضة مثلا لايمة وكان اكثر الناس
تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم وربما
وربما ضحك حتى تبدو نواجذه وهو نهاية ضحكه اذا استغرق في ضحكه وربما
ضحك حتى تبدو انيابه وربما ضحك فبدت ثناياه وكان ضحك اصحابه عنده
التبسم اقتداء به وتوقيرا له ولقد جاءه اعرابي يوما وهو متغير اللون
يكره اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا له لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه
فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله
بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى
بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك هزلا ام
اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت آمنت بالله وكفرت به فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه ثم قال لا يغنيك الله بما يغني به عباده المؤمنين

وكان من احسن الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة
او يخطب خطبة موعظة وكان اذا سر ورضي فهو احسن الناس رضا وكان وجهه قطعة
قمر وان وعظ وعظ بجد وان غضب ولم يكن يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وهكذا
كان في اموره كلها واذا نزل به امر فوض امره الى الله وتبرأ من الحول والقوة الا به
واستنزل الهدى من عند ربه ويقول اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني
المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي من غير هدى
منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما
اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم **النوع الرابع** في بيان
اخلاقه عند الطعام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل ما يجد وكان احب الطعام
اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضع الطعام قال
بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس يأكل
يجمع بين ركبتيه وبين قدميه ويكون الركبة فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول
انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا يأكل الحار ويقول انه غير ذي
بركة وان الله لم يطعمنا نارا فابردوه وكان يأكل مما يليه ويأكل باصابعه الثلاث
وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكل الشياطين وجاءه
عثمان بن عفان بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله فقال بابي انت وامي
يا رسول الله نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ
مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا طعام طيب وكان يأكل خبز الشعير غير منخول
ويأكل القثاء بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه اليه الفاكهة الرطبة والبطيخ
والعنب وكان يأكل البطيخ بالخبز والسكر وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا
واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فاشار اليها بالنوى
فاكلته وهو في كفه الايسر وهو يأكل بيمينه حتى فرغ فانصرفت وكان ربما اكل
العنب خرطا يرى روءاله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو الماء الذي يقطر منه وكان
اكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع اللبن والتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب
الطعام اليه اللحم وقال هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة
ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل ويأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب
القرع ويقول انها شجرة اخي يونس قالت عائشة رضي الله عنها كان يقول اذا طبختم

قدرًا فاكثروا فيه من الدبا فانه يشد قلب الحزين وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد
وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان اذا اكل اللحم
يطاطي راسه اليه ويرفعه الى فيه رفعًا ثم ينهشه انتهاشًا وكان يأكل الخبز
والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن البقر الدبا ومن الاصباغ الخل
ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر
وكان يحب من البقول الهندبا والباذروج والبقلة الحمقا التي يقال لها الرجلة
وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول ولا يأكل من الشاة سبعًا الذكر والا
نثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا وهو الفرج والدم وكان لا يأكل الثوم
ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعامًا قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه
تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما
وكان يلعق آخر الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه
من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة
واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة فاذا فرغ قال اللهم
لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع
ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا
ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب الماء في ثلاث دفعات له فيها
ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصًا ولا يعبه
عبًا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل
ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من عن يمينه وان كان من عن يساره
اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطي فان احببت اثرتهم
واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان
في اناء واحد ثم قال لا احرمه لكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدًا
واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد
حياء من العواتق لا يسالهم طعامًا ولا يتشهى عليهم ان اطعموه اكل
وما اعطوه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام واخذ ما يأكل
ويشرب بنفسه فهذه جملة من آدابه في طعامه وشرابه

النوع الخامس في آدابه واخلاقه في اللباس

كان صلى الله عليه وآله وسلم

يلبس

يلبس من الثياب ما وجد من ازار ورداء وقميص وجبة او غير ذلك وكان
يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احياكم وكفنوا فيها
موتاكم وكان يلبس القبا المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قبا من سندس فيلبسه
فيحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار
فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في
الصلوة وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها
وحده وربما لبس الكسا وما عليه غيره وكان له كسا ملبد يلبسه ويقول انما انا
عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة
وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد عليه طرفيه بين كتفيه وربما
ام به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته بالازار الواحد ملتحفًا به مخالفًا بين طرفيه
ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل في الازار
ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد
كان له كسا اسود فوهبه فقالت ام سلمة بابي انت وامي ما فعل ذلك الكسا الاسود فقال كسوته
فقالت ما رايت شيئًا قط كان احسن من بياضك على سواده وقال انس وربما رايته صلى الظهر
في شملة عاقدًا بين طرفيها وكان يتختم وكان خاتمه من فضة وفي خاتمه حبشي مربوط بيد
النبي وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس
القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة
بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على راسه وعلى جبهته
وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلي وربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه
واله اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبًا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله
الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به واذا نزع ثوبه نزعه من مياسره
وكان له ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة وكان اذا لبس جديدًا اعطى
خلق ثيابه مسكينًا ويقول ما من مسلم يكسو مسلمًا من خلق ثيابه لا يكسوه الا
لله الا كان في ضمان الله تعالى وحرزه وخيره ما واراه حيًا وميتًا وكان له فراش
من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له
عباءة تفرش حيث ما ينقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير الذي ليس تحته
شيء وسلاحه

ومن خلاقه الكريمة

تسمية دوابه وسلاحه
ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذا
الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب
وكانت قبيعة سيفه من الفضة والقاف والنابقطه من اسفلها والبانقطتين

من اسفلها وهي بغلته تودن صحيفة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلث حلق من الفضة ✤ وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور ✤ وكان اسم ناقته القصوى وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل ✤ وقيل دلدل واسم حماره يعفور ✤ واسم شاته التي يشرب لبنها غيثه وكانت له مطهرة من فخار يتوضى فيها ويشرب فيها فيرسل الناس اولادهم واولادهم الصغار الذين قد ميزوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه فلا يدفعون عنه واذا وجدوا في المطهرة ما شربوا منه ومسحوا على وجوههم منه واجسادهم يبتغون بذلك البركة فهذه خلايقه في اللباس

النوع السادس

في بيان عفوه مع القدرة

كان صلى الله عليه احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة على الانتقام حتى انه اتي بقلايد من ذهب وفضة فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد لئن امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا ✤ وروى جابر رضي الله عنه ان النبي عليه السلام كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال ✤ فقال له رجل يا نبي الله اعدل فقال ويحك من يعدل اذا لم اعدل لقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل ✤ فقام عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان الرسول صلى الله عليه في حرب فراوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على راس رسول الله صلى الله عليه بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده فاخذ الرسول صلى الله عليه السيف فقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله ✤ فقال الاعرابي لا اقاتلك ولا اكون معك ولا مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله ✤ فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ✤ وروى ان امراة يهودية اتت الرسول صلى الله عليه بشاة مسمومة لياكل منها فجيء بها الى الرسول صلى الله عليه فسالها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها قال لا ✤ وسحره رجل من اليهود فاخبره جبريل صلى الله عليه بذلك حتى استخرجه وحل عقده فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط ✤✤

وقال امير المومنين كرم الله وجهه بعثني

رسول الله صلى الله عليه انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ بنقطتين من اعلاها فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى اتينا روضة خاخ فوجدنا المراة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لننزعن الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به

الرسول صلى الله عليه وآله من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم امرا من رسول الله صلى الله عليه فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي كنت امرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بهم ويحمون اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها واني فلم افعل ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ✤ فقال الرسول صلى الله عليه صدقكم ✤ فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال له الرسول صلى الله عليه انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اصنعوا ما شيتم فقد غفرت لكم ✤ وقسم رسول الله صلى الله عليه قسمة فقال رجل من الاصحاب هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للرسول صلى الله عليه فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى قد اوذي اكثر من هذا فصبر ✤ وكان الرسول صلى الله عليه يقول لا يبلغني احد منكم من اصحابي شيا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم القلب ✤ فهذا ما اردنا ذكره من عفوه

النوع السابع

في بيان اغضابه عما يكرهه

كان صلى الله عليه رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده لا يوجد منه اكثر من مس لحيته وكان لا يواجه احدا بما يكره دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل له شيا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه الصفرة ✤ وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب ✤ فقال عليه السلام لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه البول ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح لشي من القذر من البول والخلاء وفي رواية اخرى سددوا وقاربوا وبشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ✤ وجاء اعرابي وطلب منه شيا فاعطاه الرسول صلى الله عليه فقال احسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيا ثم قال احسنت اليك فقال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا ✤ فقال صلى الله عليه انك كنت قلت ما قلت وفي انفس اصحابي شي من ذلك فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان من الغد او من العشي جا فقال الرسول صلى الله عليه ان هذا الاعرابي قد قال ما قال فزدناه فزعم انه قد رضي اكذلك ✤ قال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال الرسول صلى الله عليه ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق واعلم بها

فوجه لها صاحب الناقة بين يديها واحد لها ص تمام الارض حتى دهاهونا
هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم
حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار فهذا مما زدنا ذكره من اعظمه
عما يكرهه وحلمه عنه ❁

النوع الثامن في بيان سخايه وجوده

صلى الله عليه واله كان صلى الله عليه اجود الناس
واسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة • وقيل كالريح العاصف لا يمسك
شيئا وكان امير المؤمنين كرم الله وجهه اذا وصف رسول الله صلى الله
عليه قال كان اجود الناس كفا واوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة
واوفى ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من راه بديهة هابه ومن خالطه
احبه وعرفه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله وما سئل شيئا قط الا اعطاه
وان رجلا اتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان
محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة • وما سئل قط فقال لا وحمل اليه سبعون
الف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها
وجاء رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علينا فاذا جاءنا شيء قضيناه
فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك الرسول
صلى الله عليه فقال الرجل انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وعرف السرور في وجهه ولما قفل من حنين جاءت الاعراب
يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فاختطفت رداءه فوقف فقال اعطوني ردائي
لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا فهذا
مما زدنا من وصف جوده وكرمه

النوع التاسع في بيان شجاعته صلى الله عليه

واله وكان عليه السلام انجب الناس
واشجعهم قال علي عليه السلام لقد رايتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالرسول صلى الله عليه
وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وكان ايضا وقال ايضا
كنا اذا احمر الباس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه فما
يكون احد اقرب الى العدو منه ❁ وقيل كان صلى الله عليه قليل الكلام قليل
الحديث فاذا احمر الباس شمر ❁ وكان من اشد الناس باسا وكان الشجاع
منا هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو ❁ وقال عمران بن
الحصين ما لقي الرسول كتيبة الا كان اول من يضرب وكان قوي البطش
ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول ❁

❁ انا النبي لا كذب ❁ انا ابن عبد المطلب ❁

فما راى يومئذ كان اشد باسا منه ❁ وروى انه كان بالمدينة ليلة فزع فركب
الرسول صلى الله عليه فرسا لابي طلحة وكان قطوفا فادركه الناس وهو راجع
فقال ما راينا من فزع وان وجدناه لبحرا يعني الفرس وقال انه زال عنه عيبه
واتسع جريه من تلك الليلة ببركة ركوبه صلى الله عليه وكان هذا الفزع في
بالمدينة لما جاء الخبر بان ناسا من العرب استاقوا ابل الصدقة وقتلوا الراعي
وقد كان امرهم فشربوا من ابوالها والبانها من اجل الوبا ففعلوا ما فعلوا فخرج
يطلبهم فاخذهم فسمل اعينهم وطرحوا في الرمضا حتى ماتوا حتف انفهم ❁

النوع العاشر في بيان تواضعه

صلى الله عليه واله
كان الرسول صلى الله عليه اشد الناس تواضعا مع علو منصبه ❁ قال
ابن عامر رايته يرمي الجمرة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك ❁
وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة ❁ وكان مع ذلك يستردف وكان يعود
المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب
وكان يصنع مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا
من كراهيته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ❁ واتي الرسول صلى الله
عليه برجل فارتعد من هيبته فقال هون عليك فلست ملكا انما انا ابن امراة من
قريش كانت تاكل القديد ❁ وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم
فياتي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسال عنه حتى طلبوا منه ان يجلس مجلسا
حتى يعرفه الغريب فبنوا دكانا من طين فكان يجلس عليها ❁ وقالت عائشة
رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكيا فانه اهون عليك فاصغى براسه
حتى كاد ان تصيب جبهته الارض ثم قال بل اكل كما ياكل العبد واجلس
كما يجلس العبد ❁ وكان لا ياكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله وكان
لا يدعوه احد من اصحابه الا قال له لبيك وكان اذا جلس مع الناس فان تكلموا
في امر الاخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم وان تكلموا في
الدنيا تحدث معهم رفقا وتواضعا ❁ وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ❁
ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم
الا عن حرام وقد عرضنا مما اردنا ذكره من ذكر اخلاقه الزاكية وشمائله الرائقة
التي فاق بها على كل الخلائق ❁

القسم الثاني في بيان صورته الكريمة

وخلقته الشريفة فنذكر صورته ولونه وشعره ووجهه
وتركيبه فهذه امور خمسة نذكرها واحدا واحدا ونورد المحاسن التي اختص •

التي احتوى كل واحد من هذه التراكيب **اما** صورته فكان صلى الله عليه في خلقه
لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده
ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه
ولربما اكتنفه الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو
الى الربعة ويقول صلى الله عليه جعل الخير كله في الربعة ۞ **واما لونه**
فكان صلى الله عليه ازهر اللون ولم يكن بالادم ولم يزيد لم يكن كثير الخضرة وكان
ليس بشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة
ولا شي من الالوان ونعته عمه ابو طالب بقوله ۞

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ۞ ثمال اليتامى عصمة للارامل

ونعته بعضهم بانه مشرب بحمرة وقالوا انما كان المشرب بالحمرة منه ما ظهر للشمس
كالرقبة والوجه والازهر ما في من الحمرة ما تحت الثياب منه ۞ وكان عرقه
في وجهه كاللؤلؤ واطيب من المسك الاذفر ۞ **واما شعره** فكان صلى الله
عليه رجل الشعر حسنها ليس بالسبط المسترسل ولا بالجعد القطط كان اذا امشطه بالمشط
كانه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية الى انه كان الى
شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا تخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل
شعره على اذنيه فتبدو سوالفه يتلالا وكان شيبه في الراس واللحية تسع
عشرة شعرة ما زاد على ذلك وفي رواية اخرى ما مات وفي راسه ولحيته
الا عشرون شعرة بيضاء ۞ **واما وجهه** فكان احسن الناس وجها ۞
وانورهم لا يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه
في وجهه لشفافية بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر حيث يقول

۞ امين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام ۞

وكان واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما
الفضة المخلصة وكان عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه مزج من حمرة
وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوي
الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها ۞ وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل
سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم
فم وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا بالمكلثم كث اللحية وكان
يعفي لحيته ويأخذ من شاربه **واما** سائر تركيب خلقته فكان من احسن
الناس عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر منه للشمس والرياح

فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلالا في بياض الفضة وفي حمرة الذهب
عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرايا في استوائها وكالقمر في بياضه ۞ وكان
موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه
شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الازار منها واحدة ويظهر اثنتان وكان
عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤس العظام من المنكبين والمرفقين
والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه
الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها
من عرف الفرس ۞ وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب
الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه
كف عطار طيبا مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها
ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان
عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن
في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن **واما**
مشيته فكان صلى الله عليه اذا مشى كانما ينقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو
تكفيا ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطو وكان يقول انا اشبه
الناس بآدم وكان ابي ابراهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان
لي عند ربي عشرة اسما **واما** اسماؤه فهو احمد ومحمد وهو الماحي الذي يمحو
الله به الكفر وهو العاقب الذي ليس بعده احد وهو الحاشر الذي يحشر
العباد على قدميه ۞ وقال وانا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم
والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم ۞ وقال بعض العلماء القثم الكامل الجامع لكل
خير وهذا ما اردنا ذكره من التركيب الذي هو خلقته الكريمة وتركيب صورته
الشريفة ۞

القسم الثالث في بيان معجزاته وآياته

الدالة على صدقه ۞ اعلم ان كل من شاهد احواله صلى الله عليه واصغى
الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته وسجاياه
وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتألفه لجمع الخلق وقوده
اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب اجوبته في مضايق الاسولة وبدائع
تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز
الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوائلها فايها في طول اعمارهم لم يبق معه ريب
ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور

ذلك الا باستمداد من تاييد سماوي وقوة الالهية وان ذلك كله لا يتصور بالكذب ولا ملبس بل كانت شمايله واحواله شاهدة وقاطعة بصدقه حتى ان العربي الذي كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمايله فكيف حال من شاهد اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده

واما اوردنا بعض اخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق وليقع التنبيه لصدقه وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ اتاه جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس من العلوم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين حصلت له محاسن الاخلاق واختص باسرار الاداب ومعرفة مصالح الفقه دون غيره وساير العلوم فضلا عن معرفة بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن اين للبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن الا هذه الامور الظاهرة لكان فيها كفاية في الدلالة على صدقه وقد ظهر من اياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل

وذكر الشيخ محمود الخوارزمي

انها الف معجزة ولنذكر من جملتها ما استفاض فيه الاخبار واشتملت عليها كتب الصحاح

المعجزة الباهرة الاولى القران الباقية

بين الخلق الذي لا يخفى على وجه الدهر وليس لنبي معجزة باقية سواه اذ تحدى به بلغاء العرب وفصحاء الخلق وجزيرة العرب يومئذ مملوءة بالالاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور منه او بسورة من مثله وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا معارضته ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من ثماني مائة سنة فلم يقدر احد منهم على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله واقواله وافعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الان ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان الملوك في الارض في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من امن به وصدقه واتبعه وتاسى به فنسال الله ان يوفقنا للاقتداء به في الاقوال والافعال

والحلائق وان يفيض علينا من انواره وان يرزقنا حسن الاتباع له في كل اثاره

المعجزة الثانية

انشقاق القمر له بمكة لما سالته قريش اية فوقف تضعه على راسي ابي قبيس ودخل نصفه من كمه وقد جاء بعد هذه الاية في القران فقال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وانما لم يتواتر العلم بهذه المعجزة مع ظهورها لانها كانت اية ليلية اقترحها المشركون على الرسول صلى الله عليه واكثر الناس كان نائما تحت ظلال السقوف ومن بطن الدور وطبخ فلهذا لم يتواتر كغيرها من الايات الظاهرة

المعجزة الثالثة

اطعام النفر الكثير في منزل جابر من الطعام القليل والقصة مشهورة في الخندق فقد قيل اطعم ثمانين رجلا من صاع وعناق وهو ولد المعز ومن اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس بن مالك في يده ومن اهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في حجرها فاكلوا كلهم حتى شبعوا وفضل ونبوع الماء من بين اصابعه الكريمة فشرب العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير وفي غزوة تبوك وكان لا ماء فيها فشرب الجيش جميعا وهم الوف ومن امر عمر بن الخطاب بان يزود اربع مائة راكب من تمر كربض البعير وهو موضع مبركه فزودهم كلهم منه وبقي منه ومن ذلك انه رمى بقبضة من تراب في اعين الجيش فعميت ابصارهم وقال فيه تعالى تصديقا لمقاله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومن ذلك حنين الجذع الذي كان يخطب عليه لما تحول الى المنبر حتى ضمه اليه فسكت

المعجزة الرابعة

اخباره بعلوم الغيب وهذا نحو ما اخبر عثمان من انه تصيبه بلوى بعدها الجنة واخبر ان عمارا تقتله الفئة الباغية واخبر ان الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين واخبر بموت النجاشي في الحبشة واخبر بقتل الاسود العنسي ليلة قتله في صنعاء واخبر ان فاطمة اول من يلحق به من اهله واخبر نساءه بان اطولهن يدا اولهن لحوقا به واخبر بان ابي بن خلف يقتله فقتله يوم احد خدشا خفيفا لطيفا فمات منه

المعجزة الخامسة

انه تفل في عيني امير المؤمنين وهو ارمد فبرا من وقته وبعثه بالراية في خيبر واصيبت رجل بعض اصحابه فمسحها بيده فصحت من وقتها ودعا على رجل قطع صلاته بالمرور بين يديه فقال اللهم اقطع اثره فانقطعت رجله وقال لرجل يا كل بشماله فقال لا استطيع فقال لا استطعت فانقطعت يده وخطب امراة من ابيها فقال ان بها برصا اعتذارا من ابيها فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ليكن كذلك فبرصت ومنه الحكم بن

العاص مشية تحكي مشية رسول الله صلى الله عليه على جهة الاستهزاء
فقال الرسول صلى الله عليه كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات الى غير ذلك من
الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة ولنقتصر على هذا القدر من ذكرها ففيه
كفاية على مقصدنا والله الموفق للصواب **المقالة الثانية عشر**

في العزلة من علوم الكتاب

اعلم ان العزلة فيها خير وسلامة عظيمة من كل شر ولهذا قال بعض الحكماء الحكمة
عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وواحد منها في العزلة ثم ان الناس مختلفون
فيها اختلافا كثيرا في ايثار العزلة او الخلطة وفي كل واحد منهما فائدة وآفة
ونحن نذكر الاختلاف ثم نذكر فوائدها وآفاتها فهذه تنبيهات ثلثة **التنبيه
الاول** في نقل المذاهب والاقاويل وحجة كل فريق قال مولانا الامام
**المؤيد بالله امير المؤمنين عليه السلام اما الصدر
الاول من الصحابة رضي الله عنهم** فلم يكن منهم
كلام في الاعتزال اما في ايامه فلا وجه للعزلة لأن الخير كله انما هو
بمخالطته ورؤيته وكلامه والاخذ عنه واما بعده فانه فلم يؤثر عن احد
منهم الاعتزال لانهم كانوا مجتهدين في نصرة الدين واحيا معالمه فلاجل هذا
افترقوا في البلاد بعد موته صلى الله عليه للدعا الى الله تعالى وحيوة الدين
وانما نبغ الخلاف في ايام التابعين ومن بعدهم الى يومنا هذا وقد افترق
الناس فيها على فرق ثلث نفصلها بمعونة الله تعالى **الفريق الاول**
وهم الذين ذهبوا الى اختيار العزلة وفضلها وهذا هو المحكي عن سفين الثوري
وابراهيم بن ادهم والفضيل بن عياض وداود الطائي وسلمان الفارسي
الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة وبشر الحافي واحتج هؤلاء على نصرة
مذهبهم بحجج ثلث **الحجة الاولى** بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم
عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان
لا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا
له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا فحصل له ما حصل بتركه العزلة **الحجة
الثانية** قوله تعالى في قصة موسى وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وقوله
في قصة اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله
وهذا كله في معرض المدح والثنا للاعتزال **الحجة الثالثة**
قوله صلى الله عليه لعامر الجهني وقد قال له ما النجاة قال له ليسعك بيتك
وامسك عليك لسانك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه لما

ونبيه اخرا واعتزلكم
وما يعبدون الا الله
وما تدعون من دون الله

سئل قيل له من افضل الناس قال مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله قيل
ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا انبئكم بخير الناس فاشار بيده نحو المغرب وقال رجل
اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس
واشار بيده نحو الحجاز رجل في غنيمة يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله
في ماله اعتزل شرور الناس **الفريق الثاني** وهم الذين ذهبوا الى اختيار الخلطة وفضلها
واستكثار المعارف بالاخوان والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بآرائهم في المهمات
كما اشار اليه تعالى بقوله وتعاونوا على البر والتقوى والى هذا ذهب سعيد
بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك وعبد الله
بن عيينة وابن المبارك وهو رأي الشافعي واحمد حنبل وجماعة ولهم على هذا حجج
ثلاث **الحجة الاولى** قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا وقوله تعالى والف بين قلوبهم
فامتن عليهم بالسبب المؤلف ونهاهم عن التفرق ومفهومه الاجتماع على الدين
ونصرته **الحجة الثانية** قوله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن الف مألوف ولا خير
فيمن لا يألف ولا يؤلف وقوله صلى الله عليه وآله وسلم من فارق الجماعة ولو قيد شبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه **الحجة الثالثة** قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا
يحل لمؤمن ان يهجر اخاه فوق ثلث وقال من هجر اخاه ستة ايام فهو كسفك دمه
قالوا والعزلة هجر بالكلية فلا جرم كان الافضل خلاف ذلك فهذا منتهى كلام
الفريقين في بيان الافضلية في العزلة والخلطة **الفريق الثالث** الذين
ذهبوا الى التفصيل وحاصل ما قالوه هو ان الحكم عليهما مطلقا بلا تفصيل خطأ
بل ينبغي ان ينظر الى الشخص واحواله والى الخليط واحواله والى الباعث على مخالطته
والى الفائت بسبب مخالطته ويقاس الفائت بالحاصل فعندها يتبين الحق
ويتضح الافضل والى هذا يشير بعض الحكماء بكلامه حيث قال الانقباض عن
الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض
والمنبسط فهكذا يكون حال الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال
وملاحظة الفوايد والآفات يتبين الافضل وهكذا هو المختار اللايق بالنظر
الصحيح فان خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وهذا هو الذي
ذكرنا واخترناه هو رأي الشافعي وغيره من العلماء اعني التفصيل الذي ذكرنا
والكلام على هذه الفوايد والآفات التي تظهر من جهة العزلة والمخالطة والله الموفق
التنبيه الثاني في ذكر فوايد العزلة وهي منقسمة الى فوايد دينية

علي اثر

وفوائد دنيوية اما الدينية فهي التمكن من الطاعات في الخلوة بالمواظبة
على العبادة والفكرة والاخلاص من الريا والغيبة والنميمة التي تحصل بالمخالطة
فاما الدنيوية فهو الانحراف عن النظر في زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وجمعه
في الناس وطمعهم فيه والسلامة عن التأذي بالخلق وزوال الراحة بالمخالطة
وجملة ما يرجع اليه من ذلك ست فوايد **الفائدة الاولى** الفراغ للعبادة والفكر
والانس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال بالكشف عن اسرار الله تعالى
في امر الدين والدنيا والتفكر في ملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا
فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكما لا يتمكن احد من
الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تعالى والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا
من الدنيا بذكر الله وعاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله فلقوا الله بذكر الله ولا
شك ان هولاء تمنعهم المخالطة عن الذكر والفكر فالعزلة احق بهم واولى **الفائدة الثانية** التخلص بالعزلة عن المعاصي التي تتعرض الانسان لها غالبا
بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة الغيبة والنميمة والريا والسكوت عن
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الاسترقاق من الاخلاق الرديئة
والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا فان الاحتراز عن هذه الامور
مع المخالطة لا يكاد يسلم منها الا الصديقون ومع العزلة يمكن السلامة عنها **الفائدة الثالثة** الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس
عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقل ما تخلوا البلاد عن تعصبات
وفتن وخصومات والمعتزل عنهم في سلامة منهم وروى عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ذكر الفتن ووصفها فقال اذا رايت
الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت فما تامرني يا رسول الله قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة **الفائدة الرابعة** البراءة
عن شر الناس فانهم يوذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات
والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفا بها وتارة بالنميمة والكذب وربما يرتقبون منك
الدخول فيها ويرون منك من الاعمال والاقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون
ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فاذا حصلت العزلة
استغنيت عن جميع ذلك كله ولا تنكر ان كل من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم

لم ينفك عن حاسد يحسده وعدو يكيده وفي العزلة السلامة عن ذلك **الفائدة الخامسة**
ان تنقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك منهم اما انقطاع
طمع الناس عنك ففيه كل الغرض فان رضا الناس غاية لا تنال فاشتغال المرء
باصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنازة وعيادة
المريض وحضور الولايم والاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للآفات
ثم يعوق عن بعضها العوايق وتستقل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار الاعذار
فيقولون قمت في حق فلان وقصرت في حق فلان فيصير ذلك سبب العداوة
واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فائدة جزيلة فان كل من نظر الى زهرة الدنيا
وزينتها تحرك حرصه وانبعث طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع
فيتاذى به ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولهذا قال تعالى
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم **الفائدة السادسة** البراءة
عن مشاهدة الثقلا واهل الحماقة ومقاساة اخلاقهم فان رؤية الثقيل هو
العمى الاصغر قيل للاعمش لم عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلا ويحكى انه
دخل عليه ابو حنيفة فقال له في الخبر من سلب الله كريمتيه عوضه منهما ما هو خير
منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة والمطاوعة بالفكاهة
عوضني عنهما انه كفاني رؤية الثقلا وانت منهم وحكي عن ابن سيرين قال سمعت
رجلا يقول نظرت الى ثقيل فغشي علي وقال جالينوس لكل شي حمى وحمى الروح
النظر الى الثقلا وقال الشافعي رضي الله عنه ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي
يليه من بدني كانه اثقل علي من الجانب الآخر فهذه فوائد العزلة **التنبيه الثالث**
في بيان آفات العزلة **اعلم ان** من المقاصد الدينية والدنيوية والاعمال الاخروية
ما لا يستفاد الا بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة وكل ما يستفاد
من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من العزلة آفات فانظر الى فوايد المخالطة
والدواعي اليها ونحن نوردها بصورة الفوايد وجملتها ست **الفائدة الاولى** التعلم
والتعليم وهما من اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان
العلوم كثيرة وبعضها عنه مندوحة وبعضها ضروري فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض
عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال
بالعبادة فليعتزل واما العزلة قبل التعلم ففيها غاية الخسران لما فيها من الجهل واما
التعليم ففيه ثواب عظيم ان صحت نية المعلم والمتعلم وان كان القصد انما هو
اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فانه هلاك الدين وابطال الاخرة

الفائدة الثانية النفع والانتفاع أما النفع بالناس فانه يحصل بالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه يضطر الى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه وأما النفع فهو ان ينفع الناس اما بالمال واما بالبدن فيقوم بحاجاتهم على جهة الاحتساب لله تعالى ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب كثير وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام بحدود الشرع فهو افضل له من العزلة اذا كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية لأن ذلك واجب على الكفاية أعني الاشتغال بما يحتاج اليه المسلمون

الفائدة الثالثة الأنس والاستئناس وهو غرض من يحضر الولائم في العرسات وجميع الدعوات ومواضع المعاشرة والأنس يحصل في خلطة من يجتمع به في الدين في أحواله وافعاله كالأنس بالعلماء وأهل الصلاح الصالحين للتقوى فانه يحصل به تحريك الدواعي للنشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروح القلب كان هو الأولى لأن الرفق في العبادة من خير العبادة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم عليكم من العمل بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا فالأنس بالغير والاستئناس للغير حاصلان بالخلطة فلهذا كان لها فائدة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند الملاقاة عن احوال الدين لا غيره

الفائدة الرابعة نيل الثواب وانالته اما نيله فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين وحضور الجمعة والجماعة في سائر الصلوات فانه لا رخصة في تركها الا لعارض من مطر او ريح او غير ذلك وكذلك في حضور الدعوات والاملاكات ثواب من جهة انه ادخال على قلب المسلم سرورا واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده المسلم او يعزوه في المصائب او يهنئوه على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء واذن لهم في الزيارة فانهم ينالون ثواب الزيارة بسببه لانه بالتمكين صار سببا في ذلك فينبغي ان يوزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها فعند ذلك قد ترجح الخلطة وقد ترجح العزلة

الفائدة الخامسة التواضع فانه من افضل المقامات لأهل الصلاح ولا يقدر عليه مع الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فكم من معتزل في بيته والباعث له على الاعتزال التكبر ومانعه عن المحافل الا بوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر فضائحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترة على فضائحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق

دفت

وتشتغل في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين واهل الامر اليهم واجتماعهم على ابوابهم

الفائدة السادسة التجارب فانها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري احوالهم فان الخلطة لم تكمله التجارب والصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك كله لا تقدر عليه في الخلوة فهذه فوائد العزلة وآفاتها قد ذكرناها في صورة الفوائد وقد ذكرنا فيما سبق ان الطريق الأسد والمسلك الأرشد هو الطريق الوسطى بإتباع المصالح والمفاسد في العزلة والخلطة وكلما كان مقربا الى الله تعالى سالما عن جميع الشوائب فهو الأحق والأولى والله أعلم بالصواب

ولنختم هذه المقالة بذكر جملة من آداب المجالسة والمعاشرة مع أصناف الخلق ملتقط من كلام الحكماء

اذا اردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر من غير تكبر وتواضع من غير مذلة وكن في جميع امورك في أوساطها ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على ظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عليهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا سكن غضبك فتكلم

واصغرهم عن غيرهم

وان دعوت الى سلطان فاحذر منه وكن معه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تامن انقلابه عليك فارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق وان جلست فادبها غض البصر ونصر المظلوم واعانة الملهوف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واياك ومجالسة الملوك فان فعلت ذلك واضطررت اليه فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة الملاعبة وكثرة الحذر منهم وان اظهروا المودة ولا تتجشا بحضرته ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شي الا افشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض معهم في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجري عليك ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته الصالحون ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر ويكثر العيوب وتظهر الذنوب وقد قيل ان المزاح لا يكون الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح كثر فيه اللغط فليذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه من جلس في مجلس كثر فيه لغطه فقال عند القيام سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك وقد عرضنا مما اردنا من باب العزلة واشتماله على ما اوردنا ما دعانا اليه وبالله التوفيق

المقالة السابعة في الغرور من علوم الكتاب علم

ان مفتاح السعادة الاخروية هو التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الاخروية هو الغرور والغفلة فلا نعمة لله تعالى على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة على القلب اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة ولا باعث لهما الا غلبة الهوى واستحكام الظلمة

فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد في الليل والصباح والمغترون الغافلون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض واهل الهوى الذين اراد الله ان يشرح صدره وهم اهل الهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء واهل الضلالة هم الذين لم تنفتح بصائرهم فكونوا بهداية الكلام مسترشدين واستهواهم الغي فاصبحوا في بحار الجهالة والغي مترددين فاذا مهدت هذه القاعدة فاعلم ان الغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور لا محالة واكثر الناس يظنون بانفسهم خيرا وهم مخطئون ولنذكر ذم الغرور ومجامع ما يغترون به تفصيلهما بمعونة الله

التقرير الاول في بيان ذم اهل الغرور

قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقال صلى الله عليه حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغلبون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكلما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل واشد الغرور غرور الكفار فهم الذين غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور وغرور العصاة الفساق من اهل الاسلام فاما الكفار فالغرور من حقهم هو انهم جحدوا البعث والرسالة وانكروا الامور الاخروية كما حكى الله عنهم بقوله وما اظن الساعة قائمة وكما حكي عن عبد الله بن امية وهو ابن عمة الرسول صلى الله عليه حيث قال وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك بيت من زخرف الى اخر الآيات وكما روي عن خباب بن الارت رضي الله عنه انه قال كان لي على العاص بن وائل السهمي دين فجئت اتقاضاه فلم يقضني فقلت اني اخذه في الآخرة فقال اذا صرت الى الآخرة فان لي هناك مالا وولدا اقضيك منه فانزل الله فيه افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب وقال الله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن

الساعة قائمة ۞ وتارة يغترون بتأخير العذاب كما قال تعالى ويقولون في أنفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ۞ وتارة ينظرون
إلى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون
أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا إفك قديم ۞ إلى غير ذلك من الغرورات الكاذبة والأماني
الباطلة التي قنعوا بها وغرتهم الأماني بها ۞ وأما العصاة الفساق من
أهل القبلة فغاية غرورهم أنهم قالوا إن الله كريم وإنا نرجو عفوه وكرمه
واتكلوا على ذلك وأهملوا الأعمال الصالحة التي يرتجى بها الفوز عند الله تعالى وعبروا
ذلك بتسميته تمنيهم واغترارهم رجاء ويظنون أن الرجاء مقام محمود في الدين
وأن نعمة الله تعالى واسعة وأن رحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد
في بحار رحمته الواسعة وأنهم موحدون مؤمنون دون غيرهم خونة بوسيلة
الإيمان ۞ وربما كان مغترا رجاؤهم التمسك بصلاح الآباء وعلو مرتبتهم كاغترار
العلوية بنسبهم ومخالفتهم لطريق سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع
وظنوا أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم كانوا في غاية الورع والتقوى
كانوا خائفين وهم في غاية الجور والفسق والظلم والخوف آمنون فهذا هو
نهاية الغرور بالله تعالى وما درى أن الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي
وأن نوحا لم ينفع ولده وأن الرسول صلى الله عليه لم يشفع والدته حيث استأذن
في الزيارة لقبرها والاستغفار لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار
وقيل للحسن البصري قوم يقولون نرجوا الله ويضيعون العمل فقال هيهات
هيهات تلك أمانيهم يترجحون بها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب
منه ۞ وعن بعض أهل الصلاح أنه قال سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له
رجل أنا أرجو الله فقال له هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن
خاف شيئا هرب منه فهذا غرور الفريقين ۞ التقرير الثاني في
بيان المغترين وتقسيمهم وهم فرق كثيرة ۞ واعلم أن المغترين فرق كثيرة
مجتمعهم في مراتب أربع المرتبة الأولى المتمسكون بالعلم والمتصفون
به وأهل الغرور منهم أصناف عشر ۞ الصنف الأول
الذين أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا
تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغتروا بما تفقهوا
من العلوم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم بلغوا مبلغا لا يعذبهم الله وأنه
لا يطالبون بذنب وأنهم يشفعون في الخلق يوم القيمة فهذا وما شاكله غرور كاذب

وأما

وأماني باطلة ۞ الصنف الثاني أحكموا العلم والعمل وواظبوا على الطاعات
الظاهرة وتركوا المعاصي خلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم عن الصفات المذمومة
المهلكة من الحسد والرياء وطلب الرياسة ۞ وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك
مذموم مهلك فهو مكب على ذلك غير محترز منه ۞ ولا يلتفت إلى قوله صلى
الله عليه أدنى الرياء الشرك الخفي ۞ وقوله صلى الله عليه لا يدخل الجنة من كان في
قلبه مثقال حبة من خردل من كبر إلى غير ذلك من الوعيد على هذه الصفات المذمومة
فهذا غرورهم في عدم الاحتراز فيما هذا حاله وصفته ۞ الصنف الثالث
تفقدوا هذه الأخلاق الباطنة وعلموا أنها مذمومة من جهة الشرع خلا أنهم
لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع قدرا من أن الله تعالى
يبتليهم بذلك وإنما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم ثم إذا ظهر
على أحدهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر
وإنما هذا طلب العز للدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام
أنوف المخالفين من أهل البدع فهذا غرور كاذب ۞ الصنف الرابع
أحكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي
وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر وطلب
العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوها من القلوب وأزالوا منابتها
الجلية الواضحة ولكنهم معدودون من جملة المغترين خبث بقوا منها
بقايا في زوايا القلوب هي مصايد الشيطان ومكايد النفس والهوى وربما
غمض مدركها فلم يفطنوا لها ۞ ومثاله من يريد تطييب الأرض عما يفسدها من
الحشيش فربما يجتهد في قلع الظاهر وتبقى بقايا كامنة تحت الأرض ربما
ظهرت فأفسدت الزرع فإن لم يشتغل بالبحث عن أغوارها بطل الزرع وهذا
الصنف والذي قبله كثيرا ما يدور ويعظم البلوى بهما ولا يخلص منهما إلا
من وفقه الله ۞ الصنف الخامس الذين اقتصروا على علم الفتاوي
في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين
الخلق لمصالح المعايش وخصصوه باسم الفقه وسموه الفقه وعلم المذهب
وربما ضيعوا الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم
يحرسوا ألسنتهم عن الغيبة والبطن عن أكل الحرام والبعد عن المشي إلى السلاطين
وأرباب الظلم ولا حرسوا قلوبهم عن الرياء والحسد والكبر وساير المهلكات
فلا محالة غرور ومهلك ۞ الصنف السادس هم الذين اشتغلوا
بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم

واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة اولئك
وافحامهم وزعموا انه لا يكون لعبد ايمان بالله الا ان يتعلم جدلهم واعتقدوا
انه لا احد اعرف بالله تعالى وبصفاته منهم وانه لا ايمان الا لمن يعتقد مذاهبهم
الكلامية وعاداتهم الجدلية وظنوا انهم فازوا بالعلم النافع فما هذا حاله
غرور ايضا فان القرن الاول من الصحابة رضي الله عنهم كانوا من اعظم الخلق
ايمانا واصلب فهم عقيدة ولم يلتفتوا الى ذلك واعرضوا عنه.

الصنف السابع جعلوا اشتغالهم الوعظ واعلاهم حالة من يتكلم في اخلاق
النفوس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل
والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائرها وهم مغرورون من
جهة انهم اذا تكلموا على هذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين
بها وحاصلين عليها وهم في غاية البعد عنها الا قدرا يسيرا لا ينفك عنه عوام
المسلمين فيها فهذا هو غاية الغرور لما ذكرناه

الصنف الثامن. الذين قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم فهم يحفظون الكلمات على
وجوهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فيفعل ذلك بعضهم على المنابر
وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق وكل منهم يظن انه اذا تميز
بهذا القدر عن اهل السوق والجند والديوان فقد فاز بالعرض
وافلح وصار مغفورا له وامن من عقاب الله وهذا غرور ايضا
فان حفظ كلام الزهاد وادمانه عادته من ظاهر قلبه لا يكفيه ولا يكون
مستعفيا الا بالعمل فقد صار في غرور كاذب.

الصنف التاسع الذين استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني سماعه وجمع الروايات
الكثيرة وطلب الاسانيد العالية الغريبة فهمة احدهم ان يدور في البلاد
ويرى الشيوخ ويقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسانيد
الغريبة ما ليس مع احد من الخلق فهؤلاء في غاية الغرور ايضا فانهم ليس معهم
شيء من معاني السنة فعلمهم قاصر ليس معهم الا النقل ويظنون انه يكفيهم
والامر على خلاف ذلك.

الصنف العاشر قوم اشتغلوا بعلم النحو واللغة
والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انهم قد غفر لهم وانهم من
علماء الامة لان قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة انما
هو بعلم النحو واللغة فافنوا هؤلاء اعمارهم في دقائق النحو واللغة
وفي صناعة الشعر. وهذا غرور ايضا فانه يكفي في علم الكتاب
والسنة ما يمكن قوام الاعراب به والوصول الى معانيها. وما عداه

فضل

بفضل لا حاجة اليه فهذا ما اردنا ذكره من هذه الفرق المغترين بما ذكرناه

المرتبة الثانية السالكون مسلك العبادة

والعمل ثم ان المغرورين منهم اصناف **الصنف الاول** اهملوا علم الفرائض
واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان
والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء
المحكوم بطهارته في فتوى ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة فما هذا
حاله مغرور وربما اشتغل بتطهير الاعضاء حتى فات الوقت ومع ذلك فانه
ربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان
احسن واولى.

الصنف الثاني الذين غلبت عليهم الوسوسة
في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعتقد نية صحيحة بل يشوش عليه
حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وان اتم تكبيرة كان في قلبه تردد
في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبيرة حتى ينتهي بهم الحال الى تغيير صيغة التكبير
لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلاة ثم يغفلون في اثناء الصلاة
عن الخشوع واحضار القلوب في العبادة فهذا غرور هؤلاء وهو واقع
كما ترى.

الصنف الثالث الذين غلبت عليهم الوسوسة في
اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال احدهم يحتاط
في التشديد والفرق بين الظاء والضاد وتصحيح مخارج الحروف في جميع
صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه غافلا عن جميع معاني القرآن فهذا غرور
هؤلاء وهو من افحش الغرور.

الصنف الرابع الذين اغتروا
بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة
مرة وربما يريد احدهم على ذلك فالسنتهم تجري به وقلوبهم تتردد في اودية
الاماني واعمال الدنيا ولا يتفكرون في معاني القرآن ولا ينزجرون بزواجره
ولا يقفون عند اوامره ونواهيه ولا يتعظون بمواعظه فهؤلاء ظنوا ان
المقصود هو الهمهمة والهذرمة بالغفلة وهذا من الغرور.

الصنف الخامس
الذين اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر كله وصاموا الايام الشريفة
وهم في ذلك لا يحفظون السنتهم عن الغيبة والنميمة وخواطرهم
من الرياء وبواطنهم من اكل الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع
الفضولات طول النهار وكل منهم يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل
ثم لا يقوم بحقه وهذا نهاية الغرور.

الصنف السادس
الذين اغتروا بالحج من غير خروج من المظالم وقضاء الديون واسترضاء

فيخرجون الى الحج

يغفلون

اروي

الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام
ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن تطهير الاثواب والبدن
ولا يحترزون عن الزيت والحصام في الطرقات وربما جمع بعضهم الحرام والشبهة
على رفقته في الطريق وهو يطلب بذلك الرياء والسمعة فيعصي الله في كسب الحرام
اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا وهو مع ذلك يظن انه على خير وهو مغرور الصنف
السابع الذين تصدوا بزعمهم للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على
الناس ويأمرهم وينسى نفسه واذا امرهم بالخير اعتنف عليهم وطلب الرياسة
والعز واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا محتسب فكيف تنكر علي وقد
يجمع الناس في مسجده ومن تأخر عنه غلظ عليهم القول وانما غرضه الريا
والسمعة والرياسة فهذا قد حاز الغرور كما ترى الصنف
الثامن اقوام جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم
ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فصارت قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول
اهل بلادهم ان فلانا مجاور بمكة والمدينة واحدهم يتمدح ويقول قد جاورت
بمكة كذا وكذا سنة ويحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه يجاور ويمد عين الطمع
الى اوساخ اموال الناس فاذا جمع منها شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه
بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر منه الريا والبخل والطمع وجملة من الخصال
المهلكة الصنف التاسع اقوام زهدوا في المال وقنعوا من اللباس والطعام
بالدون ومن المسكن بالمساجد فظنوا انهم قد ادركوا رتبة الزهاد وهم مع
ذلك في غاية المحبة للرياسة والجاه اما بالعلم واما بالوعظ او بمجرد الزهد
فقد تركوا اهون الامرين وهو اللباس والمطعم وتلبسوا باعظم المهلكين
حب الرياسة وحب الجاه فهؤلاء مغرورون لانهم ظنوا انهم من الزهاد وهم ابعد
ما يكون من طرايقهم الصنف العاشر اقوام حرصوا على
النوافل ولم يعظم عندهم الاعتداد بالفرائض فترى احدهم يفرح بصلاة الضحى
وصلاة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفرائض لذة ولا يشتد حرصه على
المبادرة لها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب الى المتقربون
بمثل اداء ما افترضت عليهم يرويه عن الله فما هذه حالة مغرور في الغرور
فهذه مجامع الغرور لهذه الفرق قد عرفتها والسالم في الدين من عرفها وبعد
عنها بتوفيق الله المرتبة الثالثة اهل التصوف وهم اصناف في الغرور
ونذكر منها عشرة الصنف الاول متصوفة اهل زماننا هذا الا من
اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فتشبهوا بالصادقين من الصوفية كالجنيد

والشبلي

والشبلي وابي يزيد البسطامي وغيرهم في الزي والهيئة وفارقوهم في الخوف
والخشية والصدق وليس لهؤلاء حظ من التصوف الا لبس المرقعات
وتنفس الصعدا واهملوا نفوسهم عن الخوف والمجاهدة الصنف الثاني
الذين ازدادوا اعلى في الغرور لانه شق عليهم الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا
بالدون وارادوا ان يتظاهروا باسم التصوف ولم يجدوا بدا من التزين بزيهم
فتركوا لبس الخز والحرير والابريسم فطلبوا المرقعات الفاخرة والفوط الرفيعة
والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قدرا من الحرير
وظنوا انهم متصوفة وهم مغرورون الصنف الثالث
ادعوا علوم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال ولا يعرفون
هذه الامور الا باساميها ومجرد العبارات ولا يحصلون شيئا من معانيها بل قد
يتلقفون كلمات الصوفية وهم يرددونها ويظنون ان ذلك اعلى من علم الاولين
والاخرين فهم ينظرون الى الفقهاء والمفسرين واهل الحديث وجميع اصناف
العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان اهل الحرف والصناعات يلازمونهم
ويحفظون منهم كلمات زايفة وليس معهم سواها فهم مغرورون الصنف
الرابع وقعوا في الاباحة وطووا بساط الاحكام ورفضوا الفصل بين
الحلال والحرام وزعم بعضهم ان الله غني عن العلم والعمل فلم اتعب نفسي وبعضهم
يقول لم يكلف الله تعالى الا تطهير القلوب لا غير عن الشهوات وعن حب الدنيا
من غير حاجة الى هذه التكاليف الظاهرة وانما المقصود عمل القلوب بان تكون
والهة الى الله فهذا غرور كاذب الصنف الخامس
الذين احسنوا الاعمال الظاهرة وطلبوا الحلال واشتغلوا بتفقد القلب وصاروا
يدعون المقامات العظيمة من الزهد والتوكل والرضا والحب لله من غير وقوف
على هذه المقامات وشروطها وعلاماتها لكنه ربما تخيل في الله خيالات بدعية
كفرية فيدعي معرفة الله وهو جاهل ويدعي الاخلاص وهو في غاية البعد
منه الصنف السادس الذين ضيقوا على انفسهم امر القوت حتى
طلبوا الحلال الخالص واهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة ولم
يعلموا ان الله كما هو طالب للحلال فهو طالب لاحراز هذه الخصال والحصول على
الطاعات واجتناب المعاصي وان طلب الحلال غير كاف واعتقاده انه كاف في
غرور لا محالة الصنف السابع الذين اشتغلوا با
المحاسبة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس عن سائر العيوب
وصاروا يتعمقون فيها ويشغلون اعمارهم في البراءة عن العيوب فهم

في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس ومعرضون عن المقصود
ومثالهم كمن اشتغل بالبحث عن عوائق الحج ولم يسلك طريق الحج فهولاء
مغرورون ايضا **الصنف الثامن** الذين ادعوا حسن الخلق والتواضع
والسماحة فتصدوا للخدمة اهل التصوف فجمعوا قوما وتكلفوا خدمتهم
واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع الاموال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون
الخدمة وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفقها عليهم وبعضهم ياخذ الاموال
لينفقها في طريق الحج ويزعم ان غرضه البر وانما غرضه الرياء والسمعة ويدل على
ذلك اهمالهم لاوامر الله ظاهرا وباطنا فهذه غاية الغرور **الصنف
التاسع** الذين انفتحت لهم الابواب الى معرفة الله تعالى لكنهم
قصروا نفوسهم وتعدوا عن الوصول الى المقصود وصاروا
بما يقلبون مثاله من قصد ملكا من الملوك يريد مشاهدته وخدمته
على بابه روضة بهيجة فاعجبته فقعد فيها واشتغل عن مواصلة الملك
وخدمته فتغافلوا بما ذكرناه **الصنف العاشر** الذين جدوا واجتهدوا
على ارادة الوصول الى طاعة الله والفوز بقربه وافيضت عليهم انوار الهداية
فظنوا لما انفض عليهم من تلك الانوار انهم وصلوا ولم يصلوا فاغتروا
ولم يعرض لهم الوصول فهذا غرور لكنه غرور ليس فيه خطر لانهم
ظنوا التمام فقصروا عن بلوغ الغاية فهذا ما اردنا ذكره من ذكر المتصوفة

المرتبة الرابعة في بيان غرور اهل الاموال والمغترون منهم
اصناف ستة **الصنف الاول** يحرصون على بناء المساجد والرباطات
والمدارس والخانات والقناطر واصلاح الطرقات وما يظهر للناس
كالدمن المناهل وحفر الابار ويطلبون بذلك الفخر والرياء والسمعة وما قصدوا
بذلك وجه الله وعلامة ذلك انهم لو انفق احدهم درهما في خفية ما رضي
بذلك فغرورهم انه خاطل من وجهين احدهما انهم ابتنوها من الاموال
المكتسبة من الربا والمظالم وانواع الحرام وثانيهما اظهار الرياء وكلما
يتعلق به **الصنف الثاني** الذين اكتسبوا المال من جهة
الحلال وانواع التجارات لكنهم مغرورون من وجهين احدهما انه
كان في جوارهم وفي بلدهم ناس من الفقراء فلا يصرف اليهم درهما واحدا
مع الحاجة العظيمة هذا وانما الصرف الى المساجد هذا وثانيهما انه يصرف ذلك
الى زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش الذهبية والفضية وهو منهي
عن ذلك وشاغلة لقلوب المصلين ومختطفة ابصارهم عن الخشوع في الصلاة

وحضور القلب **الصنف الثالث** الذين ينفقون الاموال النفيسة في الصدقة
وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون بذلك المحافل والمجامع من اجل الشكر واشاعة الذكر
ويخصون بذلك من كان من الفقراء عادته الشكر والافشاء بذكر المعروف ومن كان منهم
خامل الذكر فانهم لا يعولون عليه فهذا غرور عظيم الخطر قل من يسلم منه
من اهل الاموال **الصنف الرابع** الذين يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل
بها ثم انهم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كقيام
الليل وصيام النهار وختم القرآن وقراءته ثم انهم مع ذلك مغرورون لان البخل
المهلك قد استولى عليهم في بواطنهم فهو محتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل
بطلب فضائل هو مستغن عنها وعليه خطر عظيم في انفاقه فهو غافل عنه فهذا
غرور **الصنف الخامس** الذين غلب عليهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء
الزكاة فقط من غير زيادة لكنهم يخرجونها من المال الخبيث والجنس الردي الذي يرغبون
عنه ولا يحبونه ومع ذلك يطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم وما
يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمتهم فهذا كله يكون غير
غرور ونقص من اجورهم وانهم يعطونها لله تعالى ولا اخلصوها لوجهه الكريم
الصنف السادس الذين اغتروا من الاغنياء بحضور مجالس الذكر واعتقدوا
ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد السماع
للوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجر عظيم وهم مغرورون لان فضل مجلس
الذكر انما يكون محصلا للخير اذا كان مرغبا في الخير فاذا لم يكن مهيجا للرغبة فلا خير
فيه وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور مجالس الذاكر وفضل البكاء
وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما رقيقا مخوفا فلا يزيد
على تصفيق يديه ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله وسبحان الله ويظن انه قد اتى
بالخير وهو مغرور وما ذكرناه فهذه جميع اصناف الفرق المغترة وما هم عليه على
التفصيل الذي اشرنا اليه **سؤال** ما ذكرتم من مداخل الغرور لا مخلص منه لاحد ولا
يمكن الاحتراز عنه لاحد وهذا يوجب اليأس من رحمة الله ولا يتكلم احد عن هذه
الافات **وجوابه** ان السلامة سهل على من وفقه الله تعالى للخير ولطف الله
بالطائفة المخفية فانه امر سهل لان الذي ثبت ان طريق النجاة تحصل بامور
ثلاثة الاول العقل فانه يميز بين الحسن والقبيح ويستعمله فانه هو النور
الاصلي والعقل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وصف له الرجل بالعبادة اثنى
عليه بضروب من الثناء الا انه يقول كيف عقله فان الاحمق يصيب

بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وثانيهما العلم بحيث
لا بد ان يكون عالما بالله وعالما بنفسه وعالما بحال الدنيا ويعلم حال الآخرة فاذا ادرك
هذه الامور كلها كان ذلك سببا الى النجاة وثالثهما العمل ونعني بذلك ان يجتهد في فعل
ما يقربه الى الله تعالى وما يقربه الى الجنة وما يبعده من النار وجميع ذلك قد شرحناه

في المهلكات والمنجيات **المقالة الثامنة** في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من
علوم الكتاب اعلم انهما قطبان من اقطاب الدين وهما المهمات اللذان بعث الله بهما
جميع النبيين ولو طوي بساطهما واهمل رعاية حقهما لتعطلت النبوة واضمحلت
الديانة وعمت الفتنة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وانتشر الفساد واتسع الخرق
وخربت البلاد وكان الذي خشينا ان يكون فانا لله وانا اليه راجعون اذ قد اندرس
من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب
مداهنة الخلق وبطلت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الشهوات
وانهمكوا في مواقعة الشبهات وعز على بسيط الارض مؤمن صادق لا تاخذه في الله
لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وانتعاش هذه العثرة مجددا لهذه
السنة الداثرة مجيبا بيعة ولبانه هذه الآثار الغابرة ناهضا باعبائها
ومتشمرا في احيائها كان متأثرا من بين سائر الخلق باحياء سنة افضى الزمان
الى اماتتها ومستبدا باحياء قربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وفاز
عند الله بالحظ الاكبر وظفر من جهته بالنصيب الاجزل الاوفر ونحن الآن نشير الى
ما لا بد ان نذكره من حالهما على جهة الايجاز لان كتابنا هذا لا يتسع لاكثر مما نورده

من ذلك في مطالب اربعة **المطلب الاول** في بيان وجوبهما والاشارة الى فضلهما
ويدل على ذلك بعد انعقاد الاجماع عليه الآيات والاخبار والآثار فهذه جهات
ثلاث **الجهة الاولى** الآيات قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد لانه علل استحقاقهم
لما قاله من اللعنة بتركهم انكار المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وفي هذا دلالة على فضيلة الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر اذ نبه انهم انما كانوا خير امة من اجل ذلك وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به

وقوله كرهم المعلق وقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية

انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا
يفسقون فبين انهم انما استفادوا النجاة من اجل نهيهم عن السوء وقال تعالى الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ولله عاقبة الامور فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين
وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وقال تعالى لولا
ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون
وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض
الآية فهذه الآيات كلها دالة على الاهتمام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر **واما
الاخبار** فكثيرة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما من قوم يعملون بالمعاصي او شكوا
ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لابي
ثعلبة الخشني يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع العوام
ان من وراءكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر
خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله فقال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا
وهم لا يجدون عليه اعوانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليسلطن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم ومعناه تسقط
مهابتهم من اعين الاشرار فلا يخافونهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يا ايها الناس ان الله تعالى يقول تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فأمروا
بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وآله
ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال
البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة من
بحر لجي وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليسأل العبد ما منعك اذ رايت المنكر ان
تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما
هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقها
قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وآله وسلم كلام العبد المؤمن كله عليه لا له الا امر بمعروف
او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يعذب

الخاصة بذنوب العامة حتى يرا المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان
ينكروه فلا ينكروه وروى ابو امامة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كيف
انتم اذا طغى نساؤكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم
والذي نفسي بيده واشد منه قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم
اذا لم تامروا بالمعروف وتنهون عن المنكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال
نعم والذي نفسي بيده واشد منه قالوا وما اشد منه قال كيف انتم اذا رأيتم
المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا او كائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي
بيده واشد منه قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا امرتم
بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا او كائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي
بيده واشد منه سيكون يقول الله بي حلفت لاتيحن فتنة يصير الحليم فيها
حيران وقال ابو عبيدة ابن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله
قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم
يقتله فالقلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل شهداء امتي رجل قام الى امام جائر
فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في
الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول بئس القوم قوم لا يامرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يامرون بالمعروف
ولا ينهون عن المنكر وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
هل من جهاد غير قتال المشركين فقال الرسول صلى الله عليه وآله نعم يا ابا بكر ان لله
تبارك وتعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقين يمشون على
الارض يباهي الله بهم الملائكة وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله
فقال ابو بكر ومن هم فقال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون
في الله والمبغضون في الله والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة
فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاث مائة باب منها الياقوت
والزمرد الاخضر على كل باب منهم نور وان الرجل منهم يزوج ثلاث مائة الف
حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها فتقول
أتذكر يوم كذا أتذكر يوم كذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت الى
واحدة ذكرت له مقاماته امر فيه بمعروف ونهى عن منكر **واما الآثار** فقد قال
ابو الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم

سلطانا

سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم يدعوا عليه خياركم فلا يستجاب
لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم وسئل ابو حذيفة
من ميت الاحيا فقال هو الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك
بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم
بايام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما يغمز بعض النساء فقال مهلا مهلا يا بني فسقط
من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله
الى نبي زمانه ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا اما كان من غضبك
لي الا ان قلت مهلا مهلا يا بني وقال ابو حذيفة يأتي على الناس زمان لان تكون
فيهم جيفة احب اليهم من مؤمن يامرهم وينهاهم واوحى الله الى يوشع بن نون
اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال يا رب
هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلوهم ويشاربوهم
وقال بلال بن سعيد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت فلم
تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك في قومك
قال حسنة قال كعب الاحبار ان التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول
ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه قال صدقت
التوراة وكذب ابو مسلم قال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه اول
ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا
لم يعرف القلب المعروف وينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقيل للفضيل
الا تنهى وتامر فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على
ما اصيبوا وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انفتق
البحر فمن يقدر ان يسكره **المطلب الثاني في بيان درجاتهما** في الامر والنهي
بهما وجملتها درجات ثمان **الدرجة الاولى** منها التعرف ونعني بالتعرف
طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس وهو منهي عنه فلا
ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت المزمار ونغم الاوتار
والطبل والدف ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر من دار جاره ولا من غيرها
ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار والعود ولا ان يستخبر جاره ليخبره
بما يجري في دور الجيران نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا
شرب الخمر في داره او في داره خمر معدة للشرب فله عند ذلك ان يدخل داره
من غير استيذان ولا يلزمه ذلك الاستيذان ويجوز له تخطي ملكه بالدخول
للتوصل الى دفع المنكر مثل كسر الملاهي والضرب والمنع مهما احتيج الى ذلك وان اخره

عدل، واحد فغير جواز الهجوم على داره بقوله نظرًا، واحتمالا، والأولى ان يمتنع من ذلك
لأن لداره حرمة، فلا يدخل داره بغير اذنه ولا يسقط له حق المسلم عما ثبت له حقه
الا بشاهدين فهذا احق ما يجعل معيارًا في ذلك وقد كان نقش خاتم لقمان الستر لما
عاينت احسن من اذاعة ما ظننت **الدرجة الثانية** التعريف فان المنكر
قد يقدم عليه المقدم لجهله فاذا عرف وجب عليه ~~المقدم لجهله فاذا عرف وجب~~
~~عليه~~ تركه كالعامي الجلف فانه يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ذلك لجهله لأن
هذا ليس بصلاة ولو رضي بانه لا يكون مصليًا لتركه اصل الصلاة فيجب تعريفه
بالتلطف من غير عنف لأن في ضمن التعريف نسبته الى الحمق والجهل والتجهيل ايذا
وقل ما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالأمور لاسيما بالشرع ولذلك ترى الذي
يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطا والجهل وكيف يجتهد في مجاهدة
الحق بعد معرفته خيفة ان ينكشف له عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة
الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في
وجهها وصاحبه ملوم عليه وقبح السواد يرجع الى صورة البدن والنفس
اشرف من البدن وقبحها اشد من قبح البدن **الدرجة الثالثة** النهي
بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدم على الامور وهو عالم بكونه منكرًا
او في حق من اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرًا كالذي يواظب على الشرب او
على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله
تعالى ويورد عليه الأخبار الواردة في الوعيد عليها ويحكى له سيرة السلف وعادة
الأبرار المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف ولا غضب بل ينظر اليه
نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه لأن المسلمين كنفس
واحدة ثم ان ها هنا آفة عظيمة على المنكر وهو ان لا يعجب بنفسه فيغتبط بالوعظ
عن نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل ولكن يقصد وجه الله تعالى على ~~مانزه هذه من هذه~~
~~المعصية مصيبة على نفسه لأن المسلمين كنفس واحدة ثم ان ها هنا آفة عظيمة~~
بالوعظ والتذكير وليحمد الله تعالى على ما نزهه من هذه المعصية **الدرجة الرابعة**
السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع
باللطف وظهور مبادي الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح ولسنا نعني الكلام
الفاحش ولا تعييره بما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته بل يخاطبه بما لا يعده
من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله تعالى وكقوله يا جلف
يا غبي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق هو احمق وجاهل ولولا حمقه وجهله ما عصى الله

بل كل من ليس بكيس فهو احمق فالكيس من شهد له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالكياسة
حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله **الدرجة الخامسة** التغيير باليد وذلك نحو كسر آلة الملاهي واراقة
الخمر وازالة الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على
مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة ونحو اخراجه من المسجد اذا كان جنبًا فاما
معاصي اللسان والقلب فلا يمكن تغييرها بالمباشرة للتغيير لها لأن ذلك غير
ممكن ولا ينبغي ان يأخذ برأسه ولا برجليه عند اخراجه من المسجد ولا يأخذ بلحيته
فانه لا حاجة الى مثل هذه الأمور لأن التغيير حاصل من دون ذلك **الدرجة السادسة**
التهديد والتخويف كقولك دع هذا والا كسرت رأسك والا ضربت عنقك
وذلك ينبغي ان يكون مقدمًا على الضرب ولا يجوز ان يهدده الا بما يعلم انه
يقدم عليه ويمكن تحقيقه لأن الضرب لكسر قيده وكسر الرأس يجوز فعلهما في ازالة
المنكر ولا يجوز ان يتهدده بوعيد لا يجوز تحقيقه نحو ان يقول لانهبن دارك
او لأقتلن ولدك او لأسبين امرأتك فان ما هذا حاله ان قاله من غير عزم
فهو كذب وان قاله عن عزم فهو حرام نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف
فله العزم عليه الى حد معلوم بمقتضى الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو
عزمه الباطن اذا علم ان ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل
المبالغة في ذلك معتادة **الدرجة السابعة** مباشرة الضرب باليد والرجل
مما ليس فيه شهرة سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على
قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي قد يحتاج الى
الايذاء بالحبس على من يثبت عليه الحق فان اصر المحبوس وعلم الحاكم قدرته
على اداء الحق وكونه معاندًا اعني اداءه فله ان يلزمه الأداء بالضرب على قدر ما يراه
صوابًا فان احتاج المنكر الى شهر السلاح وكان يعلم ان شهر السلاح يكفه عن
ذلك فله ان يكفه وان احتاج الى الجرح بالسلاح فلا بأس ان يتعاطا ذلك
كما لو قبض فاسق على امرأة او كان بينه وبين المنكر نهر حايل او مكان مرتفع
فله ان يوتر قوسه ويقول له خل عنها او لأرمينك فان لم يخل عنها فله ان يرميه
وينبغي له ان لا يقصد المقتل بل يرمي الساق والفخذ وما اشبه ذلك وهكذا
فانه يسل في وجهه السيف ويقول اترك هذا المنكر والا ضربت رأسك فكل
ذلك عناية وتوصل الى دفع المنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك
بين ما يتعلق بحق الله تعالى نحو شرب المسكر وبين ما يتعلق بحق الآدميين
نحو الظلم والربا وسائر المنكرات **الدرجة الثامنة** الا يقدر

على دفع المنكر بنفسه ومحتاج الى أعوان يشهرون السلاح ويأخذون أهبة
القتال وربما تثبت الفاسق بأعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان
ويقتتلا فهل يكون ذلك الى الأمام او يكون الى آحاد الناس وهذا مما وقع
فيه تردد فقال قائلون لا يشتغل به آحاد الناس لأنه يؤدي الى تحريك الفتن
وهيجان الفساد وخراب البلاد وهذا هو رأي أئمة الزيدية والمعتزلة
وقال آخرون يجوز ذلك لآحاد الرعية لا يمكنهم ذلك وانما أمره الى الأمام
لأن ولايته عامة وليس على يده الا يد الله تعالى وهو متأهل للقوة
والقتال وأهراق الدماء فاما آحاد الرعية على بعضهم بعضا فيؤدي الى
ثوران الفتنة واتصال القتال من غير حاجة ويحكى عن الشيخ أبي حامد
الغزالي جواز تولي ذلك لآحاد الرعية حتى قال يجوز الكف عن المنكر بالقتل والقتال
للآحاد والتولي كما اختزناه أيضا فهذا ما اردنا ذكره في ذكر درجات
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كيفيته تعالى عليه والله اعلم **المطلب الثالث**
في بيان المنكرات المألوفة في العادات اعلم أنا نشير الى جمل منها ليستدل بها
على امثالها إذ لا مطمع في حصرها وضبطها وانما ذكرنا هذه لأنها تعرض كثيرا
ونورد في ذلك مقالات ستة **المقام الأول** في منكرات المساجد اعلم ان
المنكرات منقسمة الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه
فالمراد ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس حراما واذا قلنا هذا منكر
محظور او قلنا منكرا مطلقا فنريد به المحظور المحرم الذي لا يجوز السكوت عليه
مع القدرة ويشتمل على صور سبع **الصورة الأولى** ترك الطمأنينة في الركوع
والسجود وهو منكر مبطل للصلاة فيجب النهي عنه على رأي الزيدية والشافعية
فاما الحنفي فذلك مذهبه فلا ينكر عليه ومن رأى رجلا يسيء صلاته فسكت
فهو شريك له في الأثم **الصورة الثانية** قراءة اللحن في القرآن يجب النهي عنها
ويجب تلقين الصحيح وان كان المعتكف في المسجد يضيع اكثر أوقاته ويشتغل
في المناجاة وجب الأنكار عليه اذا كان الأعتكاف واجبا والذي يكثر اللحن
في القرآن ان كان قادرا على التعلم أمر به فانه عاص بتركه وان كان لا يطاوعه
لسانه فان كان اكثر قراءته لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وسورة
الأخلاص وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس بقراءته لكنه
يخفض صوته **الصورة الثالثة** تطويل الاذان وتمديده والجنوح والانحراف
عن صوب القبلة وكثرة الأذان بحيث يضطرب الحال في الاذان فلا يفهم معنا

ن
لانه اذا جاز للاحاد
الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ولم يفصل
الادلة بين منكر ومنكر
والمختار هو الاول
لاحاد الرعية ...
فهم يضعفون عن ذلك
وهذا وقع الاستنكاف
لاحاد الرعية ...

لتداخل الأصوات واجتماعها وكل ذلك منكرات مكروهة وهكذا اختلال الأذان
قبل الصبح لأن ذلك يشوش الصوم والصلاة على الناس فان كان يعرف بالتذكير
قبل الفجر فلا بأس ولا بأس بالأربعة فما دونها اذا أذنوا في وقت واحد ويكره ايضا
تعاقبهم في أوقات متعاقبة بعد طلوع الفجر فيمنع منه **الصورة الرابعة**
لبس الخطيب الديباج والحرير او ممسكا للسيف الذي فيه حلية الذهب فانه فسق
بذلك فالانكار عليه واجب فاما الثياب الزرق فلا تكره لكن الأفضل البياض
ويكره للخطيب ان يضرب درجات المنبر بالسيف عند صعوده وانما تفعله الجبابرة
واهل التكبر **الصورة الخامسة** كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون
كلامهم بالكذب في الأخبار يجب انكاره وهكذا حال اهل البدع من المجبرة والمشبهة
يتحدثون عن ذكر التشبيه والجبر ويجب انكاره عليهم ولا يمكن من الوعظ الا من كان
خائفا لله تعالى ظاهره الورع والصلاح فاما من كان متزينا للنساء في ثيابه
وهيأته وحركاته كثير التغزل في الوعظ ويحضر مجلسه النساء فانه يمنع من ذلك
لما فيه من اظهار الفتنة وحصول الريبة ويجب منع النساء من حضور المساجد
في هذه الزحمات وقراءة القرآن مع التمديد والألحان على وجه يغير نظم القرآن منكر
يجب انكاره وقد انكره جماعة من السلف **الصورة السادسة** الجلوس
في يوم الجمعة لبيع الأدوية في المساجد منكر لا يمكنون منه وقيام السؤال
والتشاغل مكروه في المسجد لا حاجة اليه بل ينزه المسجد عنه والمتولي للمسجد
يمنع من اشتغل فيه بالوراقة والخياطة وغير ذلك من الأمور المباحة والبيع
والشرى لا يمكنون منه **الصورة السابعة** دخول المجانين والصبيان
والسكارى المساجد منكر يجب منعهم لأنه يؤدي الى تنجيس المسجد ولا بأس بدخول
الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه
الا اذا اتخذ المسجد ملعبا منع منه **المقام الثاني في بيان منكرات**
الاسواق ويشتمل على صور خمس **الصورة الأولى** الكذب في المرابحة واخفاء
العيوب في جميع المبيعات منكر يجب انكاره لما فيه من الخيانة وهكذا حال
المكيال والميزان اذا وقع فيهما تغيير وزيادة يجب التعهد له والتفقد لأحواله
ويجب ذلك على الأمام **الصورة الثانية** ترك الايجاب والقبول والاكتفاء
بالمعاطاة وصورته ان يدفع اليه الثمن من غير ذكر لفظي ايجاب وقبول الا
فيما كان من المحقرات فانه يغتفر فيه ترك الايجاب والقبول وهكذا حال
البيوع الفاسدة فيما بين الخلق يجب انكاره لأنه منحرف عن قواعد الشريعة

وان كان موجباً للملك كما هو مقرر في كتب الفقه **الصورة الثالثة** بيع
الملاهي كالطبل الذي يستعمل للغناء والدف والمزمار وانواع العيدان الموترة
بالشعر والابريسم والعصب والقصب وغير ذلك من الملاهي فكله محرم يجب انكاره
على صاحبه وهكذا احال الحيوانات المصورة في ايام العيد لاجل الصبيان يجب
انكاره **الصورة الرابعة** الاواني المتخذة من الذهب والفضة فانه يحرم
استعمالها ويجب النكير على من استعملها وهكذا بيع ثياب الحرير وقلانس الحرير
المحبوكة بالذهب التي لا تصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يشتريه الا
الرجال فكل ذلك محظور **الصورة الخامسة** بيع الثياب الخلقة المقصورة
التي تلتبس على الناس بقصارتها انها خلقة ويخيل اليهم انها جديدة فهذا الفعل
لا محالة حرام والمنع منه واجب وهكذا جميع انواع التلبيسات التي تفعل للجدة
والمنكر فهي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من غش وقوله صلى الله عليه وآله
ملعون من خان مسلماً او غره وذلك يطول احصاؤه فليقس ما لم نذكره بما ذكرناه

المقام الثالث في بيان منكرات الشوارع وهي مشتملة على صور خمس
الصورة الاولى وضع الاسطوانات التي يحفظ فيها الماء في السكك للشرب
متصلاً بالابنية وهكذا غرس الاشجار في الازقة واخراج الرواشن والاجنحة
ووضع الاخشاب على الجدرات في السكك اذا كان فيه مضرة وهكذا حال
الحبوب والاطعمة على الطرقات فكل ذلك منكر اذا كان يؤدي الى تضييق
الطرقات واستضرار المارة فان كانت الطريق واسعة فلا وجه للمنع
وهكذا ربط الدواب من الخيل والبغال والجمال بحيث يضيق على المارة ولا
يؤمن ضررها وتنجس المارة منكر يمنع منه **نعم** يجوز وضع الاحمال والاطعمة
في الشوارع في القدر القريب حتى تنقل الى البيوت ووضع الدواب في الطريق
في مقدار الركوب والنزول لا غير وذلك لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس
لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة الداعية القريبة التي ذكرناها **الصورة
الثانية** مرور الدواب وعليها الشوك بحيث يخرق اثواب المارة فذلك
منكر وان امكن شدها وضمها بحيث لا يخرق او امكن العدول بها الى موضع
واسع فلا بأس في ذلك لان الحاجة داعية لاهل البلد الى مثل ذلك **نعم**
لا يترك ملقاة على الشوارع والسكك الا بقدر مدة النقل لا غير وهكذا تحميل
الدواب من الاحمال ما لا يطيقه منكر يجب منعه **الصورة الثالثة**

ذبح

ذبح القصابين في الشوارع وبالقرب من الحوانيت وتلويث الطرقات بالدماء
والارواث منكر يجب منعهم عنه بل من حقه ان يتخذ مكاناً في دكانه يذبح فيه
لما فيه من الاضرار بالمارة في تضييق الطريق وتعفينها باراقة الدماء واستقذار
الجلباء من القاذورات التي تراق فيها وهكذا طرح القمامة في الطرقات وجلد
الرمان والدباء وقشر الموز ورش الماء لانه يؤدي الى التزلق والتعثر للمارة وربما سقط
المار فانكسرت رجله او جرح نفسه وكل ذلك من المنكرات فيجب منعه **الصورة
الرابعة** الموازيب المخرجة في الشوارع الضيقة فان ذلك ينجس المارة ويحصل
منه التزلق في الطرقات وهكذا اخراج البالوعات في الطرقات فانه يمنع
منها لما فيها من الضرر بالمارة وتعفين الطريق بارسال الامواه المتغيرة فيها فاما
ما كان يتعلق بالمطر فليس يختص به واحد دون غيره بل انما يجب ذلك على الامام
النظر في اصلاح الطرقات وتعهدها باصلاح احوالها فذلك من جملة المصالح
الدينية فكل ما كان ضرره مضاف الى شخص بعينه فانه يجب عليه ازالته وما كان
من الضرر غير لاحق بالآحاد فهو من المصالح الموكولة الى الامام **الصورة الخامسة**
ربط الكلاب الضارية على الابواب منكر يجب منعه لما فيه من الاذية للمسلمين
ويؤدي الى تنجيس الطريق فيحصل من ربط الكلاب ضرران احدهما خيفة العقر
منها وثانيهما تنجيس الطرقات وبسط ذراعيه في الطرقات المضيقة

المقام الرابع في بيان منكرات الحمامات وهو مشتمل على صور خمس **الصورة
الاولى** ما يحصل من صور الحيوانات التي في جدر الحمامات وبيوتها الداخلة
والخارجة فان ما هذا حاله يجب تغييره ويكفيه في تغييرها قطع رؤوسها
وتغليلها وتشويه وجوهها بحيث تبطل صورها ولا يمنع من صور الاشجار وسائر
النقوش فانها مباحة فان لم يمكن تغييره فانه يعدل الى حمام آخر فان ما هذه
المنكر غير جائز **الصورة الثانية** كشف العورات والنظر اليها في الحمامات ومن
جملتها كشف العورة للدلاك للفخذ وما تحت السرة ومن جملتها ادخال اليد تحت الازار
فان مس العورة في الغير حرام كالنظر اليها وهكذا الانبطاح على الوجه لتغميز
الاعجاز والافخاذ فما هذا حاله فانه مكروه وان كان مع حائل ولكنه لا يكون محظوراً
اذا لم يخش حركة الشهوة وهكذا كشف العورة للحجام **الصورة الثالثة**
غمس الايدي والاواني النجسة في المياه القليلة في الحياض الصغيرة وغسل
الازار وغسل الطيبات والقداح في الحوض وماؤه قليل فانه ينجس الماء على رأي الاكثر

من ايمة الزيدية وداود فعنده والحنفية فانهم يذهبون الى تنجيس الماء القليل
وان لم يتغير بالنجاسة الا مالكا وهي محكي عن الامام القسم عليه السلام من ايمة اهل البيت
فان اجتمع زيدي وشافعي ومالكي فليس للشافعي مسح الماء المالكي من ذلك الا بطريق اللطف
والالتماس وهو ان يقول اني محتاج الى الماء فاغسل يدك اولا ثم اغمسها في الماء وانت
مستغن عن ايذائي بتنجيس الماء علي لان ما هذه حاله فهو من جملة المسائل الخلافية
والمضطربات الاجتهادية والمختار عندنا ان الماء القليل لا ينجس الا بتغيره من النجاسة
من لون او طعم او ريح كما قاله القسم ومالك وقد نصرناه في الكتب الفقهية **الصورة الرابعة**
ان يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجار ملس من الغسل يزلق بها
فيها الغافلون فما هذه حاله منكر يجب تغييره وقلعه وازالته وينكر على الحمامي اهماله
لانه يفضي الى السقوط وقد تؤدي السقطة الى انكسار الرجل واليد وهكذا ترك الصابون
والسدر المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه على حاله من غير تغيير له
فزلق فيه انسان وانكسرت رجله او يده فالضمان واجب لا محالة وعلى من يكون
الضمان فيه تردد فيمكن ان يقال انه على من تركه ويمكن ان يقال انه على الحمامي والاقرب
انه على من تركه لانه اختص به والله اعلم **الصورة الخامسة** دخول النساء
الحمامات مكروه الا الحائض او نفسا او مريضة وهل يجب انكاره عليهن ام لا فيه تردد
والاقرب انه لا ينكر عليهن في الحمامات الا ما ينكر على الرجال فيها من جميع ما ذكرناه فاما
مجرد منعهن عن الحمامات فلا وجه له الا ان يتعلق به منكر وجب ازالة ذلك المنكر
دون دخول الحمام فهذه ما اوردناه في المنكرات المتعلقة بالحمامات والله اعلم
المقام الخامس في بيان منكرات الضيافة وما يتعلق بها ملونه ست صور **الصورة
الاولى** فرش الحرير للرجال وتهيئة المجامر الفضية والذهبية والشرب فيها واستعمال
الذريرة فيهما ووضع ماء الورد فيهما او بخار اسه عنهما وهكذا وضع الالوان في صحايف
الذهب والفضة ووضع الحلوى في اقداحهما فان ذلك كله محظور لا يجوز فعله **الصورة
الثانية** اسبال الستور عليها صور الحيوانات وهكذا حال الانية في الاطباق
والطبيات والمرافع للكيزان اذا كان فيها الصور المطبعة بالفضة والذهب فانه
منكر يجب التنزه عنه وهكذا الشمعدانات المطبعة بالتصوير للحيوانات فلا يجوز
استعماله للشرب ولا للغير وهكذا حال الملاعق الفضية والمكاحل من الذهب
والفضة والكراهة فيه شديدة وقد ورد عليه الوعيد فيجب انكاره
الصورة الثالثة سماع الاوتار وانواع العيدان والطارات
وجميع انواع الملاهي وسماع غناء القينات واجتماع النساء على السطوح للنظر الى

الرجال خاصة مما كان في الرجال شبان يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور لا يجوز
فعله ومنكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج عنه ولم يجز له الجلوس
فلا رخصة في مجالسة المنكرات ومشاهدتها فاما الصور على البسط والنمارق والزرابي
المفروشة فليس منكرا وقد يستعملون على رؤوس السرر والمجامر والمرافع المعلقة على مثال
الطيور واشكالها وذلك حرام لا يجوز تركه وقد حكي عن احمد بن حنبل انه خرج من الضيافة
من اجل ذلك **الصورة الرابعة** ان يكون الطعام حراما او كانت الدور
حراما او اللحوم حراما مغصوبة لمالك معين او كانت البسط والثياب المفروشة مغصوبة
اشبا المنكرات واعظمها خطرا وهكذا اذا كان في البيوت من يقعد على سرير الحرير
فلا يجوز الجلوس والحضور وان تركوا الشرب فانه لا يجوز مجالسة الفساق في
حال ملابستهم للفسق والفجور ولا خلاف فيه واما التردد في مجالسة بعد
فراغه من فسقه فانه يجب على المسلمين طردهم وابعادهم وهجرانهم وان كان
فيهم من يلبس الحرير ويتعاطى لبس خواتيم الذهب فانه لا يجوز مجالسته
الصورة الخامسة ان يكون في مجالس الضيافة من يتحدث عن المجبرة
والتشبيه والرؤية ويصف الله بالاعضاء والجوارح وانه ينزل الى سماء الدنيا
فما هذا حاله منكر يجب تغييره ولا يجوز الوقوف وهو بحدث فيه فان لم يقدر
على اسكاته فالخروج واجب عليه وهكذا من كان يقصد الاضحاك بالفحش والكذب
والكلامات القبيحة فانه منكر فان كان يتكلم بالمزح فليس منكرا كما لو قال قد طلبك
في المسجد والسوق الغرمي واعيدت الحديث على اذنيك شيء من ابن المقصود
من هذا هو المبالغة والعرف يقضي به **الصورة السادسة**
اضاعة المال والاسراف به فهذان منكران متعلقان بالمال اما الاضاعة فنحو القاء
المال في البحر وتحريقه بالنار من غير فايدة ولا غرض وهكذا صرفه في انواع الفساد
والمناكير المحظورة لانها فوايد محظورة فهي كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق
ويراد به صرف المال في النوايح والمنكرات وهذا مثال الاضاعة وقد يطلق على
صرفه في الامور المباحة وصاحبه ممن لا يكون معه الا ما يعيش به هو واولاده
فانفقه في وليمة فان ما هذا حاله عبث اللهو الا من جمعها على الاضاعة والاسراف
كما قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فنهى عن ذلك وحرمه وقال ولا تبذر تبذيرا
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا فان كان وحده ولا توكل على التوكل جاز ذلك وكان مستحبا وان كان
يتكفف الناس كان محظورا مكروها وامثال هذه المنكرات كثير لا يمكن

حضورها نعم على ذلك منكرات الجوامع ومجالس القضاة ومدارس الفقهاء فلا تخلوا بقعة عن منكر او محظور ولا يمكن استقصاء ذلك واستقصاؤه وانما يكون بذكر الفاصيل الكثير فلنقتصر على هذا

المقام السادس في بيان المنكرات العامة

التي لا يختص بها شخص اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الخلق وتعليمهم معالم الدين وحملهم على المعروف والاوراد واهل المواشي فاكثر الناس جاهلون باحكام الشرع في شروط الصلوة والزكوة في البلاد والامصار والمدن فكيف بالبوادي والقرا وهكذا حال الاجلاف من العرب والاكراد واهل المواشي الذين يقعدون في الجبال وبطون الاودية وساير اصناف الخلق فالواجب ان يكون في كل مسجد وحلة من البلاد فقيه يعلم الناس امور الدين والواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه ان يتفرغ لفرض الكفاية وان يخرج الى من جاوره من اهل السواد ومن العرب فيعلمهم دينهم وفرايض شرعهم فالمعلوم ان الانسان لا يولد عالما وان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا والحجة على الفقهاء اشد لان قدرتهم على ذلك اظهر وهي ايضا عنهم لان المحترفين واهل الصناعات لو تركوا حرفهم لبطلت المعايش وتعطلت الارزاق فان العلماء ورثة الانبياء فحق على كل مسلم ان يبدا بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرايض وترك المحرمات ثم يعلم اهل بيته واقاربه ثم يتعدى عند الفراغ من ذلك الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم اهل بلده ثم الى الاعراب المكتنفين لبلده وهكذا الى الاقرب فالاقرب والادنى فالادنى فان قام به الاقرب سقط عن الابعد فان لم يكن الا هذا فلا عم الحرج الجميع بالدقة في العلوم والتعمق في غوامض العلم لان هداية الخلق اعظم من ذلك ولهذا فان الانبياء صلوات الله عليهم ما بعثهم الله الا لهداية الخلق وتعريفهم ما لا يعرفون قال الرسول صلى الله عليه من تعلم العلم لتعليمه لم يكن بينه وبين الانبياء الا درجة النبوة وهذا ما اردنا ذكره في انكار هذه المنكرات

المطلب الرابع في بيان كيفية الانكار على الامراء والسلاطين واهل الجور وامرهم بالمعروف

فقد ذكرنا فيما سبق درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان اولها التعريف وثانيها الوعظ وثالثها التخشين في القول ورابعها المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجاير من جملة ذلك مع السلاطين والظلمة واهل الجور الرتبتان الاولتان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لاحاد الرعية

فان ذلك

فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه اكثر من المحذور وكثير لا محالة واما المتولي لذلك هو الامام فانه القادر على ذلك والمنتقم لدين الله تعالى منهم وللمسلمين فيما ظلموا العباد واكثروا الفساد في الارض والبلاد واكثروا المظالم واما التخشين في القول كقولك يا ظالم ويا من لا يخاف الله يا فاسق يا خائن وما اشبه ذلك فذلك ان كان لا يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يسقط وجوبه وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جايز مندوب اليه فلقد كان عادة العلماء من السلف الصالح التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهج والتعرض لانواع العذاب رغبة فيما عند الله واعزازا لدينه وعلما منهم بان هذا شهادة قال الرسول صلى الله عليه خير الشهداء حمزة ثم رجل قام الى ظالم فامره ونهاه فقتله على ذلك وقال الرسول صلى الله عليه افضل الجهاد كلمة حق بين يدي سلطان جاير ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جاير وان من قتل على ذلك فهو شهيد اقدموا على ذلك موطنين نفوسهم على الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين عليه ومحتسبين لما يبذلونه في الله ونحن الان نورد من تلك القصص ما يدل على انهم صبروا في الله في تعريض انفسهم للحتف ونفوسهم للسيف وانهم لا يخافون في الله لومة لائم ونحملها قصص عشر

القصة الاولى محكية عن امير المؤمنين كرم الله وجهه

قال كانت قريش قد امعنت في كيد الرسول صلى الله عليه وبلوغ الغاية في مضرته لما كان من حجته وامره في بطلان شركهم ومحو اثارهم وتسفيه احلامهم فيما كانوا عليه من عبادة الاوثان والاصنام فتحالفوا على ما موضعا ينام فيه فهموا بقتله في ذلك الموضع فجاء جبريل فاخبره بما اجتمعوا عليه وما وقع في نفعهم من ذلك فخرج من ذلك وقال لامير المؤمنين يضطجع فوق فراشه فاضطجع وخرج الرسول صلى الله عليه ففدى نفس الرسول بنفسه وجعل نفسه دون الرسول فابطل الله كيدهم وخيب امرهم فيما هموا وعلموا ان الرسول فاتهم وانه لا غرض لهم الا فيه ونزلت الاية تذكيرا للنعمة عليه واعظاما للمنة الواصلة اليه فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم فقاربت امير المؤمنين بالحظ الاوفى وخصلت السلامة والحمد لله

القصة الثانية

محكية عن ابي بكر رضي الله عنه قال بينا الرسول صلى الله عليه بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ رسول الله صلى الله عليه ولف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر

فاخذ بمنكبه ودفعه عن الرسول صلى الله عليه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي
الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم الاية وفي رواية ابن عمر ﴿ وفي رواية اخرى ان قريشا
اجتمعوا في الحجر فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم هذا الرجل وما بلغكم منه حتى
اذا ناداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه
فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا انت الذي
تقول كذا لما كان بلغهم من عيب الهتهم ودينهم ﴿ فيقول الرسول صلى الله
عليه نعم انا الذي اقول ذلك فلقد رايت منهم رجلا اخذ بمجامع ردائه فقام ابو
بكر رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم انصرفوا
عنه وان ذلك لاشد ما رايت قريشا بلغت من الرسول صلى الله عليه قط **القصة**

الثالثة ما روى ان معوية حبس العطا عن المسلمين فقام اليه ابو مسلم
الخولاني فقال له يا معوية انه ليس من كدك ولا من كد امك فغضب معوية
ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج وقال ان ابا مسلم كلمني بكلام
اغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول الغضب من الشيطان
والشيطان خلق من النار ﴿ وانما يطفى النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل
واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم ليس من كدي ولا من كد ابي
فهلموا الى عطاياكم فانظر الى غضب ابي مسلم لله تعالى ولم يمتنع عن النصيحة في
الدين لمعوية ثم انظر الى انصاف معوية من نفسه واعطا الحق اهله ولقد كان
شيطانا في الحلم والاغضا والصبر على المكاره ولله در من قال من حلم ساد ومن

القصة الرابعة

ساد استفاد ﴿ حكى عن الاصمعي قال دخل
عطا بن ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحوله الاشراف
من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فقام اليه واجلسه على السرير وقعد
معه على السرير وقال له يا ابا محمد ما حاجتك فقال اتق الله في حرم الله وحرم رسوله
فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين ﴿ والانصار فانك بهم جلست
هذا المجلس واتق الله في حق اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين ﴿
فانك وحدك المسئول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك
دونهم فقال له افعل ثم نهض فقام فقال له دما قال قال فقبض
عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد انما سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك
قال ما لي الى مخلوق حاجة ﴿ ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف

القصة الخامسة روى ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف
على الباب فاذا مر بك رجل فادخله ليحدثني فوقف فمر به عطا بن ابي رباح وهو لا يعرفه

فقال له يا شيخ ادخل على امير المؤمنين الوليد وسماه بامير المؤمنين فانه امرك بذلك فدخل
وعنده عمر بن عبد العزيز فقال السلام عليك يا وليد فغضب الوليد على حاجبه
وقال ويلك امرتك ان تدخل الي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا
لم يرض نفسه ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال الحاجب ما مر بي غيره ثم
قال لعطا اجلس ثم اقبل عليه يحدثه فقال بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب
اعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا على
عتبة الباب باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس فقال عمر لعطا
قتلت امير المؤمنين فقبض عطا على يد عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة ﴿
وقال يا عمر ان الامر جد فجد ثم انصرف قال عمر فمكثت عشرين سنة اجد الم
غمزته في ذراعي فانظر الى نصح عطا لم يراقب احدا ولا التفت الى تجبر الجبت
اللص الوليد ولا وزن عنده فلا منظر ﴿ ولله در علماء الاخرة كيف كانوا

القصة السادسة حكي

على الفجار اشد من حريق النار ﴿
عن الحسن الحجاج انه دعا فقيهي البصرة وفقيه الكوفة ﴿ قال صاحب الرواية
فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري اخر من دخل فقال الحجاج مرحبا يا ابا سعيد الي
الي ثم دعا بكرسي فوضع جنب كرسيه فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسالنا
اذ ذكر عليا رضي الله عنه فنال منه ونلنا مقاربة له وفرقا من سطوته والحسن
ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال لما عسيت ان اقول
قال اخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله جل ثناؤه يقول وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴿ فعلي ممن هدى
الله ومن اهل الايمان فاقول ابن عم رسول الله وختنه واحب الناس اليه صاحب
سوابق مباركات سبقت له من الله تعالى لن تستطيع انت ولا احد من الناس ان
يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا ﴿
فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا
قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت
صدره قال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي فقيه اهل الكوفة اتيت
شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رايه ويحك يا عامر هلا
اتقيت ان سئلت فصدقت وان سكت فسلمت قلت يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم
ما فيها قال فذاك اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة ﴿ وبعث الحجاج الى
الحسن فقال انت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال
نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس

ولا يكلمونه قال يا خشن امسك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك ولله در الحسن البصري لقد كان شديد الشكيمة على الفسقة عظيم الغيرة على الدين لم تاخذه في الله لومة لائم في التعريف ولا حك في صدره شي من التخويف ولقد عز في هذه الازمنة من يكالم الظلمة ويصول على الفسقة وما ذاك الا للتهاون بامر الله وضعف لهمم عن الاقبال الى الاخرة فنسال الله عفوا غامرا في التقصير في حقه وجودا شاملا من كرمه وفضله

القصة الرابعة [السابعة]

حكي ان خطيطا الزيات جي به الى الحجاج فقال انت خطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلث خصال ان سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول انك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المومنين عبد الملك قال هو اعظم منك جرما وانما انت خطيئة من خطاياه فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب فانتهى به العذاب الى ان شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا فقيل للحجاج انه في اخر رمق فقال اطرحوه في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب لي فقلنا خطيط الك حاجة قال شربة فاتوه بشربة ثم مات وكان عمره ثماني عشرة سنة رحمه الله ولقد خط الله لخطيط بالقلم في لوحه المحفوظ انه من الذين قال فيهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

القصة الثامنة

حكي عن الحرث المحاسبي قال كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من انت قال انا واحد من السياحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا فاي شي عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحارث فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما علمت ان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله تعالى كتمان ذلك عليهم من ان يعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل وقد احدث في ثيابه فعلمت انه زال عقله فاخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفني قد اثرتك به فاغتسل واعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له الى اين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المامون فسلم ثم قال يا ظالم وانا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما تتقي الله فيما ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج

[margin: فاخرجت له ثوبا جديدا]

وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون وقال من انت فقال انا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحق بهم فامر من ضرب عنقه فاخرج وانا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال حارث فاختبيت عنه فاخذه اقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فهذا فعال من رمى الى الاخرة ببصره وتجافى عن الدنيا بهمته واشتاق الى لقاء الله تعالى ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه

القصة التاسعة

عن احمد بن ابراهيم المقري قال كان ابو الحسين النوري رجلا قليل الكلام قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم يتطهر للصلوة اذ راى زورقا فيه ثلثين دنا فقال للملاح ما هذا فقال هذه ثلثون دنا خمرا للمعتضد يريد ان يتمم بها مجلسه فاخذ شعبن عمودا وضعب الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا الى على اخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث فركب صاحب الحبس فقبض على النوري واشخصه الى حضرة المعتضد وكان سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال النوري فادخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من انت قلت محتسب قال من ولاك الحسبة قال الذي ولاك الامامة قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه الي وقال ما حملك على ما فعلت قال شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى طرف مكروه عنك فقصرت عنه فاطرق مفكرا في كلامي ثم رفع راسه فقال كيف تخلص هذا الدن من بين سائر الدنان فقلت في تخليصه علة اخبرك بها ان اذنت لي فقال هات فقلت اني قدمت على الدنان لمطالبة الحق سبحانه بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقبلت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا كيف اقدم على مثلك فامتنعت ولو اقبلت عليه بالحال الاولى وكان ملء الدنيا دنان لكسرتها فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك على ما احببت ان تغيره من المنكر فقلت له نقض التغيير لاني كنت اغير عن الله وانا الان اغير عن شرطي فقال له المعتضد ما حاجتك قال تامر باخراجي سالما فامر بذلك وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسال حاجة فيسالها المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفي المعتضد ورجع الى بغداد فانظر الى المعتضد الموفقة كيف كانت شيمتهم الحماية والصلة الى من احفظ امر الله تعالى بعده من قبيه اهل التقوى والله اعلم

[margin: المعتضد]

الحكاية العاشرة

حكي عن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي اني لحاضر مجلس ابي جعفر المنصور وفيه ابن ابي ذئب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فاتاه الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المؤمنين سل عنهم ابن ابي ذئب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذئب فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثيرو الاذى لهم فقال ابو جعفر قد سمعت فقال الغفاريون يا امير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال ما تقول في الحسن بن زيد فقال اشهد انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المؤمنين سله عن نفسك قال ما تقول فيّ يا ابن ابي ذئب قال تعفيني عن هذا قال سألتك بالله الا ما اخبرتني قال سألتني بالله كأنك لا تعرف نفسك فقال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجاء ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده على قفا ابن ابي ذئب ثم قبض عليه ثم قال اما والله لولا اني جالس ههنا لاخذت فارس والروم والترك منك بهذا المكان فقال يا امير المؤمنين قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا بالحق وقسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا آنافهم فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني اعلم انك لصادق لقتلتك فقال ابن ابي ذئب والله يا امير المؤمنين اني لانصح لك من ابنك المهدي ولنقتصر على هذا القدر من التنبيه على ما كان من علماء الدين في القوة في دين الله والصلابة على نفوذ امر الله تعالى فهكذا كانت سيرة العلماء وعاداتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين وامراء الجور والظلمة لكنهم اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا فيه النية اثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع ألسنة العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم افعالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب الجاه والمال ومن استولى على قلبه حب الدنيا لم يقدر على الاحتساب وانفاذ امر الله على الاسافل والاراذل فضلا عن الملوك والاكابر فالله المستعان على كل حال في هذه الازمنة فلقد قل المعينون على زوال المنكر ونصر الدين ولما كان الموت هو خاتمة الاعمار وفيه طي الصحف المتضمنة للاعمال فلنجعل خاتمة كتابنا الكلام في الموت وما يتعلق به من الاهوال يوم القيامة والله الموفق للصواب

المقالة التاسعة في بيان مقدمات الموت وتوابعه الى حالة نفخة الصور

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر عنه واولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم والناس في الدنيا اما منهمك او تائب او عارف فاما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه لا عبرة واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب ولهذا قال حذيفة لما حضرته الوفاة حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وهذه المقالة مشتملة على تنبيهات وافية بالمقصود والبغية مما نريد ذكره بمعونة الله

التنبيه الاول في بيان فضل ذكر الموت

وتحقيقه في القلب اعلم ان الموت امر هائل وخطر جسيم وغفلة الناس لقلة ذكرهم له ومن يذكره منهم فليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول ولكن يتوجه ذكره من طرق ثلث **الطريق الاول** ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن محاسن صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته انغرس في قلبه ذكر الموت وحقيقته لا محالة **الطريق الثاني** ان يتذكر حال نفسه ويتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش واشتياقه الى البقاء وتناسيه الموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما يراد منه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد وقد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به **الطريق الثالث** دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته **واما فضيلته فقد قال صلى الله عليه** اكثروا من ذكر هادم اللذات اي نغصوا بها اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون على الله تعالى وقالت عائشة يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وقال صلى الله عليه تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاسات نفسه ورياضة شهواته ومدافعة

وقال صلى الله عليه لو ان البهائم يعلم بني آدم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا

شيطانه فالموت اطلاقه والاطلاق تحفة وقال صلى الله عليه الموت كفارة لكل
مسلم واراد بهذا المسلم حقا والمؤمن صدقا الذي سلم الناس من يده ولسانه
وتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس بالمعاصي الا باللمم والصغائر فالموت
يطهره ويكفرها بعد اجتنابه للكبائر واقامته للفرائض وقال انس قال صلى الله
عليه اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى
الله عليه كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه الى المسجد فاذا قوم
يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله رجل فاحسنوا الثناء عليه
فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال
فان صاحبكم ليس هناك وقال ابن عمر اتيت الرسول صلى الله عليه عاشر عشرة فقال
رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله قال اكثرهم ذكرا
ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا والاخرة

واما الاثار فقد قال الحسن

رضي الله عنه فضح الموت
الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت
وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني سلا الى ربي وكتب رجل من الحكما الى
بعض اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها
الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان
عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة جماعة من الفقها فيتذاكرون الموت والقيمة والاخرة
ثم يبكون كأن بين ايديهم جنازة وقال بعض الزهاد شيئان قطعا عني لذة الدنيا
الموت والموقف بين يدي الله عز وجل قال كعب من عرف الموت هانت
عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال اشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار
وذكر الموت وامر الاخرة وكان عيسى اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما
وكان داود اذا ذكر عنده الموت والقيمة بكى حتى تنخلع اوصاله واذا ذكر الرحمة
رجعت اليه نفسه وقال مطرف بن الشخير ان هذا الموت قد نغص الى اهل
النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة
اكثر من ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش
وسعه عليك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد
كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت ويقول لو فارق ذكر الموت قلبي
فسد

الباب الثاني في بيان فضيلة قصر الامل

قال رسول الله صلى الله عليه لعبد الله بن عمر اذا اصبحت
فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدثها بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن
صحتك لسقمك فانك يا عبد الله ما تدري ما اسمك غدا وروى امير المؤمنين
علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى
وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه الحب
للدنيا ثم قال الا ان الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه
الايمان الا ان للدنيا ابنا وللاخرة ابنا فكونوا من ابنا الدين ولا تكونوا من ابنا الدنيا
الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم ليس
فيه حساب ويوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وقال الرسول
صلى الله عليه وقد اطلع على الناس ذات عشية فقال ايها الناس اما تستحيون
قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتؤملون ما لا تدركون
وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامة بن زيد من
زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه يقول
الا تعجبون من اسامة اشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده
ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت
طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها
حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم
في الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لات وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالتراب
فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وقال الرسول
صلى الله عليه يكبر ابن ادم ويشب منه اثنان الحرص وطول الامل وقال
صلى الله عليه نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخر هذه الامة بالبخل
والامل وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه اكلكم يحب ان يدخل الجنة
قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا اجالكم بين ابصاركم
واستحيوا من الله حق الحيا وكان صلى الله عليه يقول في دعائه اللهم
اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات
واعوذ بك من امل يمنع خير العمل

واما الاثار

فقال بعض الزهاد
لو علمت متى اجلي لخشيت ذهاب عقلي ولكن الله سبحانه من على عباده بالغفلة
عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال
الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بني ادم ولولاهما ما مشى المسلمون
في الطرق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنأ العيش

وقال بعض الحكماء إنما غمّ الدنيا بقلة عقول أهلها * وقال سلمان ثلث أعجبتني حتى
أضحكتني مؤمّل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه
لا يدري أساخط عليه رب العالمين أم راض وثلث أحزنتني حتى أبكتني فراق محمد
وحزبه والأحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي الله سبحانه لا أدري إلى
الجنة يؤمر بي أو إلى النار * وحكي عن بعض أهل الصلاح أنه سأل الله أن ينزع
عنه الأمل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع
إليه شهوة الطعام والشراب وقيل للحسن يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك فقال
الأمر أعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم
وقال بعضهم إنما أنا كرجل مادّ عنقه والسيف عليه ينتظر متى يضرب عنقه *
وقال داود الطائي لو أمّلت أن أعيش شهرًا لرأيتني قد أتيت عظيمًا وكيف أؤمّل
ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق * في ساعات الليل والنهار وكتب رجل إلى
أخ له أما بعد فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن
في أضغاث أحلام والسلام * وكتب أخ إلى أخ له أن الحزن على الدنيا طويل
والموت من الإنسان قريب وللنقص منه في كل يوم نصيب * وللبلاء في جسمه دبيب
فبادر قبل أن ينادى بالرحيل والسلام * وقال الحسن رضي الله عنه كان
آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما عصى *
وأصاب الخطيئة حوّل فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره *

التنبيه الثالث في بيان سكرات الموت

وشدائده وما يستحب من الأحوال عند الموت اعلم أنه لو لم يكن بين يدي
العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت لكان
جديرًا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيق
بأن يطول فيه فكره ويعظم استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما
قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك * وقال لقمان لابنه
يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك * والعجب أن الإنسان لو كان
في أرغد عيش وأهناه متنعمًا في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر
أن يدخل عليه بعض الشطار ليضربه بالسياط لتكدرت عليه لذته وفسدت
عليه عيشته وهو في كل ساعة بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بجذب نفسه
بسكرات النزع وهو في غاية الغفلة فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور وشدة الألم
في سكرات الموت لا يعلمها على الحقيقة إلا من ذاقها وطعمها فأما من لم يذقها
فإنما يعرفها بالقياس * وهو أن كل عضو لا روح فيه فإنه لا يحس بالألم فإذا

كان في الروح الألم فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حرق
فإنه يسري الألم إلى الروح فإذا كان المنزوع هو الروح فإنه يستغرق الألم
جميع الأجزاء وكل منفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق
إلى القدم فلا يسأل عن كربه وألمه حتى قالوا إن الموت أشد من ضرب السيف
ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح
وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وأما المحتضر
فقد انقطع صوته ليس لكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع
فيه فهدّ كل قوة وأضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد
غشيه وشوّشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد أضعفها ويود لو
قدر على الاستراحة بالأنين والصياح ولكنه لا يقدر على ذلك فإن بقيت فيه
قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارًا وغرغرة من حلقه وصدره وقد
تغير لونه وازبدّ حتى ظهر على وجهه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب
منه كل عرق على حياله والألم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان
إلى أعالي أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله وترتفع الأنثيان
إلى أعالي مواضعهما وتخضر أنامله فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق
من عروقه ثم يموت كل عضو من أعضائه على التدريج فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه
ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى
الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق عنه باب التوبة وتحيط
به الحسرة والندامة قال الرسول صلى الله عليه تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعند ترادف
سكراته * ولهذا قال صلى الله عليه اللهم هون على محمد سكرات الموت
وقال عيسى صلوات الله عليه يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون على هذه
السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت
وقالت عائشة لا أغبط أحدًا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت
رسول الله صلى الله عليه * وروي عنه صلى الله عليه أنه كان يقول اللهم
إنك تأخذ الروح من بين العصب والأنامل * اللهم فأعني على الموت
وهونه علي فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه من أهل خاصته
وأنبيائه فكيف حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي والغافلون عن صلاح أحوالنا
وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي وجملتها ثلث دواهي **الداهية
الأولى** مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه
على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم

المعلي ... الحا
... لا يصبح ... حلعت
والى واثق
وأنت صاحب لمن ... وحسنا
... صاحب ... ست
والى واثق بك يا الهي
وكل العلوم ... علمت

يعني عند ... وجه ملك الموت ... ساري عني

وقد روي عن الخليل صلوات الله عليه انه قال لملك الموت

هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك فقال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه لهب النار والدخان فغشي على ابراهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه.

الداهية الثانية

مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء اجلستنا ورب عمل غير صالح احضرتنا وكلام قبيح اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك الذي يرا الميت عند شخوص بصره الى السماء ولا يرجع الى الدنيا ابدا

الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم تسمع نغمة ملك الموت بأحد البشريين اما ابشر يا عدو الله بالنار واما ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا خوف ارباب العقول واهل الاحلام وقد قال صلى الله عليه لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله عليه من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت فقال ليس ذاك بذاك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله احب الله لقاءه وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو قائم في آخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى النار ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم شدد ثم بكى ابو هريرة فقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي بجنة او بنار وروي في الحديث عن الرسول صلى الله عليه انه قال ان الله اذا رضي عن عبده قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فائتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله تعالى ومن كانت راحته في لقاء الله فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه

وعزه وشرفه وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة قد قطع قلوب العارفين فهي من الدواهي العظيمة عند الموت فنسأل الله امتنانا من عنده وبشارة من عنده بعظيم ثوابه

واما ما يستحب للمحتضر عند الموت اعلم ان المستحب لكل من يموت هو الهدوء والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله فهذه امور ثلاثة

اولها الحالة فقد روي عن الرسول صلى الله عليه انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهو من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط البكر واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به

وثانيها انطلاق اللسان بالشهادة فهو من علامة الخير قال الرسول صلى الله عليه لقنوا موتاكم لا اله الا الله وقال عمر احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال عثمن اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله

وثالثها حسن الظن بالله تعالى فهو مستحب في هذا الوقت وقد قال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل الرسول صلى الله عليه على شاب وهو يجود بنفسه فقال له كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى الذي يرجو وامنه مما يخافه ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال فالى اين يذهب بي قالوا الى الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقد عرضنا من بيان سكرات الموت ودواهيه والله اعلم

التنبيه الرابع في بيان الحسرة

عند لقاء ملك الموت سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان في وجهه وعينان في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس في المشرق ونفس في المغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين قال ودحيت لي الارض فتركت مثل الطشت بين يدي اتناول منها حيث اشاء قال وهو الذي بشره بانه خليل الله وقال سليمن بن داود لملك الموت عليه السلام ما لي اراك لا تعدل بين الناس تدع هذا وتاخذ هذا فقال ما انا بذلك اعلم منك انما هي صحف وكتب تلقى الي فيها اسما وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة تعجبه حتى اتي بدواب وركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره

فهلا كنت تركت ساد وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل
رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال له ارسل اللجام فقد تعاطيت
امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الا الآن فقهر على لجام دابته
فقال اذكرها قال هي سر فادنى اليه رأسه فساره قال انا ملك الموت فتغير لون
الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي حاجتي واودعهم
قال لا والله لا ترى اهلك ومالك ابدا فقبض روحه وخر كانه خشبة ثم مضى
فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فقال ان لي اليك حاجة اذكرها في اذنك فقال هات
فساره فقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته فوالله ما كان
في الارض غائب احب الي من ان القاه فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت
لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله تعالى فقال اخترني على
اي وجه وحالة اقبض روحك فقال اتقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك
قال فدعني حتى اتوضأ واصلي فاقبض روحي وانا ساجد (فقبض روحه وهو ساجد) ✿ وقال بكر بن عبد الله
المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف
اموالي فاتي بشي كثير من الخيل والرقيق وغيره فلما نظر اليها بكى تحسرا عليه فرآه
ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج حتى افرق بين
روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات هيهات انقطعت المهلة
فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع مالا
فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين
وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ✿
ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي
لسنين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في
هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين ✿ فقرع الباب
بشدة عظيمة قرعا افزعه وهو على سريره فراشه فوثب اليه الغلمان فقالوا ما شانك
فقال ادعوا لي سيدكم فقالوا او الى مثلك يخرج قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا
فعلتم به وصنعتم فقرع الباب قرعة اشد من الاولى فوثب اليه الحرس فقال
اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل
والتخشع ✿ قال قولوا له قولا لينا وقولوا له هل تاخذ معه احدا فدخل عليه فقال
اصنع في مالك ما انت صانع فاني لست بخارج حتى اخذ روحك فامر بماله فوضع
بين يديه فقال لعنك الله من مال شغلني عن عبادة ربي ومنعني ان اتخلى لربي
فانطق الله المال فقال له لم تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي وتطرد المتقين

عن ابوابك استحقارا بهم وكنت تنكح المنعمات وتجلس مجالس الملوك بي وترد
المتقين عن ذلك وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل الخير
نفعتك خلقت انا وبنو آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت
روحه وسقط ✿ وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة
ليس ما في الارض مثله ثم عرج به الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن
قبضت روحه فقال قبضت روح امرأة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت
مولودا اذ رحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له
فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته
فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة
من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته
فثار اليه فزعا مغضبا فقال له من انت ومن ادخلك على داري فقال اما الذي ادخلني
عليك الدار فربها واما انا فانا الذي لا يمنع مني الحجاب ولا استأذن على الملوك ولا
اخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط
في يد الجبار وارتعد حتى سقط مكبا على وجهه ثم رفع اليه رأسه مستجديا
متذللا له فقال له انت اذا ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي
حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت
ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي قال الى عملك الذي
قدمته والى بيتك الذي مهدته ✿ قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد حسنا
قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين اهله من بين صائح وباك
قال يزيد الرقاشي لو تعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر ✿

التنبيه الخامس في بيان وفاة الرسول

صلى الله عليه وعلى الخلفاء الراشدين بعده اعلم ان في رسول الله اسوة حسنة
وقدوة مستحسنة حيا وميتا وفعلا وقولا فان جميع احواله عبرة للناظرين
وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله تعالى منه لانه كان خليل الله
وحبيبه ونجيه وصفيه ورسوله ونبيه وحمل ما ذكرنا من ذلك وفاة
حسنة ✿

الوفاة الاولى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

لما اخذ الله له جواره واقام في الدنيا مقبلا تبليغ الرسالة ونقله الله الى
رحمته فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته ✿ وهل اخر لحظة بعد حضور
منيته لا بل ارسل الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه الزكية
لينقلوها وعالجوها لينقلوها من جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرة

وحسانا بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن ۞ فاشتد عند ذلك في المرض كربه
وظهر انينه وتزايد قلقه وارتفع جبينه واضطربت في الانفاس والاحشاء شماله
ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهده منطق فهل رايت
منصب النبوة دافعا عنه ما قد ورد وهل راقب الملك اهلا وعشيرا وهل سامح احدا
كان للحق نصيرا او للخلق بشيرا او نذيرا ۞ هيهات هيهات بل امتثل ما كان به مامورا
وتبع ما وجده في اللوح المحفوظ مسطورا فهذا كان حاله وهو عبد الله ذو المقام
المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة
يوم العرض فهلا والعجب انا لا نعتبر به فلسنا على ثقة فيما نلقاه بل غرنا شر الشهوات
وورثنا المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع رسول المرسلين وامام المتقين
وحبيب رب العالمين ۞ لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا
مكرمون هيهات ما نعبد هذا اليوم بل نشعر انا جميعا على النار واردون ثم لا
ينجو منها الا المتقون ۞ ويحرم للمجرمون ونشتهيون والصبر عنها سوف يهون ۞
فما نرجو الله من المتقين ولا نرجو النجاة الا برحمة من حضرة ارحم الراحمين ۞ فلينظر
كل عبد الى نفسه هل هو الى الطالحين اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك
بعد ان نظر الى حسن السلف الصالحين ۞ ولقد كان نوامع ماني فقوا الى من الخائفين
ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من اهل على يقين اذ كان سيد السنن وقائد
المتقين فانظر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانتقال
الى جنة المأوى وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما احس الانصار ان
رسول الله صلى الله عليه يزداد ثقلا فدخل عليه الفضل بن العباس فاعلمه بذلك ثم دخل
عليه امير المومنين كرم الله وجهه فمد يديه وقال ها فتناولوه فخرج رسول
الله صلى الله عليه متوكيا على امير المومنين والفضل بن العباس امامه ورسول
الله معصوب الراس يخط برجله حتى جلس على اسفل مرقات من المنبر فحمد
الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون على الموت كانه استنكار للموت
وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم وانعى اليكم انفسكم فهل خلد نبي قبلي
ممن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به ۞ وروى ابن مسعود
رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه قال لابي بكر رضي الله عنه يا ابا بكر فقال
يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ابو بكر ليهنك يا نبي الله
ما عند الله فليت شعري ما منقلبك فقال الى الله والى سدرة المنتهى ۞ ثم الى
جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش
المهنى ۞ فقال ابو بكر يا رسول الله من يلي غسلك فقال رجال من

من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه او في حلة يمانية او في
بياض مصر فقال كيف الصلوة عليك منا وبكى وبكينا وبكا ثم قال مهلا غفر الله لكم
وجزاكم الله عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على
شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو يصلي عليكم وملائكته
ثم ياذن للملائكة في الصلوة علي فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبرئيل
وميكائيل واسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم انتم فادخلوا علي افواجا
فصلوا علي فوجا فوجا فسلموا تسليما والسيد امامكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر
النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من اهل بيتي الادنى فالادنى ۞

قالت عائشة لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه
قال الرسول صلى الله عليه اخرجوا عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في
البيت غيري وراسه في حجري فتنحيت في ناحية البيت فناجاه الملك طويلا
ثم انه دعاني واعاد راسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس
جبرئيل فقال رسول الله صلى الله عليه اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال
ان الله عز وجل ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن فان لم تاذن لي رجعت
وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تاذن لي فماذا امرك فقلت اكفف
حتى ياتي جبرئيل فهذه ساعة جبرئيل فجاء جبرئيل في ساعته ففزعت وخرج
اهل البيت فقال يا جبرئيل ان ملك الموت استاذن علي فقال جبرئيل ان ربك
اليك وانه مشتاق الى لقائك وكرامتك والله ما استاذن على احد قبلك ولا
يستاذن على احد بعدك فقال الرسول صلى الله عليه لجبرئيل لا تبرح حتى ياذن
وعهد هذا اذن فقال الرسول صلى الله عليه للنساء اخرجن قالت فجاء ملك الموت
فسلم على الرسول صلى الله عليه واستاذن فاذن له فقال الملك يا احمد يا محمد ۞
فان الحق ربك الان قال امض لما امرت به فقال الملك ربك مشتاق اليك فقبض
الملك روحه الكريمة ثم خرج جبرئيل وقال السلام عليك يا رسول الله
هذا اخر ما انزل فيه الى الارض اذ انقطع الوحي وطويت الدنيا وما
كان لي حاجة في الارض غيرك ۞ وما لي في الارض حاجة غيرك ثم لزوم موقفي
فهكذا كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وقد ذكرنا من الحكايات قليلا
الى الايجاز ولم يترك رسول الله شيئا من الدنيا تشييدا ولا لبدا ولم يترك
بعده مالا ولا ... لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة حتى وفاته
قبض لتاب ابن المسلمين

الوفاة الثالثة في وفاة امير المومنين كرم الله وجهه

۞ ولقد كان الرسول صلى الله عليه الخبير ...

ونعى اليه نفسه حيث قال اشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذه فيبل منها هذه اذا د على قرنته فيبل منها الحيته ولما كانت الليلة التي اصيب فيها عليه السلام اتاه ابن النواح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك فعاد الثالثة فقام عليه السلام يمشي وهو يقول

اشدد حيازيمك للموت ❊ فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ❊ اذا حل بواديكا

ولقد كان عليه السلام يقول بعد ان ضرب على ام رأسه كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر وابى الله الا اخفاءه فلما بلغ الباب الذي الصغير شد عليه اللعين ابن ملجم فضربه حتى خرجت ام رأسه فخرجت ام كلثوم فقالت ما لي ولصلوة الغداة قتل زوجي وقتل فيها ابي وروي انه عليه السلام لما ضرب قال فزت ورب الكعبة وروي انه عليه السلام لما ضرب ما زال ينطق لسانه بالشهادة حتى قبض ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنه دخل عليه اخوه الحسين بن علي فقال يا اخي لاي شيء تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وعلى علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلى فاطمة بنت اسد وخديجة بنت خويلد وهما امك وعلى جعفر وحمزة وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله

الوفاة الثانية وفاة ابي بكر رضي الله عنه

ولما احتضر ابو بكر رضي الله عنه قال انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج وقال له ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الا ندعو لك الطبيب ينظر فقال قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد ولما ثقل في مرضه واراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك قال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاءه فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان له حقا في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله تعالى ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل انا دون هؤلاء ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله تعالى ذكر اهل النار باسوء اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوه فيقول القائل

انا افضل من هؤلاء وان الله تعالى ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي فلا يكن غائب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكن غائب ابغض عليك من الموت ولست تعجزه فهذه وصيتي

الوفاة الرابعة وفاة عمر رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف او النحل ونحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلثة عشر رجلا مات منهم تسعة وفي رواية اخرى سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما من كان في نواحي المسجد فانهم لا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلوة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة فقال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل مسلم فحمل الى داره فشرب لبنا فخرج من جرحه فعلم الناس انه ميت ثم استاذن عايشة ان يدفن في بيتها فاذنت له ثم جاءت بنته حفصة فدخلت عليه فبكت ساعة ثم خرجت من عنده فقالوا اوص يا امير المؤمنين واستخلف فقال ما ارى احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقال اوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان

الوفاة الخامسة وفاة عثمان رضي الله عنه

عن ثمامة القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان فقال انشدكم بالله الا ما ائتيموني بصاحبيكم الذين البّاكم علي قال فجيء بهما كانهما جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم

تمنعوني أن أشرب منها من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله هل
تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه من يشتري بقعة
آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وأنتم اليوم
تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم ثم قال أنشدكم بالله هل
تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال أنشدكم بالله
والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه كان على ثبير ومعه أبو بكر وعمر
وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه الرسول صلى الله
عليه برجله وقال اسكن فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم
نعم قال الله أكبر شهدوا ورب الكعبة أني شهيد وروي عن شيخ من بني
ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك
إني كنت من الظالمين اللهم إني أستعديك عليهم وأستعينك على ما
ابتليتني وأسألك الصبر على أمري وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت
حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع أمة محمد صلى الله
عليه ثلثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة
فهذا ما أردنا ذكره من حديث وفاة هؤلاء وإنما أوردناه لما فيه من المواعظ والذكرى
لمن كان له قلب فلينظر إلى تلك المصارع لأشرف الخلق فيعلم أنه لا محالة مصروع
ولما في سجاياهم وخلائقهم من الإعراض عن الدنيا والزهد فيها

التنبيه السادس في بيان أقاويل جماعة من خصوص

الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل الزهد والعبادة عند الاحتضار
للموت وعند القبور وعند موت الأولاد فهذه مقامات ثلاثة نذكرها بتعلق
كل واحد منها من كلماتهم النافعة الواقعة في القلوب

المقام الأول في ذكر أقاويلهم عند الموت

حكي أنه لما حضرت معاذا الوفاة رضي الله عنه قال اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك
اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس
الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند
حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق
من غمرة فتح طرفه ثم قال يا رب اخنقني خنقك فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك
ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل ما يبكيك فقال ما أبكي جزعا على الدنيا ولكن
عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب
فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضع عشر درهما ولما

حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا
وحزبه ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك فقال أنتظر من الله
رسولا يبشرني من الله بالجنة أو النار ولما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة بكى فقيل ما يبكيك فقال
والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ولكني أخاف أني أتيت شيئا حسبته هينا وهو عند
الله عظيم ولما حضرت عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل ما يبكيك فقال ما أبكي
جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام
الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه فقال وابعد
سفري وقلة زادي ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على
التراب فبكى نصر فقيل ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو
ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فإني سألت الله أن يحييني حياة الأغنياء ويميتني موت
الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم أتكلم بكلام ثان وبكى بعضهم عند الموت
فقيل له ما يبكيك قال آية في كتاب الله إنما يتقبل الله من المتقين ودخل
الحسن على رجل يجود بنفسه فقال إن أمرا هذا أوله لجدير أن يتقى آخره وإن أمرا هذا
آخره لجدير بأن يزهد في أوله وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشق
عليه الكلام كأنك تحب الحياة قال القدوم على الله شديد وقيل لصالح ألا
توصي بابنك قال إني أستحيي من الله أن أوصي بابني وعيالي إلى غيره ولما احتضر
أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا أبشر فإنك تقدم على رب كريم غفور رحيم
فقال لهم ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسب على الصغير ويعاقب على
الكبير ولما احتضر الواسطي قيل له أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم
واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت عليك أبكي فقال لها إن كنت باكية
فعلى نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة ولما حضرت يوسف بن أسباط
الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع فقال
يا أبا عبد الله كيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من
عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه ما صدق الله في شيء
من عمله واحتضر بعض الزهاد فبكى وقت وفاته فقال لبيك إن تعلم ما
تريد فارفق بي ودخل المزني على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي توفي
فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللإخوان
مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدري
روحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ولما احتضر بعض
الزهاد سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا وستين

هو ذا يفتح لي الساعة لا ادري ايفتح بالسعادة او بالشقاوة فاني لي اوان الجواب . وهذه
احوالهم عند الموت مختلفة وانما كان اختلافها بحسب اختلاف احوالهم في الخوف
والرجا والشوق والمراقبة فكل واحد منهم يجيب على ما يغلب من حاله فنسأل الله
تعالى ان يرزقنا حسنها رجا فيه وان يمنحنا حذر الخشية والخوف منه بمنه وطوله

المقام الثاني في بيان اقاويلهم على الجنائز والمقابر

اعلم ان المقابر عبرة لكل بصير وفيها تنبيه للغافلين وعبرة وفيها موعظة
وتذكير الا لاهل الغفلة فانه لا يزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم
ابدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الاعواد يحملون
او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرونه ولا يتفكرون ان المحمولين على
الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر
عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها لا محالة على القرب
وكأن قد . وروي عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال امضوا فانا على
الاثر . وكان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة
بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له . وقال اسيد بن حضير ما
شهدت جنازة فحدثت نفسي بشيء سوى ما هو مفعول بها وما هي صائرة اليه
ولما مات اخ لمالك بن دينار خرج مالك في جنازته وهو يبكي ويقول والله
لا تقر عيني حتى اعلم الى ماذا صرت ولا اعلم ذلك ما دمت حيا . وقال الاعمش
كنا نحضر الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع فهكذا كان خوفهم من الموت .
والان لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون
ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر احد منهم في نفسه ونظر
ابراهيم الزيات الى ناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمتم على انفسكم لكان خيرا لكم انه
قد نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت فقد راى ومرارة الموت فقد ذاق وخوف
الخاتمة فقد امن . وقال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم
ينس القبر والبلا وترك فضل زينة الدنيا ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من
اهل القبور . وقيل لامير المؤمنين ما شانك جاورت المقبرة فقال اني اجدهم
خير جيران صدق يكفون السنتهم ويذكرون الاخرة . وقال
رسول الله صلى الله عليه ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه . وروي عن الرسول
صلى الله عليه انه خرج الى قبر والدته امنة بنت وهب فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت
ربي في زيارتها فاذن لي في زيارتها ولم ياذن لي في ان استغفر لها فاذكرني ما
يدركه الولد من الرقة . وعن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه يقول القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم
ينج منه فما بعده اشد . وقال مجاهد اول ما يكلم ابن ادم حفرته فتقول انا بيت
الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما اعددت لك فما اعددت
لي . وقال ابو الدرداء الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري . وكان
الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن هذه الظواهر وانما الدواهي
في البواطن . وكان عطاء السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول
يا اهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطا في
القبر فلا يزال ذلك دابه حتى يطلع الفجر . وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده
روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النار . وقال بعض
الزهاد تعجبت من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول الارض
يا ابن ادم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء . وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر
بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل فقال يا ميمون هذه قبور
ابائي بني امية كلهم كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما
تراهم قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلا واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم
ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من
عذاب الله . فهذه مقالاتهم على الجنائز والقبور تدل على الاحزان في قلوبهم
وتقد النيران في افئدتهم

المقام الثالث في بيان مقالاتهم عند موت الاولاد

حق على من مات ولد له او قريب ان ينزله
في تقدمه عليه في الموت كما لو كان في سفر فسبقه الى البلد الذي هو مستقره
ووطنه فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه انه لاحق به على القرب وليس بينهما الا
تقدم او تاخير وهكذا حال الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر
واذا اعتقد هذا قل جزعه لا سيما قد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى
به كل مصاب . قال رسول الله صلى الله عليه لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف
مائة فارس كلهم يقاتلون في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى
والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب . وقال زيد بن اسلم توفي ولد لداود
عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض
ذهبا قيل له فان لك في الاخرة مثل ذلك . وقال رسول الله صلى الله عليه لا يموت
لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امراة
عند رسول الله صلى الله عليه واثنان قال واثنان وليخلص الوالد الدعا لولده
عند الموت فانه ارجى دعاء واقربه الى الله الاجابة . ووقف محمد بن سليمان

على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك واخافك فحقق رجائي وامن خوفي
ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه
فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ووقف اعرابي على قبر ابنه
فقال اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك
ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن ذر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر
لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم
قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه
وقد الزمته طاعتك وطاعتي اللهم ما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي
فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه
ما علينا بعدك من خصاصة وما بنا الى انسان مع الله من حاجة فلقد مضينا
وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال ما رايت
مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما
شركني فيه احد قال وكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان
لي صبيان مليحان يلعبان فقال اكبرهما للاخر اتريد ان اريك كيف ذبح ابي
الشاة قال نعم فاخذه فذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ
هرب الغلام فلجا الى جبل فرهقه ذئب فاكله فخرج ابوه في طلبه فمات عطشا
من شدة الحر قالت فافردني الدهر بامثال هذه المصائب وفي الحديث عن
الرسول صلى الله عليه انه قال لا يموت لاحد ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة
القسم وقال صلى الله عليه اذا امر الله الملائكة بقبض ولد رجل فقبضوا روحه
فيقول الله تعالى ماذا قال والده فتقول الملائكة صبر واحتسبك فيقول الله
تعالى اشهدكم اني قد جعلت ثوابه الجنة وقال صلى الله عليه زوروا القبور تذكر
بها الاخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو فيه موعظة بليغة وصل على
الجنائز القبلة مستقبلا لوجه الميت لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى
والمستحب في زيارة القبور ان تقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان
تسلم ولا تمسح القبر ولا تقبله ولا تمسه فان ذلك عادة النصارى قال نافع
كان ابن عمر رايته مائة مرة اذا كان يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام
على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك
اتى قبر الرسول صلى الله عليه فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم
على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقال صلى الله عليه ما الميت في
قبره الا كالمستغيث الغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا

لحقته كانت

لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار
ويستحب لنا على الاموات ولا يذكرون الا بالجميل قالت عايشة قال رسول الله صلى
الله عليه اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه لا تسبوا الاموات فانهم
قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه لا تذكروا موتاكم الا بخير فان يكونوا
من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال ابو
هريرة قال الرسول صلى الله عليه ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه
غيره فيقول الله تعالى للملائكة اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي
وتجاوزت عن علمي في عبدي فهذا ما اردنا ذكره من ذكر الاحوال عند
الموت وعلى الجنائز والمقابر ثم ان من اعظم الدواهي واكبرها ان الانسان
لا يرضى ان يموت على حالته التي هو عليها ومع ذلك نعلم قطعا ويقينا انه الى ضعف
وهوان وشيخوخة ونقصان فهذا جهل مفرط وحمق مستولي فلا حول
ولا قوة الا بالله وانا به عائذ ومن

البتيه السابع في بيان ما يلقاه في القبر الى نفخة الصور

اعلم انا قبل الخوض فيما نريد ان نذكر حقيقة الموت ففيها خبط عظيم بين العلماء
وفيه مذاهب اربعة المذهب الاول ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا
نشور ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف
الاشجار وهذا هو راي الملاحدة وكل من كان لا يؤمن بالله ولا باليوم الاخر وهذا
هو راي الفلاسفة ايضا فانهم زعموا انكار اليوم الاخر على ما جاءت به الرسل
صلوات الله عليهم ونطقت به ظواهر الشريعة ورجعوا الى هذيانات باطلة
وتمويهات كاذبة المذهب الثاني زعم قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم
بعقاب ولا ينعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر
وهذا هو راي المنكرين لعذاب القبر المذهب الثالث قال اخرون ان
الروح باقية بعد مفارقة الجسد لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب
هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا
المذهب الرابع وهو المختار الذي نطقت به الايات وشهدت به الاخبار
ان الموت معناه تغير حاله فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد
اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد هو انقطاع تصرفها
عن الجسد لخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء الات للروح يستعملها
حتى انه يبطش باليد ويمشي بالرجل ويسمع بالاذن ويبصر بالعين وكذلك فانه
يعلم بانواع الفرح والسرور ويتالم بانواع الاحزان والغموم فكل ما كان

وضعا للروح بنفسه تصور فيه بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة
الأعضاء متعطل بموت الجسد إلى أن يعاد الروح إلى الجسد. وهذا هو الذي
يريد أهل العدل بقولهم إن الإنسان بنية معتد له هي المثابة المعاقبة المخاطبة
وعلى هذا يحمل ما ورد في الآيات والأخبار وفيه كلام كثير لا حاجة بنا إلى استقصائه
فمقدار الغرض حاصل بما ذكرناه هاهنا فإذا مهدت هذه القاعدة فلنذكر كلام القبر
للميت ثم نردفه بالكلام في عذاب القبر ثم نذكر على أثره سؤال نكير ومنكر فهذه
مقامات ثلاثة نفصلها بعون الله تعالى

المقام الأول في بيان كلام القبر للميت

إما بلسان المقال وإما بلسان الحال
قال رسول الله صلى الله عليه يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما
غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وما غرك
بي إذ كنت تمر علي فذاذا فإن الفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره
الراوي فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر فيقول القبر إني إذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا
ويصعد روحه إلى الله تعالى وقال بعض الزهاد ما من ميت يموت إلا نادته حفرته
التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد. وقال يزيد الرقاشي بلغني
أن الميت إذا وضع في قبره واحتوشته أعماله ثم أنطقها الله تعالى فقالت
أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا
وقال كعب إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة
الصلاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من
قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد طال بي القيام لله تعالى عليهما
فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال
ظمأه في دار الدنيا فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد إليكم عنه فقد
أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من
قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين
حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه فيقولوا هنيئا طبت
حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة
ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء
بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره فهذا كلام القبر كما ترى

المقام الثاني في بيان عذاب القبر

قال البراء بن عازب خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه على جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله
صلى الله عليه على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم
قال إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس
بحنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك ما بين السماء
والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه
منه فإذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما
أعددت له من الكرامة فإني وعدته بقولي منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية
وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه فينتهره
انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد أن
صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الآخرة ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر
برحمة من ربك وجنات لهم فيها نعيم مقيم فيقول وأنت
فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريعا
في طاعة الله تعالى بطيئا عن معصية الله تعالى فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي
مناد في السماء أن أفرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له فرشا
من الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع
إلى أهلي ومالي وأما الكافر فإذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من
الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران
فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في
السماء وغلقت أبواب السماء فليس فيها باب إلا ويكره أن يدخل بروحه منه
وقيل رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت
له من الشر إني وعدته بقولي منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وإنه ليسمع
خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن
نبيك فيقول لا أدري ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب
فيقول أبشر بسخط الله وبعذاب أليم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا
عملك الخبيث فوالله إن كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعته
فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه
مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها ما استطاعوا لو
ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح
فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على وجه الأرض ليس الثقلين ثم ينادي

مناد ان ارسلوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحين من
نار ويفتح له باب الى النار ۞ وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند
موته اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته
وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه ان المومن اذا حضرته الملائكة
بحرير فيها مسك وضبائر الريحان فيسل روحه كما يسل الشعر من العجين ۞
ثم يقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية ومرضيا عنك الى روح
الله وكرامته ۞ فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت
عليها الحرير وبعث بها الى عليين ۞ وان الكافر اذا احضرته الملائكة بمسح
فيه جمرة فينزع روحه نزعا شديدا ويقال ايتها الروح الخبيثة اخرجي ساخطة
ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك
الجمرة وان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين حيث تكون
ارواح الشياطين ۞ ويكفي بهذا القدر في عذاب القبر ففيه كفاية في مقدار
غرضنا والله اعلم **المقام الثالث** في بيان سوال منكر ونكير وضغطة
القبر وبقية الكلام في عذاب القبر ۞ قال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه
اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللاخر نكير
فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان مومنا ثبته الله وهداه للصدق ويقول
هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان
انا كنا لنعلم انك لتقول ذلك ۞ ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا
وينور له في قبره فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له لا سبيل
لك الى الرجعة ولكن نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظها الا احب اهلها اليها
حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ۞ وان كان منافقا قال لا ادري سمعنا الناس يقولون
شيئا فكنت اقوله فيقول لان انا لنعلم انك تقول ذلك ۞ ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم
عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن
عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك
اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا
اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا
عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر نكير ومنكر ۞
اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثيان
القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون
معي عقلي الان قال نعم قال فاذا اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير

بالموت وانما تتغير الاعضاء والبدن فالعاقل هو الروح ۞ وعلى هذا يكون الميت
عاقلا مدركا عالما بالالام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء ولا يلتبس العقل
متغير الحال ۞ قال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه دابة في قبره عمياء صماء
في يدها سوط من حديد في راسها مثل عرف الجمل تضربه الى يوم القيمة لا تراه
فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه ۞ قال سعيد تخرج الاعمال الصالحة عنه كما يخرج
الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال له بارك الله لك في مضجعك نعم
الاخلاء اخلاؤك ۞ ونعم الاصحاب اصحابك ۞ وعن حذيفة قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم
قال يضغط المومن في هذا ضغطة تزول منها حمائله ۞ وقالت عائشة رضي
الله عنها ان للقبر ضغطة ولو سلم منها او نجا منها احد لنجا منها سعد بن معاذ
وعن انس بن مالك قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وكانت امراة
مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله
التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رايناك شيئا
ثم ذلك قال ذكرت ضغطة القبر لابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان الله تعالى
قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمعها من بين الخافقين غير الجن والانس
وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في لحده جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته
فان اتاه من قبل راسه جاءه قراءة القران وان جاء من قبل رجليه حال من اجل قيامه
وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطهما للصدقة والدعا
لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلوة والصبر ۞
بناحيته فيقول اما اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه وقد فرغنا
من هذه المقالة التي جعلناها خاصة لاحوال الميت من حين الى نفخة الصور
ونشرع الان في نفخة الصور الى اخر الاستقرار ۞

المقالة العاشرة من علوم الكتاب وهو اخر الديوان في ذكر احوال الميت من وقت نفخة الصور الى اخر الامر في ذلك

من الاستقرار في الجنة والنار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار
واعلم ان هذه المقالة مشتملة على شرح العظايم التي تحرم ما يلقونها وجملة ما نورده
من ذلك يحصل في تنبيهات عشرة نوضحها بمعونة الله تعالى **التنبيه الاول**
في بيان نفخة الصور ۞ اعلم انا قد ذكرنا فيما سبق شرح احوال الميت في سكرات
الموت ومشاهدة الملائكة ثم مقاساة ظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير
وسوالهما ثم لعذاب القبر وخطره واعظم من ذلك الاخطار التي بين

بدنه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير
ونصب الميزان ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء
فهذه احوال واخطار لابد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم
تطويل الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد واكثر الخلق لم يدخل الايمان باليوم
الاخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء قلوبهم واذا سئلوا عن اليوم الاخر نطقت
به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن يشاهد عجائب الخلقة في النطفة القذرة
وتركيبها على هذا التركيب العجيب وهكذا اثار المكونات لم يستبعد النشاة
الثانية فانها مثل الاولى واسهل منها وان كنت في ريب من الايمان فاشعر قلبك تلك
المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار وتفكر اولا فيما يقرع اسماع سكان
القبور من شدة نفخة الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس
الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك
مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص
العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم
وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة
الانتظار لعاقبة الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى
فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون الى
قوله وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى من الاهوال الا هول تلك النفخة لكان
جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والارض اي يموتون
بها الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم
كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى
يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على
القرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص
بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات
والارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل ملك الموت ثم يامر ملك الموت فيقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم
روح اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلائق بعد النفخة الاولى
في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ الثانية فذلك قوله ثم نفخ
فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون على ارجلهم فيمشون على ارجلهم الى

البعث وقد قال صلى الله عليه وسلم بعث الى صاحب الصور فاهوى به الى
فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخة وتفكر في الخلائق
وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا
لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت بائس مسكين فيما بينهم متكسر
مثل انكسارهم متحير مثل تحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفهين والاغنياء المتنعمين
فملوك الارض في ذلك اليوم هم اذل الجمع واصغرهم واحقرهم يوطؤون
بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة
رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة
تدنست بها لكن حشرتهم شدة الصعقة وهيبة النفخة وشغلهم عن الهرب من
الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين
المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى
مصداقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم
جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك مما تحمر الطيش والفشل والانزعاج

التنبيه الثاني في صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة الى قاع
صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى فيها ربوة يختفي الانسان
وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت
فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار
الارضين اذ ساقتهم الراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى
والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار
ان تكون خاشعة قال الرسول صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على
ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي قال الراوي ليس فيها معلم لاحد
والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو الخالص من القشر والنخالة فلا تحسبن
ولا تفاوت يرده البصر والسموات ذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر
يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فاذا اجتمع الخلائق على هذا
الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وانطمست الشمس والقمر واظلمت الارض
لخمود سراجها فبينما هم كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع
غلظها وشدتها غلظها خمس مائة عام والملائكة على حافاتها وارجائها
ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة يخالطها صفرة فكانت وردة كالدهان وصارت
السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث

ومشاة قال رسول الله صلعم يبعث الناس عراة حفاة

وهم عراة حفاة غرلا ﴿ فقالت سودة واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿ قال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ﴿ فقال الذي قدر على امشائهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفي بلوغ الادمي انكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الانسان الحية لانكر مشيها على بطنها كالبرق الخاطف والمشي بالرجل مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيئا من عجائب يوم القيمة واهواله لمخالفته لقياس الدنيا فاحضر في قلبك صورتك ﴿ وانت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من الاهوال ويجري وطاش سمعك مما ترى من تغير الاحوال واعظم ما يجري عليك هو سماع النداء العرض بالسعادة والشقاوة واعظم هذه الحالة فانها العظيمة واستعد لنزولها فانها الغريبة والله اعلم بالصواب

التنبيه الثالث في بيان صفة العرق يوم القيمة

ثم تفكر في نفسك عند ازدحام الخلائق واجتماعهم الذين خصلوا في الموقف وازدحموا عليه اهل السموات السبع ﴿ والارضين السبع من ملك ووحش وجن وانس وشيطان وهوام وسبع وطاير ﴿ فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤس العالمين قاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل العرش ولا يستظل به الا المقربون من بين مستظل بالعرش ومضحى بحر الشمس قد صهره بحرها ﴿ واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تزاحمت الخلائق وقد دفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف الى ذلك شدة الخجل والحياء من الافتضاح والخزي عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال ذلك على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه ﴿ وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه ﴿ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ﴿ ويلجمهم ويبلغ اذانهم هكذا رواه البخاري في صحيحه ﴿ وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ﴿ ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها ومنهم من يغطيه ﴿

عرقه وضرب بيده على راسه هكذا انامل يا مسكين في عرق اهل الحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي ويقول رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك لم يلقوا حسابا ولا عقابا وانك واحد منهم ولا تدري ان يبلغك العرق ﴿ واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله في حج وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيمة ويطول فيه الكرب ويعظم فيه الاحزان فسال الله بجوده عاقبته من عظام اهواله والفوز بجواره وكرمه افضاله ﴿

التنبيه الرابع

في بيان حال يوم القيمة وما يجري فيه ﴿ اعلم ان هذا اليوم قد عظم الله شانه واوضح على السنة الرسل علامته وبرهانه فلنذكر صفة طوله ﴿ وما يجري فيه من الدواهي فهذان مقامان

وصححها بعون الله سبحانه ﴿ المقام الاول في بيان صفة طوله

فقد قيل ان الخلائق يقفون شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يتكلمون ولا ينظر الى امرهم ثلث مائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون شربة ولا يصل اليهم روح نسيم ﴿ قال كعب وقتادة في تفسير قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿ قال يقومون ثلث مائة عام ﴿ وفي حديث اخر قال رسول الله صلى الله عليه كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم ﴿ وقال الحسن ما ظنك بقوم قاموا على اقدامهم خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا ثم يؤمر بهم الى النار فيسقوا من عين انية قد ان حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في خلاصهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم ﴿ وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد منهم من شدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا محمد صلى الله عليه لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ﴿ واعلم ان كل من طال اشطانه في الدنيا للموت لشدة معاناته الصبر عن الشهوات فانه يقصر اشطانه في ذلك اليوم خاصة ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اهون عليه من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فما بقي لك نفس من عمرك فالامر اليك ﴿

والاستعداد لكلمة بعدك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره
واستغفر عمرك لعمر الدنيا وهو سبعة الاف سنة لتتخلص من يوم كان مقداره خمسين
الف سنة ❁ ولو لم نعلم الا امكان الخلاص من ذلك اليوم دون رجاء الجنة والخلاص
من النار لكان يجد كثيرا وتعبك يسيرا وكيف ما يضم اليه من الاهوال العظام
والدواهي التي تذهب العقول والاحلام

المقام الثاني

في بيان ما يجري فيه من الحوادث الفاجعة فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه
المديد وقته وزمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم السماء فيه انفطرت ❁ والجلال
فيه كورت ❁ والكواكب فيه انتثرت ❁ والنجوم الزواهر انكدرت ❁ والشمس
والعشار عطلت ❁ والوحوش حشرت ❁ والبحار سجرت ❁
والجحيم سعرت والجنة ازلفت والجبال نسفت والارض مدت يومئذ زلزلت فيه
الارض زلزالها واخرجت فيه الارض اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ يصدر
الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ❁ يوم
نفخ فيه كل واقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ❁ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم
تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم رجت فيه الارض رجا وبست الجبال بسا
فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن
المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ❁ يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ❁ يوم ينسف الجبال نسفا
فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ❁ يوم ترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب يوم انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ❁ يومئذ لا يسال
عن ذنبه انس ولا جان يوم يسمع فيه الفصيح من الكلام ولا يسال فيه عن
الاجرام بل يوخذ فيه بالنواصي والاقدام ❁ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
يوم يعلم كل نفس فيه ما احضرت وشهد ما قدمت واخرت يوم تخرس فيه
الالسنة وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره فيه سيد المرسلين ❁ اذ قال له
الصديق ❁ اراك قد شبت فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم ❁
يتساءلون وكورت فيها القاري الفاجر خطر من رايك ان تجمع القران وتخصص
به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تفرقه لكنت جديرا بان تنشو من ادراك
ما شاب منه شعر سيد المرسلين ❁ واذا قنعت بحركة اللسان وقد حرمت
ثمرة القران فالقيمة اجدر ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها ❁

عشره

اكثر من ذكر اسامها لتقف من اساميها على كثرة معانيها ❁ فليس المقصود بكثرة
الاسامي معرفة الالقاب بل الغرض التنبيه لذوي العقول والالباب فتحت كل اسم
من اسمائها اسرار وفي كل نعت من نعوتها معاني وفوائد فاحرص على ادراك
معانيها ❁

الباب الخامس في بيان اسماء القيمة والقابها

اعلم ان اختلاف الالقاب عليه واسناد الاسماء الكثيرة اليه انما كان من اجل
ما يحصل فيه من الاهوال وما يشاهد فيه من تغير القلوب والاحوال وهي

يوم القيمة ❁	يوم الصاعقة ❁	يوم التناد ❁	يوم الوزن ❁
يوم المسائلة ❁	يوم الراجفة ❁	يوم العذاب ❁	يوم الفصل ❁
يوم المسابقة ❁	يوم الداهية ❁	يوم الثقل ❁	يوم الفتح ❁
يوم المنافسة ❁	يوم الطامة ❁	يوم الجزاء ❁	يوم عقيم
يوم المناقشة ❁	يوم الفراق ❁	يوم الحشر ❁	يوم النفس ❁
يوم النفخة ❁	يوم التلاق ❁	يوم الخروج ❁	يوم لا يغني ❁
يوم الزلزلة ❁	يوم القصاص ❁	يوم المساق ❁	مولى عن مولى ❁
يوم الواقعة ❁	يوم الماب ❁	يوم القلق ❁	يوم لا تملك
يوم الازفة ❁	يوم القرار ❁	يوم الانكدار ❁	نفس لنفس شيا
يوم الازفة ❁	يوم الفصل ❁	يوم الوقوف ❁	يوم يدعون الى
يوم الخزي ❁	يوم البكاء ❁	يوم الوعيد ❁	نار جهنم دعا
يوم الصاخة ❁	يوم العرض ❁	يوم المحاسبة ❁	يوم يسحبون في
يوم الساق ❁	يوم الحكم ❁	يوم الموعود ❁	النار على وجوههم
يوم الحساب	يوم المغبن ❁	يوم معلوم ❁	يوم تقلب وجوههم
يوم الفرار ❁	يوم الندامة ❁	يوم لا ريب فيه ❁	في النار
يوم اللقاء ❁	يوم الجمع ❁	يوم السكرة ❁	يوم لا يجزي
يوم البلاء ❁	يوم الدين ❁	يوم المنتهى ❁	والد عن ولده
يوم الوعيد ❁	يوم المصير ❁	يوم المعاد ❁	يوم لا يملك من الله
يوم الخوف ❁	يوم الرجفة ❁	يوم الغرق ❁	يوم لا يستطيعون
يوم عظيم ❁	يوم الفزع ❁	يوم الانتشار ❁	يوم لا يوذن لهم
يوم الحزن ❁	يوم الماوى ❁	يوم الانتشار ❁	فيعتذرون
يوم عسير ❁	يوم المرصاد ❁	يوم الخروج ❁	يوم لا مرد له
يوم التلوى ❁	يوم الاحتفال ❁	يوم التغابن ❁	من الله ❁
يوم الصيحة ❁	يوم الانشقاق ❁	يوم موعود ❁	يوم هم بارزون

يومهم على

يوم الدمدمة ۞ يوم الخلود ۞ يوم تبلى ۞ السرائر

يوم القارعة ۞ يوم عبوس ۞ يوم لا تجزي نفس ۞ النار يفتنون

يوم الغاشية ۞ يوم مشهود ۞ عن نفس شيئا ۞ يوم لا ينفع مال

يوم الحاقة ۞ يوم الرجفة ۞ يوم تشخص الأبصار ۞ ولا بنون

يوم لا ينفع ۞ ويوم ينطق ۞ يوم ييأس فيه ۞ يوم الغضب

الظالمين معذرتهم ۞ فيه الجوارح ۞ الكفار ۞ يوم السخط

ولهم اللعنة ۞ ويوم تسكن ۞ يوم عز سعيهم ۞ يوم الكلام

ولهم سوء الدار ۞ فيه الأصوات ۞ اللسان ۞ يوم الملامة

يوم ردت فيه ۞ ويوم يظهر فيه ۞ يوم الجحيم ۞ يوم الشدائد

المقادير ۞ الخطايا ۞ يوم التقليب ۞ يوم تسيير

يوم تبلى فيه ۞ ويوم يشيب ۞ تقلب وجوههم ۞ الجبال

السرائر ۞ فيه الصغير ۞ في النار ۞ يوم تظهر فيه الجبابرة

ويوم ينشر ۞ فيه الدواوين ۞ يوم تكشف فيه الكربات ۞ ويوم تزفر فيه النار

يوم تخشع فيه الأبصار ۞ ويوم تتغير فيه الألوان ۞ يوم يبرز فيه

يوم يكشف فيه الأستار ۞ ويوم تظهر فيه الأشهاد ۞ الخفيات

يوم تعلو فيه الالتفات ۞ ويوم توضع فيه الموازين ۞ يوم يساق

ويوم تعلى فيه الجحيم ۞ يوم يتكبر فيه الكبير ۞ فيه العباد

ويوم تسعر فيه النيران ۞ يوم تبرز فيه ۞ الجحيم

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق ۞ ولابست الفجور ماذا تفعل وقد شهدت عليك حتى أرجلك فالويل كل الويل لنا يا معشر الغافلين ۞ يرسل الله إلينا سيد المرسلين وينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات ونعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ۞ لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب يوم القيامة بقوله اقتربت الساعة وانشق القمر ۞ إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة قريب ۞ ثم تكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للفرار من عظائم معانيه ودواهيه فنعوذ بالله من غفلة تستولي على القلوب ۞ ونستجير بالله من استحكام الزلل وغلبة الذنوب ۞

السادس ع

التنبيه السادس عشر في بيان صفة النار وأهوالها ۞

أتكلها أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل

الدنيا المشرفة على الانقضاء دع الفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف فكرك إلى موردك فإنك أخبرت أن النار مورد للجميع حيث قال تعالى وإن منكم إلا واردها فأنت من الورود على يقين فكيف حال الصدور وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها واقفين إذ أحاطت بالمجرمين أعمالهم ونحن الآن نشير إلى صفاتها على جهة الجملة وعلى جهة التفصيل بهذين الفرعين

الفرع الأول في ذكر صفاتها على جهة الإجمال

اعلم أن حال النار أعظم من أن يوصف وعذابها أكبر من أن يكيف سيما أهل الإجرام والآثام في المحشر على أصنافهم من تلك البليات إذ غشيتهم ظلمات ذات شعب وأطلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فأيقن المجرمون عند ذلك بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ۞ ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ۞ ويردونه في قعر الجحيم ۞ ويقولون ذق إنك أنت العزيز الكريم فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير ۞ شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم عنها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في أطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد ۞ يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود ۞ فتقول الزبانية هيهات هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ۞ ولو أخرجتم لكنتم إلى ما نهيتم عنه عائدون ۞ فعند ذلك يندمون ۞ وعلى ما فرطوا في جنب الله يأسفون فلا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون في النار على وجوههم مغلولين ۞ النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران ۞ وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ۞ ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود وتهشم بالمقامع جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات

والثبور

لحومهم تتقطع من الأطراف يتعوون لحلول دهاوكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا
غيرها وعري من اللحم عظامهم فيبقى الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب
وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف لو نظرت إليهم وقد سودت
وجوههم أشد سوادا من الجحيم واعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت
ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم
إلى أعناقهم قد جمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم
ويطؤون حسك الحديد بأحداقهم فلهب النار سار في بواطن أجوافهم وحيات
الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم فهذه جملة أحوالهم على جهة الإجمال
فيما يتصل بهم من النكال.

التقرير الثاني في بيان ذكر صفاته على جهة التفصيل وتفاصيل النكالات لجهنم

الجحيم لا يعلم كنهها إلا الله تعالى ولكنا نشير منها إلى أنواع عشرة. **النوع الأول** أمكنة النار فهي دركات بعضها فوق بعض فالأعلى جهنم ثم سقر
ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية. قال الرسول صلى الله عليه إن في
جهنم سبعين ألف واد وفي كل واد سبعون ألف شعب وفي كل شعب سبعون
ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي المنافق والكافر حتى يواقع ذلك كله.
وقال صلى الله عليه تعوذوا بالله من جب الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن
قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء
المرائين. **النوع الثاني** طعامهم وهو الزقوم قال الرسول صلى
الله عليه لو أن شيئا من الزقوم أخرج إلى الدنيا لأفسد على أهل الدنيا معايشهم
وقال تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وقال تعالى وطعاما
ذا غصة. **النوع الثالث** شرابهم وهو الغساق وهو الصديد الذي
يسيل من أبدانهم قال الرسول صلى الله عليه لو أن دلوا من غساق أهل جهنم ألقي
في الدنيا لأنتن أهل الأرض والصديد في قوله ويسقى من ماء صديد والمهل في
قوله وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب. **النوع
الرابع** الجوع قال الرسول صلى الله عليه يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل
ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالشراب والطعام فأما الطعام فيرفع إليهم
الزقوم بكلاليب من نار حديد فإذا أدني من وجوههم شوى وجوههم فإذا أدخل
بطونهم قطع أمعاءهم كما حكى الله تعالى فقطع أمعاءهم وأما الشراب فهو
الحميم كما قال تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم. **النوع الخامس**
حيات النار وعقاربها قال الرسول صلى الله عليه إن في النار لحيات مثل أعناق
البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة
يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا. **النوع السادس**
تعظيم أجسامهم طولا وعرضا حتى يعظم عقابهم بلسع العقارب والحيات
ولفح النار. قال الرسول صلى الله عليه ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده
مسيرة ثلاثة أيام. **النوع السابع** البكاء والشهيق والعويل الذي لا ينقطع
قال الرسول صلى الله عليه يرسل على أهل النار البكاء حتى ينقطع الدموع ثم يبكون
الدم حتى يجري في وجوههم كهيئة الأخاديد حتى لو أرسلت فيه السفن لجرت
وما دام يؤذن لهم في البكاء الحقيقي بل والزفير والشهيق والدعاء بالويل والثبور
فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون من ذلك. **النوع الثامن** الحسرة
العظيمة بفوات الجنة ونعيمها قال الرسول صلى الله عليه يؤتى يوم القيامة بناس
من أهل النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها استنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها
وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فتنصرف وجوههم عنها فيرجعون بحسرة ما رجع
الأولون بمثلها. **النوع التاسع** القيود في أرجلهم والسلاسل
في أعناقهم والأغلال يسحبون بها في النار على وجوههم قال الله تعالى مقرنين
في الأصفاد وقال إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل. **النوع
العاشر** اللباس قال تعالى سرابيلهم من قطران لأن النار
إلى القطران أسرع ما يكون وأشد حرا فهذه أوصاف جهنم على الجملة والتفصيل
عمقها وأحوالها ومحنها وحزن أهلها لا نهاية لها. وقد قال صلى الله عليه يؤتى
يوم القيامة بكبش أملح فيذبح بين النار والجنة ثم يقال يا أهل النار خلود ولا موت
ويا أهل الجنة خلود ولا موت. وقال أنس رحمه الله في قوله تعالى سواء علينا
أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال يصبرون خمسمائة سنة ثم يجزعون خمسمائة
سنة ثم يقولون بعد ذلك ما لنا من محيص. فانظر أيها الغافل
المسكين في هذه الأهوال واعلم أن
النار خلقها الله تعالى بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيد ولا ينقص وإن هذا
أمر قد قضي وفرغ منه فانظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له
فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر بالسعادة الأبدية والبعد من النار وإن كنت
لا تقصد خيرا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه عنك ولا تقصد شرا إلا وتتيسر لك
فاعلم أنك آيل إلى الخاتمة فنسأل الله تعالى الصدق في تحقيقه والعمل الخالص
لوجهه ورزقنا من رضوانه وبعدنا من عقابه.

التنبيه السابع في ذكر صفة أهل الجنة ونعيمها

اعلم أن

هذه اللذات التي عرفت عمومها وشرورها بقاؤها دار اخرى فما مل نعيمها من قربها
فان من بعد من اخذ بهما استقر لا محالة في الاخرى فاستغفر الخوف من قلبك بطول
الفكر في الجحيم الاليم واستبشر الرجا للنعيم المقيم لاهل الجنان وشوقك بشرط الخوف
وتمام الرجا الى الصراط المستقيم به تنال الملك العظيم ۞ وتسلم برحمة الله
من العذاب الاليم ۞ ونحن الان نشير الى نعيم اهل الجنة تارة على جهة الاجمال
وتارة على جهة التفصيل فهذان مقامان **المقام الاول** من جهة الاجمال
فاعمل فكرك في اهل الجنة فتجدهم كما حكى الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة
النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك جالسين على منابر من الياقوت الاحمر
في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر ومتكئين
على ارائك منصوبة على اطراف الانهار المطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان
والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن
في مشيها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض
ما تتحير فيه الابصار مكللة بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات
عطرات امنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور من الياقوت الاحمر ۞
مبنية في وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون
ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين ۞ ويطوف عليهم خدام وولدان
كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ۞ في مقام امين في جنات وعيون
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ۞ ينظرون فيها الى
رحمة الملك الكريم ۞ وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم ۞ لا يرهق وجوههم
قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون ۞ بانواع الطرف والتحف من ربهم يتعاهدون ۞
وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ۞ لا يخافون فيها ولا يحزنون ۞ وهم
عن ريب المنون امنون ۞ فهم فيها يتنعمون ۞ وياكلون من اطعمتها
ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها فضة وحصباؤها
مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب
فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب
من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم
ممزوج بالسلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صفا جوهره يبدو الشراب
من ورائه لرقته وحمرته لم يصنعه ادمي فيقصر في تسوية صنعته ۞

وتخيتين صناعته في كف خادم يحكي ضيا وجه الشمس في اشراقها فكيف الشمس
من حلاوة ذوقه وحسن اصطباغه وملاحة اخداقه فاعجبا لمن يؤمن بهذه الدار
التي وصفناها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع فيها ثم يحول بصفاتها ولا
يستنظر الاحداث فيها بعين التغيير الى اهلها كيف ياس بدار اذن الله بخرابها
بعيش فيها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الخوف والجوع
والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر
عليها دار التصرم والتنغيص من ضرورتها فكيف واهلها ملوك امنون ۞ وفي
انواع السرور متنعمون ۞ لهم فيها فاكهة ولهم ما يشتهون في كل يوم بفنا
العرش يحضرون والى رحمة الله وثوابه ينظرون وهم على الدوام بين اصناف
هذه النعم يترددون ۞ ومن زوال النعم امنون لا يمسهم فيها نصب وهم
فيها خالدون قال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه اذا صار اهل الجنة
في الجنة نادى مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا وان
لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا ۞ ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون
وهذا بيان وصفها على جهة الاجمال قد اشرنا اليه بما ذكرناه والله اعلم

المقام الثاني في ذكر حالها على جهة التفصيل فتامله

عدد الجنان فهي ثمانية جنة الفردوس وجنة الماوى وجنة عدن وجنة
الخلد وجنة النعيم ۞ وفي قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ومن دونهما جنتان
وما نعتها جنتان من فضة ابنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب ابنيتهما وما فيهما ونحن الان نشير الى تفاصيل نعيمها
ونشير الى اصناف عشرة **الصنف الاول** في صفة ابواب الجنة وهي كثيرة
بحسب اصول الطاعات فمن كان من اهل الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل
الصيام دعي من باب الصيام الريان ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة
وان فعل هذه الطاعات كلها دعي منها كلها وهي ثمانية وابواب النار سبعة

الصنف الثاني حيطانها وقد قال صلى الله عليه ان حائط الجنة
لبنة من ذهب ولبنة من فضة وانهارها زعفران وطينها مسك وسئل رسول الله صلى
الله عليه عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص والله اعلم **الصنف الثالث**
اشجارها وانهارها قال صلى الله عليه ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام
لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود ۞ وفي قوله تعالى وسدر مخضود
اي خضد الله شوكها فجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم انفتق الثمر عن اثنين وسبعين لونا
ما فيها لون يشبه الاخر ۞ **الصنف الرابع** لباس اهل الجنة قال الله
تعالى يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ۞ وقال ولباسهم فيها حرير

وقال متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان ﴿﴾ وقال رجل اخبرنا يا رسول الله
عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا ﴿﴾ فسكت رسول الله صلى الله عليه وضحك
بعض القوم فقال صلى الله عليه مم تضحكون من جاهل سال عالما ثم قال رسول
الله صلى الله عليه بل تشقق عنها ثمر الجنة وتنفتح عنها ﴿﴾ **الصنف الخامس**
حلية اهل الجنة قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا قال الرسول
صلى الله عليه ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال
صلى الله عليه من يدخل الجنة ينعم ولا يبوس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ﴿﴾ وفي
الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿﴾

الصنف السادس فرشهم

وسررهم وارائكهم وخيامهم قال تعالى
متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان ﴿﴾ وقال صلى الله عليه ما بين
الفراشين كما بين السماء والارض وقال تعالى متكئين فيها على الارائك وقال تعالى
حور مقصورات في الخيام ﴿﴾ قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها
اربعة الاف مصراع من ذهب وفي حديث اخر الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون
ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يرون الاخرين ﴿﴾ **الصنف السابع**
طعام اهل الجنة فقد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم كقوله تعالى وفاكهة ولحم
مما يشتهون وقال واتوا به متشابها وقال الرسول صلى الله عليه تحفة اهل الجنة
عند دخولهم الجنة زائدة كبد الحوت وغداؤهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها
وقال الرسول صلى الله عليه ان الرجل من اهل الجنة لينظر الى الطير في الجنة فيشتهيه
فيخر بين يديه مشويا ما ياكلونه من الطعام فانه يكون عرقا يفيض من جلودهم مثل
المسك وقال الرسول صلى الله عليه ان في الجنة طيرا امثال البخاتي فقال ابو بكر
انها لناعمة فقال صلى الله عليه اكلها انعم منها وانت ممن ياكلها يا ابا بكر وقال
عبد الله بن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف عليهم
بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون غير الاخر ﴿﴾

الصنف الثامن شرابهم

وهو كما قال تعالى فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وقال تعالى
يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ﴿﴾ وقال تعالى يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك وقال تعالى ومزاجه من تسنيم ﴿﴾ وقال تعالى ويسقون فيها كاسا كان مزاجها
زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ﴿﴾ وقال تعالى ان الابرار يشربون من كاس كان
مزاجها كافورا ﴿﴾ وقال ابو الدرداء في قوله ختامه مسك هو شراب ابيض مثل الفضة

يختمون به

يختمون به اخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق
ذو روح الا وجد ريح طيبها ﴿﴾ **الصنف التاسع** نساؤهم الحور العين
والولدان وهم كما حكى الله تعالى حور مقصورات في الخيام ﴿﴾ وقال تعالى كانهن
الياقوت والمرجان وقال تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين ﴿﴾ وقال الرسول صلى
الله عليه لو ان امراة من اهل الجنة اطلعت على الارض لاضاءت وملات ما بينهما ريحا
ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه في قوله تعالى كانهن الياقوت
والمرجان قال ينظرون الى وجهها وخدها اصفى من المراة وان ادنى لؤلؤة
عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ﴿﴾ وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره
حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال الرسول صلى الله عليه لما اسري بي دخلت موضعا
يقال له البيذخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن
السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء فقال هؤلاء المقصورات
في الخيام استاذن ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات
فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرا رسول الله صلى الله عليه ﴿﴾
حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد ولهم فيها ازواج مطهرة قال من
الحيض والغائط والبول والبزاق والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي
في قوله في شغل فاكهون شغلهم في افتضاض الابكار ﴿﴾

الصنف العاشر في بيان جمل جزاء اصناف اهل الجنة

قال الرسول صلى الله عليه لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب
الكعبة نور يتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة
نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار
عالية فقالوا نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله تعالى وجاء رجل فقال يا رسول
هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير
بك في الجنة حيث شئت ﴿﴾ وجاء رجل فقال هل في الجنة ابل ان الابل تعجبني فقال
يا عبد الله ان ادخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك ﴿﴾ وقال
الرسول صلى الله عليه ان ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنان
وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية
وصنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
وقال الرسول صلى الله عليه ان في الجنة حورا يقال لها العيناء اذا مشت

منى عن يمينها ويسارها سبعون الف قصبة وهي تقول انا للآمرين بالمعروف
والناهين عن المنكر . وقال الرسول صلى الله عليه ان في الجنة لدارا فيها سبعون
الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب . وقال كعب
الاحبار خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي
فقالت قد افلح المؤمنون . فهذا ما اردنا ذكره في صفات اهل الجنة واهلها على جهة
الاجمال والتفصيل والله اعلم .

التنبيه الثامن في بيان ذكر الميزان والصراط والحوض

اعلم ان هذه الامور الثلثة لا بد منها في يوم القيمة وقد وردت بها الاخبار والاحاديث
بالتأويل ولهذا بل نعرفها على ظواهرها لما فيها من الزجر والتحفظ على الاعمال
ونذكرها في مقامات ثلثة .

المقام الاول في ذكر الميزان وصفته

ثم اعمل فكرك في الميزان وتطاير الكتب عن الشمايل والايمان فان الناس بعد السؤال
ثلث فرق . فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلقطهم لقطة
الطير الحب وينطوي عليهم فيلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى
عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وفرقة اخرى لا سيئة لهم فينادي ليقم الحامدون
لله تعالى على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة . ثم يفعل ذلك باهل
قيام الليل ثم بمن لم يشغله عن الله تجارة ولا بيع ثم ينادى عليهم سعادة لا شقاوة
بعدها . وفرقة ثالثة وهم الاكثر والذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن
الله يابى الا ان يعرفهم سيئاتهم ليبين لهم فضله بالعفو وعدله بالعقاب فعند
ذلك تتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان
وتشخص الابصار الى الكتب ايقع في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان
ايميل الى جانب الحسنات او الى جانب السيئات وهذه حالة عظيمة تطيش فيها
عقول الخلايق . وعن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه انه قال يؤتى
بابن آدم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان
ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق سعد فلان سعادة لا شقاوة
بعدها وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق شقي فلان شقاوة لا
سعادة بعدها . وعند خفة الميزان اقبلت الزبانية بايديهم مقامع من حديد
عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار . وعن عائشة انها
سألت رسول الله صلى الله عليه هل يذكرون اهاليهم يوم القيمة فقال والذي

نفسي بيده اما في ثلثة مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين
ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم ايخف ميزانه ام يثقل وعند نشر الصحف حتى ينظر ابن
آدم بيمينه يأخذ كتابه او بشماله وعند الصراط . وقد قال تعالى فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون .

المقام الثاني في ذكر الصراط

وهو من الاهوال العظيمة فان الناس بعد هذه الاحوال يساقون الى الصراط وهو
جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام في
الدنيا على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة
في الدنيا واثقل الظهر بالاوزار وعصى فانه يتعثر على اول قدم من الصراط ويتردى
فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على
سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق اهل النار وزفيرها وتغيظها وقد
كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك
وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط
فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت
الى ان ترفع القدم الثاني والخلايق بين يديك يزلون ويتعثرون ويتناولهم
زبانية جهنم بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فتتسفل
الى جهة النار رؤوسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما
اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه
وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون والرسول
صلى الله عليه يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك
من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلايق فكيف لو زلت بك قدمك
ولم ينفعك ندمك ورفعت صوتك فقلت وا ويلاه هذا ما كنت اخافه
فليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ
فلانا خليلا . يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم تلدني امي . وعند ذلك تختطفك النيران
والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الى
الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار
بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما اطول مقامك مع الكفار في دركات
جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم
خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذ لم يبعثك على السعي في طلب
رضاه بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط واصطكاك
قلبك من خوفه وفزعه عند الجواز مع السلامة لكان كافيا هولا وفزعا

قال الرسول صلى الله عليه يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من
يجيز بامتي من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم
سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان
قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم
من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله
صلى الله عليه يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف
الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر مثل
البرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيا
ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار
الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا
وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين
لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون
فصل القضاء وان المومنين يعطون انوارا على قدر اعمالهم حتى يكون الانوار
يكون بين ايديهم على الصراط فمنهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كانقضاض
الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر
كشد الرجل ومنهم من يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق يدا
ويجر رجلا ويعلق رجلا وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص
فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني ما لم يعط احدا اذ نجاني منها
بعد اذ رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيه وقال انس بن
مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول الصراط كحد السيف او كحد
الشعر وان الملائكة ينجون المومنين والمومنات وان جبريل لاخذ بحجزتي واني
لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ خلق كثير فهذا هو
الصراط وعظامه يطول فيها فكرك فانه لا يسلم منها الا من طال فكره
فيها فاما من غفل فلبس سالما

المقام الثالث في بيان ذكر الحوض وصفته

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص بها الرسول صلى الله عليه وقد اشتملت
الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الاخرة
ذوقه فان من صفاته ان كل من شرب منه لم يظما بعدها ابدا قال
انس بن مالك اغفى رسول الله صلى الله اغفاءة فرفع راسه متبسما فقال يا رسول

الله لم ضحكت فقال اية انزلت علي انفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه
نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير حوض ترد عليه امتي يوم القيمة
انيته عدد الكواكب وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه بينما انا اسير
في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا
الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وقال
كان رسول الله صلى الله عليه يقول ما بين لابتي حوضي ما بين صنعاء والمدينة او مثل ما
بين المدينة وعمان وروى ابن عمر لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
قال الرسول صلى الله عليه هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب وشرابه اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان
قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه قال الرسول صلى الله عليه ان حوضي
ما بين عدن الى عمان البلقاء ماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه
عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها اول الناس ورودا عليه فقراء
المهاجرين فقال عمر من هم يا رسول الله فقال هم الشعث رؤوسا الدنس
ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله
لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني
الله لا جرم لا ادهن راسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي على جسدي حتى يتسخ
قال الرسول صلى الله عليه ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر
واردا واني لارجو ان اكون اكثرهم واردة وعن ابي ذر قال قال رسول
الله صلى الله عليه ان حوضي يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما
بين عمان وايلة فهذه صفة الحوض

المسئلة التاسع في ذكر المسائلة وبيان صفتها

اعمل فكرك ايها
المسكين بعد وقوع هذه الاهوال فيما يرد عليك من السوال
شفاها من غير ترجمان فتسال عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينما انت في كرب القيمة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت ملائكة
من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي
المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه ان الله ملكا
ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هولاء الملائكة
ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض الاكبر وتراهم على عظم اشخاصهم
وكبر اجسامهم منكسرين لشدة الهيبة والجلال لشدة ذلك اليوم مستشعرين

مما بدا من غضب الجبار على عباده و عند ذلك لهم لا يبقى نبي و لا صديق و لا صالح الا و يجثو لذلك فانهم خافوا ان يكونوا هم الماخوذين ۞ وهذا احال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين ۞ و عند ذلك تبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون افيكم ربنا و ذلك لما يشاهدون من عظم مواكبهم و شدة هيبتهم فتفزع الملئكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن ان يوصف بهذا الوصف او يشار اليه بهذه الكيفية فينادون باعلى اصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض و يقولون سبحان ربنا ما هو فينا لكن ياتي امره بانفاذ قضائه في خلقه و عند ذلك تقوم ۞ الملئكة صفوفا محدقين بالخلائق من الجوانب و يكون على جميعهم شعار الذل و الخضوع و الهيبة و الخشوع ۞ و ظهور المهابة و الخوف و الجزع لشدة ذلك اليوم و فزعه و عند ذلك تصدق الله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم و لنسألن المرسلين ۞ الى قوله غائبين ۞ و قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ۞ فيبدا بالانبياء و هو معنى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا و اعظم بشدة يوم تذهل فيه عقول الانبياء و يمحى علومهم من شدة الهيبة و عظم الجبار و الوجل اذ يقال لهم ماذا اجبتم و قد ارسلتم الى الخلائق و كانوا قد اعلموا فقد دهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة اذ قيل لهم ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب ۞ و هم في ذلك الوقت صادقون لان العقول فيه طائرة و العلوم عنهم ممحوة حتى يقويهم الله تعالى فيدعى نوح فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقول لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ۞ و يوتى بعيسى فيقول الله تعالى له انت قلت للناس اتخذوني و امي الهين من دون الله فيبقى منبسطا تحت هيبة هذا السؤال منقادا في اسر الذل من عظم ذلك المقام و المقال ما اعظم هذا اليوم الذي تقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال مع عظم حالهم عند الله ثم تقبل الملئكة ۞ فينادون واحدا واحدا فينادون يا فلان بن فلان هلم الى العرض و عند ذلك ترتعد الفرائص و تضطرب الجوارح و تبهت العقول و يتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار و لا تعرض قبائح اعمالهم على الملك الجبار و لا يكشف استارهم على رؤوس الخلائق ۞ و قبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش و تشرق الارض بنور ربها و ايقن كل قلب عبد باقبال امر الملك الجبار لمسائلة العباد و ظن كل واحد انه ما يريد احدا سواه و انه المقصود بالاخذ و السؤال دون من عداه فيقول الملك الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار فيجاء بها الامر الالهي

و قال لها يا جهنم اجيبي خالقك و مليكك فتعاد ثم ياتي جبريل على عصر غضبها و غضبها فلم تلبث بعد ندائه ان ثارت و فارت و برزت الى الخلائق و شهقت و سمع الخلائق تغيظها و زفيرها و انتقص عجبها منونيه الى الخلائق غضبا على كل من عصى الله و خالف امره فاخطر ببالك او احضر في قلبك قلوب العباد و قد امتلأت خوفا و فزعا من زفراتها و لهاليل زفرات

الزفرة الاولى يتساقطون على ركبهم و يولون مدبرين فيرونها تسعى نحوهم فيرى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها و يسقط بعضهم على بعض للوجوه ساكتين و ينادي الظالمون و العصاة المجرمون بالويل و الثبور و ينادي الصديقون يقولون و الاولياء و الصالحون نفسي نفسي فبيناهم كذلك اذ زفرت

الزفرة الثانية فتضاعف فيها احوالهم و يتداخل فوادهم و طاشت الهمم ما خوذون و اشفقوا غاية الاشفاق و حصل عليهم من الذل و الخوف فرقا منها و جزعا من شدة ما يرون من غضبها

الزفرة الثالثة فيتساقط الخلائق على وجوههم و يشخصون بابصارهم ينظرون من طرف خاشع خفي فاذهبهم عند ذلك قلوب الطالبين فبلغت الافئدة لدى الحناجر كاظمين ۞ و ذهلت العقول من السعداء و الاشقياء اجمعين ۞ و بعد ذلك اقبل الله على الرسل و قال ماذا اجبتم فاذا ادوا ما فيهم من السياسة على الانبياء اشتد على العصاة و بعد يفر المرء من ابيه و امه و الاخ من اخيه و الزوج من زوجته و يبقى كل واحد منتظرا للامر ثم يؤخذ واحد واحد و يسأله الله شفاها عن كل عمل قليل و كثير ۞ و عن سر و علانية و عن جميع جوارحه و اعضائه ۞ قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه يقول الله للعبد الم اكرمك و اسودك و ازوجك و اسخر لك الخيل و الابل و اذرك على احسن حالة و اكرم هيئة فيقول العبد نعم فيقول الله تعالى افظننت انك ملاقي ۞ فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني ثم هم يا مسكين و قد اخذت الملئكة بعضدك و انت واقف بين يدي الله يسالك شفاها فيقول لك الم انعم عليك بالشباب ففيما ذا ابليته الم امهلك في العمر ففيما ذا افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين اكتسبته و فيما ذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت ۞ فكيف ترى خجلك و هو يعد عليك انعامه و معاصيك و اياديه و مساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك و قال رسول الله صلى الله عليه ليقفن احدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه و بينه حجاب فيقول له الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يجد الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يجد الا النار فليتق احدكم النار و لو بشق تمرة او بكلمة طيبة

ان في حديثها قال ابن مسعود رضي الله عنه ما منكم من احد الا يخلو الله به يا ابن آدم
ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم الم اكن رقيبا
على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنك وانت تسمع ما لا يحل
لك وهكذا الى ان عد سائر الاعضاء. **فاعظم ايها المسكين**
الغافل عما يصلحك وعما يغشاك من الحياء من اجل ذلك وبعد ذلك فانك بين
حالتين عظيمتين اما ان يقال لك قد سترتها لك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وعند
هذا يعظم سرورك وفرحك يغبطك الاولون والآخرون لما
حصل لك من الفوز بالمغفرة والرضوان وبين ان يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء
الذي بارز مولاه بالمخالفة والمعصية فغلوه ثم الجحيم صلوه. وعند ذلك لو بكت عليك
السموات والارض ومن فيهن لكان (ذلك) جديرا بك فتعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما
فرطت من طاعة الله وعلى ما بعت به آخرتك من دنيا دنية لم تبق لك ولا لاحد
غيرك فنعوذ بالله من خسارة الانفس في الآخرة واستحقاق العقوبة الابدية
والندامة السرمدية. **التنبيه العاشر** **في بيان** الانصاف في صفة
المخاصمة ورد المظالم قد عرفت مما ذكرناه من قبل هول الميزان وخطره وان
الاعين شاخصة الى لسان الميزان وشوكته فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة
راضية. واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية
واعلم انه لا ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن
بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه
حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه
ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير
في فرائض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه
ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا
مظلمة فمن (حتى) هذه حاله فانه يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم
احاطت به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلببه
وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول
ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسأت جواري وهذا
يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب سلعتك
وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا
فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظالم فداهنت

الظالم

الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشبت الخصوم فيك مخالبهم واحكموا
في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على
درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين
استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله
يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم
ان الله سريع الحساب. فعند هذا ينخلع قلبك ويدهش فؤادك وتيقن من الهيبة
وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله به على لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى قوله
وافئدتهم هواء. فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم
وما اشد حسراتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب
السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا
فتتيقن بظهور القصاص وتوفر الحقوق منك ولا تخلص منها. قال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله
من لا درهم له ولا متاع قال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة
ثم ياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب
هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه
اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار. فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم
اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان بالغصب والحسد فان سلمت
واحدة في مدة طويلة ابتدرها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت
نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا ويجري
على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل
الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات. وكيف ترجو الخلاص من المظالم في
يوم يقتص فيه للجماء من القرناء. وقال ابو هريرة في قوله تعالى وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم. وان الله يحشر الخلق كلهم يوم القيمة
البهائم والدواب والطير والوحوش وكل شيء للمقاصة فيما بينها حتى يبلغ من
عدل الله ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول بعد ذلك كوني ترابا فذلك حين يقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا. **الا فاتقوا الله عباد الله مظالم العباد**
باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم والاساءة
الى الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه اسرع

ومن

ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعجز عليه استحلال ارباب المظالم فان
الله تعالى بسعة كرمه وفضله يقضي عنه فهذه من الطاعات التي بها ينال اللطف
الذي ادخر لاحبابه المؤمنين واصفيائه المتقين وقد فرغنا مما
اردنا ذكره في هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين ولنختم
كتابنا هذا بالابتهال الى الله والاعتذار اليه
فنقول اللهم انا نستغفرك من جميع ما هجس في
الافئدة والخواطر واشتغلت به الجوارح في الاماكن الخالية والحجب الساترة
حيث لا يطلع عليه سواك ولا يستأثر بعلمه الا انت ونستغفرك من كل ما زلت
به الاقدام او طغت به الاقلام ونستغفرك من الاقوال التي لا توافقها الاعمال
ونستغفرك من كل علم وعمل قصدنا به وجهك الكريم فخالطه ما ينقص
عن بلوغ فضلك العظيم ونستغفرك من كل تقصير احدثناه او تضييع
وتكلف ارتكبناه ونرجو بعد الاستغفار ممن وقف على كتابنا هذا او استفاد
منه موعظة او اطلع فيه على منفعة في الدين ان يكرمنا بالدعاء بالعفو والمغفرة
والتجاوز عن جميع السيئات وقضاء الحاجة العظمى وهي خاتمة الخير فان الكرم
عميم والرحمة واسعة والجود على الخلق فائض قال مولانا الامام المؤيد
بالله امير المؤمنين عليه السلام وكان تأليفه في حال الاشتغال باصلاح حال الطرف واقامة
امر الدين فيه ونفوذ احكام الشريعة والرجوى الى الله ذلك فاتفق الفراغ منه في
العشر الاولى من شهر رمضان المعظم اعاده الله

علينا من بركته من سنة ست وتسع
وتسع مائة سنة وكان الفراغ من نساخة هذا الكتاب
هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام

بلغ مطالعة هذا السفر المبارك يوم الخميس لعله خامس عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٢

هذا جمادى الاولى